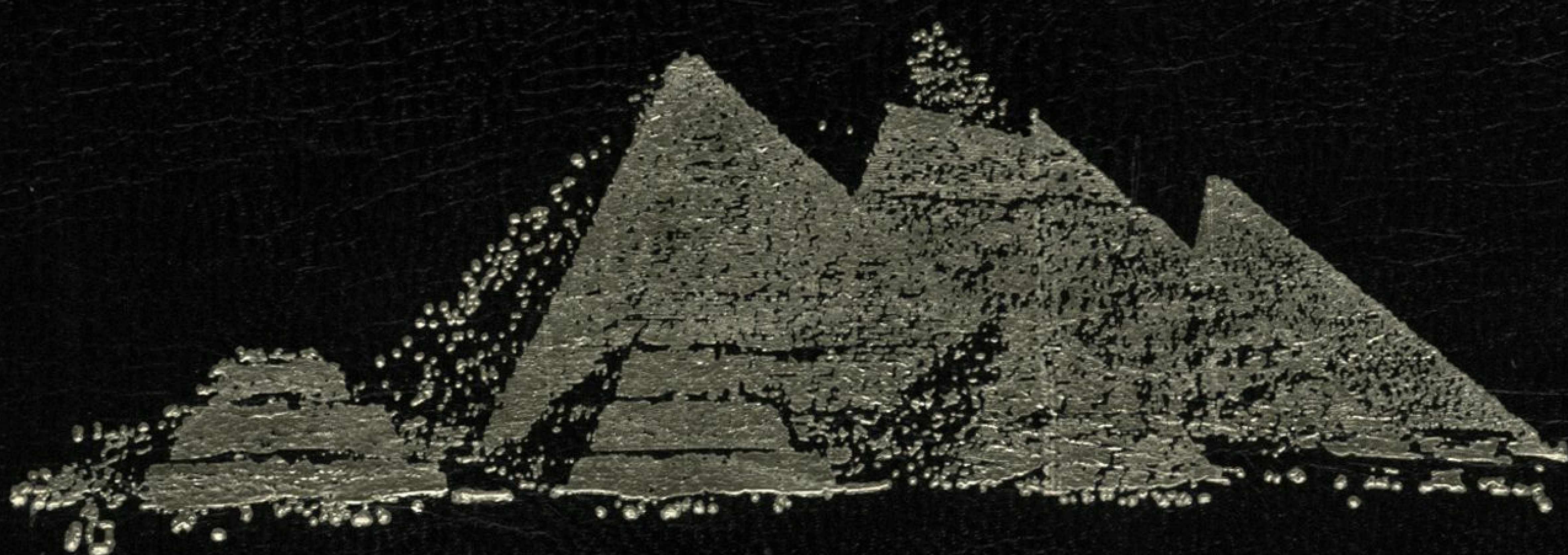


مَوسُوعَة
جُغرافِيَة مِصْرَ وتاريخها



موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها

(٢)

عبد الرحمان الجبرتي

موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها

المجلّد الثاني

عجائب الآثار في التراجم والأخبار - ١ -

الجزء الأول: الغزو العثماني لمصر - ١ -

إعداد وتحقيق
عبد العزيز جمال الدين

دار نوبليس

اسم الموسوعة: موسوعة جغرافية مصر وتاريخها

اسم الكتـــاب: عجائب الآثار في التراجم والأخبار ـ ١ ـ
الجزء الأول: الغزو العثماني لمصر ـ ١ ـ

المؤلـــــف: عبد الرحمان الجبرتي

إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين

قياس الكتـاب: ١٧ × ٢٤

عدد الصفحـات: ٢٢٠

عدد صفحـات الموسوعة: ٥٧٨٤

مكـان النشـر: بيروت

دار النشر والتوزيع: دار نوبليس

تلفاكس: ٧٥ ٣٤ ٥٨ (١) ٩٦١

هاتـف: ٢١ ١١ ٥٨ (١) ٩٦١ ـ ٢١ ١١ ٥٨ (٣) ٩٦١

صندوق بريـد: ٧٠ ٦٩ ١٦ بيروت لبنان

بريد إلكتروني: info@nobilis-int.com

الطبعة الأولى: ٢٠١٢

EAN 9786144031353

ISBN 978-614-403-135-3

يعد التأريخ من الأعمال الأدبية والفنية الرائعة التي مارسها المصريون منذ القدم، ولعل «مانيتون» المصرى هو أبو التاريخ وليس «هيرودت». والسبب فى ذلك يعود الى أن نبض التاريخ المصرى كان دوماً يتسارع فى تيارات ودفقات تماثل نيله العزيز فى دفقاته وفيضاناته. فإن كان البعض يرى فى تاريخ مصر فترات هدوء وسكون فهذا يمثل خداعاً للعقل والنظر، فتاريخ مصر كنيلها يسير فى شكل فيضانات متتالية لا تتوقف، فتبدو فترات ما بين الفيضانات كأنها لحظات السكون الابدية. وقديماً قال الشاعر:

وما الزمان فى حال سكون ولكنه مستجمع لو ثوب

إن الحضارة المصرية الماثلة فى فنون الحياة المختلفة، وفى الآثار والنقوش والصنايع، والعلاقات مع الأمم والشعوب والتأثير فيها والتأثر بها، كل ذلك كان يغرى بالتدوين والتأريخ.

وحتى فى عصور الانحطاط العثمانى لم تعدم مصر أن وجدت من بين أبنائها من يكتب ويسجل ويؤرخ، وليس أدل على ذلك من هذه المخطوطات العديدة التى كتبت عن هذه الفترة.

كان ابن إياس أول المؤرخين المصريين العظام الذين كتبوا عن الغزو العثمانى لمصر، وكان الجبرتى مؤرخ الغزوة الفرنسية التى لم تعمر كثيراً وإن صدمته بالكثير وذلك فى كتابه «عجايب الآثار فى التراجم والاخبار». عاش الجبرتى هذه الاحداث، وعايش حلم على بك الكبير وهو يحاول الاستقلال بمصر، وعاش حلم محمد على، ورصد كل ذلك فى ذهول المسجل اليومى للأحداث، المنبهر بتقلباتها، والمعجب بها أحياناً والساخط عليها فى احيان أخرى، فأعطانا العديد والعديد من الشواهد والاحداث، واطلعنا على آداب عصره ومآسيه وكوارثه وطواعينه واحتفالياته واعياده، فكان بذلك خير شاهد على عصره وإن لم يعى هذه الشهادة كاملة.

وانه لمن دواعى سرورى والعرفان بالجميل أن أقدم شكرى الى كل من عاوننى فى اخراج هذا السفر الضخم، وأخص بالذكر الصديق العزيز عبد الرازق ابراهيم والدكتور صلاح أبو نار وكل من اعتمدت على مؤلفاتهم فى تحقيقه، والى ابنى تامر وابنتى مصريه.

الى كل هؤلاء جميعا أقدم جزيل شكرى وعرفانى بالجميل.

عبد العزيز جمال الدين



الأحوال السياسية والاقتصادية
لمصر تحت الاحتلال العثماني

لقد أمكننا من خلال دراسة «تاريخ الجبرتى» وكذلك من خلال مؤلف أحمد أفندى الروزامجى «ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية». وكتاب «وصف مصر»، وكذلك بعض المؤلفات الحديثة التى اعتمدت على المؤلفات الثلاثة السابقة، ان نحصل على العديد من المعلومات الهامة التى كانت تنظم الاحوال الاقتصادية والمالية لمصر فى فترة الحكم العثمانى يمكن أن نستعرضها فى النقاط التالية:

(١) مرحلة تحطيم القوة العسكرية المملوكية والتمردات التالية لها. [١٥١٧/ ١٥٢٥م = ٩٢٣/ ٩٣٢هـ].

كان الهدف الاساسى للسلطان سليم من حملته العسكرية ضد السلطان الغورى هو القضاء على النفوذ المملوكى فى الشام ليكون ذلك دعماً له فى صراعه ضد الشاه اسماعيل الصفوى. ان هذا الهدف قد تم تحقيقه بهزيمة قوات السلطان الغورى فى واقعة «مرج دابق» واحتلال العثمانيين لحلب. وقد ادى ذلك الى انهيار مفزع للقوات المملوكية التى لم يكتف بعض قوادها بالتراخى فى القتال، بل وانضمام بعضهم للقوات العثمانية، مما شجع السلطان سليم على التوجه الى مصر وعبور سيناء وتحطيم بقية القوات المملوكية المنقسمة على نفسها متأثراً بتحليل خاير بك [الامير المملوكى الذى انضم له ضد سيده الغورى] المعتمد على ان النخبة الحاكمة المملوكية كانت منقسمة الى عصبيات وزمر متنافسة ومتناحرة. لقد كان الانهيار العسكرى هنا تابع للتفسخ السياسى داخل النخبة الحاكمة المملوكيه، ولم تكن مقاومة طومان باى بعد ذلك سوى تداعيات للانهيار وسلسلة من الخيانات انتهت بضرورة شنقه على باب زويله.

ولقد فرضت سياسة تحالف السلطان سليم مع جانب من العصبيات المملوكية التى ساندته فى الغزو ضد العصبيات الأخرى ان يُلزم نفسه بالحفاظ على نظام التجنيد المملوكى والعصبيات الموالية له. بل ان المماليك الفارين عادوا وانضموا الى العصبيات الموالية للسلطان سليم طمعاً فى اقتسام السلطة. وقد

نشأ عن ذلك ان عادت الزعامات المملوكية الى الساحة السياسية ومارست عادتها الاصيلة في الصراع فيما بينها، حتى انه ما ان توفى خاير بك [الذى عينه السلطان سليم نائب له على مُصر مكافآة له على موقفه الموالى له] وتم تعيين النائب العثمانى الجديد، حتى اندلعت ثورة قامت تحت قيادة أثنين من كبار الضباط المماليك هما: غانم السيفى وإينال السيفى سرعان ما تم القضاء عليها. ولكن فى أعوام ١٥٢٣م، ١٥٢٤م = ٩٣١هـ انفجر السخط المملوكى فى تمرد عسكرى أخير، وكان على رأسه النائب العثمانى نفسه، وامكن كذلك القضاء عليه. وفى العام التالى اى عام ١٥٢٥م جاء الصدر الأعظم العثمانى ابراهيم باشا فى زيارة قصيرة لمصر من أجل أن يضع الأمور فى نصابها ولكن دون جدوى واضحة.

(٢) استقرار الغزو العسكرى:

في اعقاب احتلال السلطان سليم لمصر، وفى ظل المقاومة المملوكية المتقطعة أرسل عدداً من رجال المساحة للمناطق التى اصبحت تحت سيطرته فى الدلتا من أجل «قياس الاراضى، ومعرفة الاقطاعات الموجودة فيها والتى تخص المماليك والاوقاف وما شابه». وكذلك تم إرسال عدداً أخر من هؤلاء الرجال فى ظل السلاطين التاليين للسلطان سليم الى الوجه القبلى وبقية الوجه البحرى. وفى عام ١٥٢٣ = ٩٢٩هـ، ثم وضع سجل عام لمسح الأراضى. ولكن نطاق هذه السجلات كان محدوداً للغاية، وذلك من واقع ان الكتبه المستخدمين فى ذلك كانوا من الإدارة المملوكية السابقة، وهؤلاء استغلوا جهل سادتهم الجديد وأخفوا سجلات الروزنامة لتحقيق ثروات ومراكز قوية على حساب الفلاحين، فحدث نتيجة لذلك دمار واسع للزراعة وهروب الفلاحين من أراضيهم، مما ساعد على قيام ثورة ضد الحكم العثمانى بدعم من الامراء المماليك للنائب احمد باشا الذى وُعد من المماليك بحكم مصر.

وعندما قضى على هذه الثورة عام ١٥٢٣ = ٩٢٩هـ عثرت السلطات العثمانية على السجلات القديمة المملوكية فى الروزنامه والتى اظهرها الكُتاب القدامى من أجل مساندة احمد باشا فى جمع العوايد من الاقاليم. كما اعادت السلطات العثمانية أجراء المسح. ومن أجل توفير نفقات تنفيذه فرضت ضريبة خاصة على كل اقليم يتم مسحه. وهكذا كانت السجلات الجديدة تحتوى على متوسط عدد الفدادين التى تروى بالراحة

ومتوسط للفدادين التى تروى بمشقة بحسب فيضان النيل، كما تحتوى على درجة خصوبة الاراضى، ونوع العوائد التى تجبى من كل قرية، وبحلول عام ١٥٧٦ = ٩٨٤هـ، كان قد تم عمل مسح شامل لكل الاراضى الزراعية المصرية.

اما بالنسبة لعملية سجلات مسح العوايد الحضرية فإنها لم تكتمل إلا فى عام ١٦٠٨ = ١٠١٧هـ.

وهكذا فإنه بالرغم من شنق السلطان سليم للسلطان طومان باى على باب زويلة وفرض السيطرة العسكرية العثمانية على مصر، إلا أن المناطق الجنوبية فى الصعيد (حول الوادى وفى الصحارى) وكذلك المناطق الصحراوية فى شمال البلاد ظلت تشكل خطراً على السلطات العثمانية حتى عام ١٥٢٤ (٩٣١هـ) عندما قامت فلول المماليك والعربان بدعم النائب العثمانى أحمد باشا فى محاولته الاستقلال بمصر.

وفى عهد السلاطين التاليين للسلطان سليم أُرسل عدداً من رجال الإدارة العثمانية للصعيد لعمل تقارير حول الأحوال الاقتصادية، وتوقيع اتفاقيات مع عدة قبائل. من أجل استقرار السلطة العثمانية التى لم تكن قد أقامت لها بعد حاميات عسكرية فى هذه المناطق حتى عام ١٥٢٨ = ٩٣٥هـ، ففى نهاية هذا العام كان سليمان باشا الخادم عائدا من حملاته الناجحة فى كلّ من اليمن والهند، وإبان عودته هبط فى ميناء القصير المصرى على البحر الاحمر، وبدأ فى طرد القبائل النوبية من جنوب اسوان واحتل قلعتهم فى «ابريم» ثم طاردهم حتى وادى حلفا، وفى جزيرة وسط النيل هناك تسمى «صاى» بُنيت قلعة عسكرية بهدف تحديد حدود مصر الجنوبية. وتأسست ولاية على ساحل البحر الاحمر ما بين سواكن ومصوع تحت اسم ولاية «الحبش» وهى ليست الحبشه. واستكملت السلطات العثمانية نفوذها على بقية اقاليم مصر بعقد عدة اتفاقات مع زعماء القبائل العربية المحيط بالوادى فيما عدا ولاية البحيرة التى ظلت تحت النفوذ المباشر للقبائل حتى أواخر القرن ١٧، عندما عاد النفوذ المباشر لزعماء القبائل العربية على مناطقهم القديمة واضيفت عليها الصفة الرسمية من السلطات العثمانية بتعيين زعماء القبائل واتباعهم كملتزمين يتوارثون التزاماتهم.

إن اكبر تلك القبائل من حيث القوة كانت قبيلة «هواره» التى كانت تشتمل على عدة بطون سيطرت على مصر الوسطى من المنيا حتى جرجا. ولكن نفوذها تم تدميره بشكل

نهائى على يد على بك الكبير فى عام ١٧٦٩ = ١١٨٣هـ. بعد أن كانت قد انقسمت الى فرقتين متصارعتين هما «هواره بحرى» و«هواره قبلى».

(٣) مرحلة الصراع الداخلى. [١٥٨٦/ ١٧١١م = ٩٩٤/ ١١٢٣هـ].

ان اضمحلالا ملحوظاً فى قوة وكفاءة الإدارة العثمانية أصبح يمثل ظاهرة عامة فى كل أجزاء السلطنة فى الاعوام الأخيرة من القرن السادس عشر وطوال القرن السابع عشر بسبب استمرار مشروعاتها العسكرية دون توقف ودون احراز انتصارات حاسمة سواء فى الجبهة الروسية أو الجبهة الاوربية وما تبع ذلك من مصاريف باهظة انهكت السلطنة وانهكت موارد مصر ذاتها التى كانت تكلف دوماً بأعداد فرق عسكرية للحرب على الجبهتين الروسية والاوروبية، هذا بالإضافة الى الاضرار والخسائر التى لحقت بمرتبات الموظفين والعسكريين من جراء التضخم المالى الذى امتد لفترة طويلة وأدى إلى تمردات الفرق العسكرية وبخاصة الانكشارية سواء فى مقر السلطنة أو فى الولايات التابعة لها وكذلك مصر.

ان اوضح مظاهر انحلال السلطة العثمانية فى مصر كان حدوث سلسلة من التمردات ضد النواب العثمانيين، وكان اولها فى عام ١٥٨٦م = ٩٩٤هـ، من جراء نقص الخزانة الاميرية التى كانت ترسل للسلطان، فقد قام الجند بتمرد مسلح عزلوا فيه الباشا وانزلوه من القلعة. لقد كانت هذه اول مرة يعزل فيها الجند نائب السلطان فى مصر، بل أنهم اعتدوا على النائب التالى له سنة ١٥٨٩م = ٩٩٧هـ ونهبوا مسكنه واجبروه على تلبية مطالبهم. ثم زادت خطورة هذه التمردات منذ عام ١٥٩٨م = ١٠٠٦هـ، عندما تجمع جنود الاقاليم وزحفوا الى القاهرة وقضوا على قوات الباشا وأسروه، ولكنه تمكن من الفرار الى القلعة والتحصن بها. وبعد ذلك بثلاثة اعوام وبالتحديد فى عام ١٦٠١م = فى ٢٠ رمضان ١٠٠٩هـ، هاجم الجنود مخازن الغلال واجبروا الباشا على قبول مطالبهم. وفى ٢٥ سبتمبر عام ١٦٠٤م = ٢٩ ربيع آخر عام ١٠١٢هـ، قام الجند السباهية بقتل النائب السلطانى ابراهيم باشا بسبب ابطاله مطالبهم الغير شرعية (اموال الطلبة التى فرضوها لحسابهم) وعلقوا رأسه على باب زويله. وهو النائب الوحيد الذى يذكره الجبرتى باسم «المقتول».

ولقد وصلت هذه السلسلة من التمردات الى

ذروتها إبان حكم محمد باشا [١٦٠٧/ ١٦١١= ١٠١٦/ ١٠٢٠هـ] عندما قامت السباهية [وهم جند المماليك الشراكسة ذوى المرتبات الضعيفة] بالتجمع من كل اقاليم الوجه البحرى عند ضريح السيد البدوى بطنطا واقسموا على قتل الباشا العثمانى، وعينوا من بينهم (فى سابقة خطيرة) سلطاناً ووزيرا، معلنين استقلالهم عن السلطنة العثمانية، ثم زحفوا للقاهرة، وعند الخانكه اصطدموا بقوات الباشا تحت قيادة خوجا مصطفى بك، واستمرت بينهم المناوشات دون ان يحقق اى منهما نصراً على الآخر، ثم تفرقت الجند المتمردة واعدم بعضهم ونفى آخرون الى اليمن. وعلى هذه الحادثة يعلق ابن أبى السرور البكرى بقوله: «فى الحق انه الفتح الثانى لمصر على يد الحكومة العثمانية المباركة». فقد كان هؤلاء الجند السباهية المشكلين من المماليك الشراكسة يسعون الى تأسيس سلطنة مستقلة.

وبالرغم من كل هذه التمردات فإن التحدى الحقيقى للسلطة العثمانية فى مصر كان يأتى، ليس من الطموحات الاستقلالية للفرسان المماليك (السباهية بالذات)، ولكن من البكوات المماليك الذين كانوا لا يزالون - حتى ذلك الوقت - مستمرين على سياسة التعاون مع السلطنة العثمانية. ان منصب البكويه كان عبارة عن نظام يتكون من مجموعة موظفين عسكريين ذوى مقام عال على علاقة وثيقة مع الباشا العثمانى، ولكنهم لم يكونوا ضمن هيئة العسكريين المكونين للبلكات السبع التى كانت تشكل الحامية العثمانية، ولكنهم خلال القرن السابع عشر تمكنوا من الاستحواذ على مناصب هامة ورئيسية فى الهيئة الحاكمة مثل منصب «امير الحاج» ومنصب «الدفتردار» المسؤل عن المالية، وكذلك نائب الباشا أى «القائمقام». وعلاوة على ذلك أصبح يتم تعيين البكوات كحكام على اهم ولايات الصعيد «ولاية جرجا» بالإضافة الى كونهم الحكام العسكريين فى الولايات الأخرى. ومع ازدياد رسوخ هذه الاوضاع تدهور نفوذ فئة الكشاف فى الولايات وصاروا تابعين للبكوات المماليك. بل ان ضباط البلكات العثمانية صاروا يتوددون اليهم ويعملون بأمرهم وينفذون مطالبهم حتى لو تعارضت مع رغبات وأوامر الباشا.

ان نيابة محمد قول قران [قول قران = قاهر المماليك] اثبتت أنها كانت حادثًا عرضيًا فى سياق تدهور السلطة العثمانية فى مصر، وليس نقطة بداية للقضاء على النفوذ المملوكى واحياء للسلطة العثمانية، وليس أدل

على ذلك من اختبار توازن القوى الذى جاء فى عام ١٦٢٣م = ١٠٣٢هـ، وذلك عندما رفض الجند قبول النائب الجديد على باشا وأعادوه الى الاستانه. إن ما هو مميز فى هذه المناسبة أن البكوات المماليك الذين كانوا حتى ذلك الوقت مؤيدين للسلطة الشرعية قد اشتركوا فى رفض النائب المرسل من الاستانه. وفى اعقاب ذلك بسنوات قليلة وبوضوح وللمرة الاولى نجد ان البكوات قد تولوا زمام المبادرة وكونوا مقاومة جماعية فى مواجهة موسى باشا الذى دبر أغتيال واحد منهم عام ١٦٣١م = ١٠٤٠هـ، وهو قيطاس بك فى ٩ الحجة، واقاموا مقامه واحداً منهم هو حسن بك، وارسلوا بذلك خطاب للسلطان فلم يسعه إلا الموافقة على ما فعلوه فأسسوا بذلك سابقة سوف تصبح بمثابة حق طبيعى لهم استخدموه كوسيلة للسيطرة على الباشات التالين فأصبحت السلطة الحقيقية فى يدهم. ولكن معضلتهم الاساسية وهى العصبية التى ظلت تسيطر عليهم، فرقتهم الى عدة بيوت متصارعة لم تمكنهم من الاستقلال التام بالسلطة السياسية، بل جعلتهم فى بعض الاحيان العوبة فى يد بعض الباشات العابرين. ان البيوت المملوكية الاساسية التى كانت تتصارع فيما بينها كانت تتلخص فى بيتين، احدها كان الفقارية الذى كان فى اساسه من العناصر الشركسية، والآخر كان القاسمية الذى تشكل فى اساسه من البوشناق القادمين مع الغزو العثمانى ولكن تم استيعابهم فى إطار بنية البيت المملوكى. وكان بيت الفقارية له اليد العليا وعلى رأسه كان أحد الامراء الكبار «رضوان بك الفقارى» الذى تولى إمارة الحاج طوال الفترة من عام ١٦٣١م = ١٠٤٠هـ، حتى وفاته عام ١٦٥٦م = ١٠٦٦هـ.

ان قوة رضوان بك جعلته هدفاً للاعتداءات من جانب السلطات العثمانية ومنافسيه من البيوت المملوكية الاخرى. فهو من ناحية كان يسعى للأستحواذ على السلطة السياسية من الباشا العثمانى، وفى ذات الوقت كان يسعى الى الانفراد بها دون البيوت المملوكية الأخرى. وهو فى سبيل ذلك كان حريصاً على ان يمد نسبه الى قريش، يتضح ذلك من مخطوط ينسب لمجهول توجد نسخة منه فى مكتبة جون رينلاندز ببريطانيا. اكتملت كتابتها فى ١٦٨١م = ١٠٩٢هـ، منقولة عن نسخة أقدم كتبت فى يناير ١٦٣٢م = رجب ١٠٤١هـ، كتبها أحد العلماء الذين كانوا فى حماية رضوان بك، واظن انه ابن ابى السرور البكرى. ان المؤلف يبدأ مخطوطه قائلاً أنه قام ببحث أمر أسلاف الجراكسة

ابتداءً من قريش وذلك بأمر من الامير رضوان بك الكبير، وأنه استعان فى ذلك برسالة كتبها «شهاب الدين احمد الصفدى» امام أحد المساجد [توفى عام ١٥١٧ = ٩٢٣هـ] يورد ملخص لها فى اول المخطوط يتبعها بسبعة فصول قصيره يسرد فيها التاريخ الاسطورى للكعبة ابتداءاً من آدم حتى اسماعيل، ثم أصل قريش وارتباطهم بالكعبة، ثم رسالة سيدنا محمد، ثم تشتت القبائل العربية فى الأمصار على عهد عمر بن الخطاب، وهذا يقود الى الفصل السابع محل الاهتمام ومقصد المؤلف، وهو عبارة عن رواية اسطورية لاسلاف الجراكسة يذكر فيها أنه كانت توجد عشيرة من قريش تدعى «بنو عامر» كان رئيسها يدعى «قصىّ» [واسمه بالكامل «قصىّ بن عمر بن ود العامرى»]، وفى اثناء استعراض بالخيول فى احد الاعياد واللعب بالسيوف، أصاب قصىّ عين احد البدو يدعى «فُهيد» فأشتكى للخليفة عمر الذى أراد أن يقتص من «قصىّ» فهرب، وعندما سُئل عنه قيل انه «سرى» أى هرب بالليل مع اهله، فأصبح اسمه منذ ذلك الوقت «سرى قصىّ» التى حرفت الى «شراكسا» بعد ان ابدلت «السين» الاولى الى «شين» والقاف الى «كاف». وقد استمر «قصىّ» فى ترحاله حتى وصل الى بورصة ببلاد الروم ومعه اهله وجنده البالغ عددهم ٣٠٠ر٠٠٠ شخص، وهناك أعطاه الامبراطور قسطنطين الامان وأمره ان يعبر مضيق القسطنطينية ويستوطن الارض التى يرغبها، فوصل الى ارض البلغار وقضى على من بها من الاروام، وأقام خيامه وسمى أرضه أرض «البوسنه». وأستمر خلفاء الامير قصىّ من بعد وفاته فى ارضهم الجديدة تحكمهم العلاقات البدوية العربية. ثم حدث أن بعض بطون بنو عامر هاجروا الى مصر خاصة الى الشرقية ومنهم اشراف بنى عامر، وكذلك «العوامر» بمصر العليا، كما أن اصل دولة الشراكسه السلطانية بمصر أسسها السلطان الظاهر برقوق الجركسى. ان الرواية المتعلقة بالسلطان برقوق تظهره بوصفه الجد رقم ١٣ أو ١٤ للأمير رضوان. ان السلاطين الجراكسة الذين خلفوا برقوق لا يزهم سوى ابن عمه الاشرف بارسباى. وبعد الغزو العثمانى لمصر تشتت الجراكسه وعاد بعضهم الى موطنهم. ومن بين هؤلاء الجراكسة الامير رستم الذى تزوج بابنة عمه التى انجب منها العديد من الاطفال. وبعد ذلك أرسل الصدر الاعظم سنان باشا خطاباً الى رستم يطلب منه العودة، ولكن رستم يرفض ذلك ويرد عليه بخطاب يذكر فيه انه آمن بأرضه ولا يطمع

فى غيرها وان الله رزقه بأولاد ثلاث أكبرهم «خان فاضل» والاوسط «بارسباى بك» والأصغر «جان بك عزيز». ان رضوان بك يوصف هنا بانه ابن «جان بك عزيز». ويذكره ابن ابى السرور البكرى فى مؤلفه «الروضة الزهية» وفى مؤلفه «الكواكب السائرة»، وهو استكمال للمؤلف السابق، فيورد معارك رضوان بك مع محمد باشا خاير زاده فى عام ١٦٤٨م = ١٠٥٨هـ. وفى مؤلف مجهول تحت اسم «زبدة اختصار تاريخ مصر» الذى ينتهى فى عام ١٦٩٩ يحدد تاريخ وفاة رضوان بك فى ٢٣ جماد ثان ١٠٦٦هـ = ١٨ ابريل ١٦٥٦م. اما الجبرتى فيذكر انه توفى عام ١٠٦٥هـ دون تفاصيل مهمة عنه.

ولقد كان الهدف من الربط بين رضوان بك وأصله القرشى الجركسى هو دعم مركزه فى السلطة باثبات الاستمرارية التاريخية للبكوات المماليك كامتداد للسلطنة المملوكية. وكان لاستحواذ رضوان بك على إمارة الحج لمدة طويلة هدف هام يتمثل فى انه احد أهم رموز السلطنة العثمانية، فمنذ انهيار دولة السلاطين المماليك الجراكسه، حصل سليم وخلفاءه على لقب «خادم الحرمين الشريفين». كمظهر من مظاهر دعم نفوذهم السياسى على العالم الاسلامى. وكان أمير الحاج مسؤلا كذلك عن غلال الحرمين وحماية قافلة الحجاج ذهاباً واياباً ومحاربة العرب البدو المغيرين عليها للسلب والنهب. وهكذا نرى على اساس من هذه الصورة، أن تأكيد كاتب نسب الأمير رضوان (الفقارى أمير الحاج) لقريش والجراكسة، كان بمثابة تحدى مزدوج للسلطنة العثمانية. وبالرغم من حيوية حكم السلطان مراد الرابع، إلا ان الامير رضوان مارس عمله بحيوية عالية معتبراً سلطته كأمير للحج مستمدة من نسبه القرشى/ الجركسى وليس بوصفه مندوب للسلطنة العثمانية. ولكن بقتله توقف هذا المشروع المملوكى. وفى سنة ١٦٦٠م = ١٠٧١هـ تصرف الفقارية بطريقة تتصف بالحماقة عادت عليهم بالضرر، وعلى الباشا بأفضل الفوائد. فقد كان الباشا متحالفاً مع احمد بك البوشناقى زعيم القاسمية، وخاض معهم معركتهم ضد الفقارية، وتم له النصر عليم. ثم اغتال الباشا احمد بك كذلك عام ١٦٦٢م = ١٠٧٢هـ، فتراجع بذلك نفوذ البكوات المماليك لمدة ثلاثين عاماً تالية.

ومنذ عام ١٦٧٦م = ١٠٨٧هـ، حتى عام ١٦٩٤م = ١١٠٦هـ، ظهرت شخصية سياسية فقارية بارزة هى «كوچلك محمد» الذى كان فى البداية مجرد انكشارى مغمور،

ولكنه بانتهاج سبل التآمر والخديعة تمكن من قيادة فرقته الاسباهية. وفى عام ١٦٩٢م = ١١٠٤هـ، والى عام ١٦٩٤م = ١١٠٦هـ، اظهر بعضاً من خصائص القائد الشعبى فحارب التجار الجشعين وقضى على التجار المتلاعبين وأبطل أتاوت الفرقة العسكرية التى كانوا يجبونها لحسابهم من العامة والسقائين والتجار الصغار والبحارة فى النيل تحت اسم «الطلبة». ولكن ذلك عاد عليه بعاقبة وخيمة، فقد تآمر عليه اصحاب المصالح وقتلوه عام ١٦٩٤م.

ان سلطة «كوچك محمد» كانت عابره، وأهمية سيرته تكمن فى الحقيقة التاريخية القائلة بعودة الفقارية الى المسرح السياسى، وتجديدهم لصراعهم مع القاسمية مما تسبب فى خراب مصر لما يقرب من أربعين عاماً تالية. لقد قاد الفقارية فى ذلك الوقت ابراهيم بك الفقارى متحالفًا مع بيت القازدغلية الناشىء. وبلغت الصراعات ذروتها خلال عام ١٧١١م = ١١٢٣هـ بسبب ما اسماه الجبرتى بفتنة إفرنج احمد كبير الاسباهية والذى تمكن من الحصول على تأييد الفقارية ضد وجاق العزبان والقاسمية. وانتهى الصراع كما سرده الجبرتى فى هذا الجزء بانتصار القاسمية وقتل عدد من امراء الفقارية وافرنج احمد. ولقد كانت هذه هى آخر الصراعات الكبرى التى لعب فيها الفقارية/ الأنكشارية دوراً هاماً، فقد انتقل الحكم بعد ذلك الى الامراء العسكريين ونمى الحكم الذاتى المحلى القائم على سلطة البكوات.

(٤) مرحلة نمو الحكم الذاتى القائم على البكوات المماليك [١٧١١/ ١٧٩٨م = ١١٢٣/ ١٢١٣هـ].

رغم أن الجزء الرئيسى من السلطة السياسية فى مصر كان قد انتقل الى ايدى الامراء المماليك من بدايات القرن الثامن عشر (الثانى عشر الهجرى)، إلا أن هؤلاء الامراء استمروا فى كونهم يمثلون الإطار القديم للإدارة، لقد قبلوا سيادة العثمانيين الاسمية عليهم، واخذوا فى السعى فيما بينهم من أجل الرئاسة، تلك التى كانت منذ وقت مبكر هدف إبراهيم بك الفقارى. إن الرئاسة المملوكية فى حد ذاتها ليست مفهوماً أو معياراً دستوريا بالمعنى الحديث، انها فى الاساس نوع من الزعامة بين الأمراء يتم الاعتراف بها واقرارها عن طريق توازنات قوى الامراء. والرئاسة المملوكية يمكن ان يتم تحصيلها عن طريق أحد الامراء بمفرده أو عن طريق اثنين أو اكثر فى شكل ائتلاف سياسى. ولم تكن هناك قواعد أو

قوانين تحكم تداول الرئاسة أو أنتقالها حتى أن سقوط أو وفاة رئاسة معينة كان يعقبه صراع بين البيوت المتصارعة على السلطة.
وفى اعقاب فتنة «أفرنج احمد» نجد أن البكوات وكبار ضباط الوجاقات السبع المكونة للحامية العثمانية، كانوا على درجة متساوية من النفوذ. ولكن مع بدايات القرن الثامن عشر نجد أن كل النخب العسكرية الحاكمة فى مصر كان قد تم استيعابها فى إطار التنظيم والحماية المملوكية. داخل البيوت المملوكية الثلاث الكبرى: الفقارية وهى المكونة من المماليك ذات الاصول الشركسية، ثم القاسمية بأصولها البوشناقية، والمماليك القازدغلية بزعامة الضباط الاتراك الذين اصبحوا ضمن النظام المملوكى. وأصبح تمركز السلطة داخل إطار هيئة البكوات اكثر منه داخل إطار الامراء العسكريين. ولقد انعكس ذلك فى ظهور مصطلح خاص هو «صاحب الرياسة» أو «شيخ البلد». لقد أطلق هذا اللقب أول ما أطلق على محمد بك شركس، وذلك فى العقد الثالث من القرن الثامن عشر، واطلقه الجبرتى على حسين بك الصابونجى الذى تولى هذا المنصب فى اعقاب عام ١٧٥٦م = ١١٧٠هـ، إلا أن فعالية حكم هيئة البكوات تناقصت بسبب الصراعات العصبية التى ميزت المجتمع المملوكى منذ العصور الوسطى. حتى أنه فى اعقاب انتصار القاسمية على الفقارية فى فتنة إفرنج أحمد، عادت القاسمية وانقسمت الى عدة بيوت صغيرة متنافسة، سعى بعضها ممن هربوا الى الصعيد للانضمام الى الهوارة، فقويت بذلك شوكة الهوارة مرة أخرى.

الاقسام الإدارية

منذ الازمنة القديمة قسمت مصر الى ولايات كان فى الوجه البحرى منها: الغربية والمنوفية فى وسط الدلتا، والمنصورة فى الشرق، وللجنوب منها توجد ولايات الشرقية والقليوبية. اما فى غرب الدلتا فكانت توجد ولاية البحيرة، موطن العربان والقلاقل طوال الحكم العثمانى لمصر.
وفى الوجه القبلى جنوب القاهرة امتدت على جانبى النيل ولايات: الجيزه، البهنسا، أطفيح، المنيا، منفلوط، اسيوط، جرجا (وهى أهم ولايات الصعيد)، ثم أبريم، وأيضا واحة الفيوم. وفى ظل الحكم العثمانى ظل هذا التقسيم الادارى كما هو فيما عدا بعض التغييرات الطفيفة. ففى عام ١٥٦٩/ ١٥٧٠ = ٩٧٧هـ ثم فصل مدينة فارسكور وضواحيها من ولاية المنصورة وأصبحت ولاية

مستقلة بسبب تحويل انتاجها الزراعى من الارز الفاخر من التزام القبائل العربية الى التزام السلطان نفسه. وقد اعيد ضمها الى المنصورة سنة ١٧٨٥ = ١٢٠٠هـ. وكانت الاراضى الصحراوية الممتدة من ولاية الشرقية حتى سيناء ولاية مستقلة سميت باسم «قاطيه»، وكان دخل هذه الولاية فى الاساس ياتيها من الرسوم التى كانت تفرضها على القوافل التى تعبرها ذهاباً واياباً من دمشق وحلب، لصرفها على القلاع العسكرية فى خان يونس والعريش، وفى عام ١٧٠٦ = ١١١٨هـ انتهى وجود هذه الولاية وتم توزيع التزاماتها وأيضا عوائدها بين ولايات الشرقية والقليوبية ومدير الجمرك فى كل من القاهرة وبولاق.

اما فيما يختص بالاراضى الصحراوية الواقعة حول وادى النطرون حيث خام الفوسفات الجيد، فقد تم ضمها فى عام ١٥٩٠ = ٩٩٩هـ الى ولاية الطرانه التى ظلت مستقله حتى عام ١٧٤٤ = ١١٥٧هـ عندما تم ضمها الى ولاية البحيرة. وفى صعيد مصر نجد ان كل الولايات الواقعة جنوب جرجا تم ضمها اليها فى عام ١٥٧٤ = ٩٨٢هـ، اما فيما يختص باسوان والمنيا ومنفلوط فقد ضمت لولاية جرجا عام ١٦٩٧ = ١١٠٩هـ. وفيما يختص بولاية البهنسا فقد ضُمت الى ولاية أطفيح عام ١٦٤٠ = ١٠٥٠هـ بعد تدميرها على يد القبائل البدوية العربية ونهبها.

إن توحيد ولايات الصعيد تحت يد حاكم واحد كان يهدف الى تقوية اليد الممثلة للحكومة العثمانية فى القاهرة ضد تمردات القبائل العربية وسرعة إرسال النجدات والحملات العسكرية إليها. وقد جعل هذا من حاكم جرجا الشخصية الثانية فى السلطة والثروة.

وفيما يختص بالواحات الصحراوية فى الصحراء الغربية فقد كانت تشكل ولاية «الواحات» التى كانت تحصل عوائدها من القوافل التى تعبرها سنويا قادمة من سنار ودارفور حاملة الذهب والعبيد لمصر ولبقية السلطنة العثمانية. وقد ظلت هذه الولاية مستقلة حتى عام ١٧٨٦ = ١٢٠٠هـ عندما ضمت لولاية جرجا.

ملكية وعوايد الارض

كان للفلاح المصرى منذ القدم حق زراعة الارض مقابل جزء من عوايدها. وكانت هذه الارض تسمى «بالأثر» وكان يحق للفلاح زراعتها دون ملكيتها، ولكنه فى نفس الوقت يمكنه نقل حق الزراعة إلى أولاده، أو

اشخاص آخرون يقوم هو باختيارهم.
وخلال القرن الاول من الحكم العثماني في مصر أُعتُبِر أن الفلاح ملزم بأرض «الأثر» التي يزرعها. إن ابراهيم باشا الخادم وخلَفاؤه كافحوا من أجل إعادة إعمار أراضي واسعه في الدلتا كانت خربت أثناء الحروب بين العثمانيين والمماليك والبدو العرب. والفلاحون الذين هربوا من أراضيهم بسبب هذه الحروب تم اجبارهم على العودة الى زراعة الارض بحسب «قانون نامه مصر» أو إحضار بديل عنهم. ومن أجل إغراء الفلاحين على العودة إلى أرض «الاثر» صدر قانون ينص على ان الفلاحين لا يجب أن يستغلوا في العمل بأراض أخرى. ولا أن يجبروا على العمل في المشاريع العامة إلا بمقابل.
وحتى بداية القرن السابع عشر الميلادى (الحادى عشر الهجرى)، كانت عملية جمع العوايد من الفلاحين تتم عن طريق وكلاء يسمون «الأمناء» يحصلون على رواتب سنوية ثابته تدفع لهم من الخزانة الاميرية وذلك بغض النظر عن العوايد التى يجمعونها: ولهذا لم يكن لهم مصلحة في جمع أى ضرايب أو عوايد جائرة.
ولكن خلال القرنين التاليين أدى ضعف سلطة الباشا العثمانى وسيطرة الأمراء المماليك على السلطة، إلى ظهور نظام جديد ومنافس خطير لنظام «الامناء» وهو نظام «الألتزام» الذى منحت بمقتضاه الاراضى الزراعية «للملتزم» الذى يدفع عوايد الارض مقدماً ثم يجمعها من الفلاحين اضعافاً مضاعفه. فكان ذلك مصدر دعم مالى للأمراء المماليك واتباعهم بسبب احتكارهم لنظام الألتزام، وسبباً في ازدياد ضعف سلطة الباشا العثمانى خاصة منذ منتصف القرن السابع عشر، وداعياً لهروب الفلاحين من الارض، خاصة وأن أرض «الوسية» وهى الخاصة بالملتزم كان يجبر الفلاحين على زراعتها دون مقابل، كما أصبح على الفلاح أن يدفع ضريبة للملتزم عندما يتنازل عن أرض «الأثر» لغيره أو لأولاده، أضف لذلك أن الاعمال العامة في الترع والمصارف وغيرها صارت أجبارية وسخرةً. كما أن البدو العرب لم يغفلوا عن نهب هذا الفلاح دون هوادة أو رحمة وأنضم اليهم عصابات من الجند العثمانين. ان هذه الاوضاع كانت شديدة الوضوح والتأثير في منطقة الدلتا بالذات، اما في صعيد مصر فقد كان وضع الفلاح مختلفاً. فالقبائل العربية والهواره كان لهم نفوذ أقوى بسبب المساحات الصحراوية الشاسعه المحيطة بالوادى، وقيام بعض افرادهم بالزراعة إلى جانب الفلاحين المصريين، كل ذلك ساعدهم على استقرار نفوذهم وقناعة السلطة المركزية في القاهرة

بتوكيلهم بجمع العوايد وتوصيلها إلى الخزانة الاميرية.

ان بعض هؤلاء البدو استمروا فى حياة نصف بدوية، حيث كانوا يستقرون فى أراضى «الأثر» فى مواسم الرى، ويقومون بعد ذلك بالعمل مع أخوتهم البدو باحثين عن القوت بأكثر الاساليب التقليدية أغراقاً فى البداوة.

كما ان الفلاحين المصريين فى هذه المناطق كان يمكنهم بعد موسم الرى أن يقوموا ببعض الاعمال الحرفية أو مزاولة بيع الخضر والفاكهة فى المدن المجاورة وحتى فى القاهرة نفسها. وفى النهاية كان ملتزمو الصعيد لا يمتلكون أرض «الوسية» التى يجبرون الفلاحين على العمل بها سخرة.

ولكن خلال حكم على بك الكبير وما بعدها تم تدمير قوة القبائل البدوية وبخاصة الهوارة فى الصعيد وتم توزيع أراضيهم على ملتزمين من القاهرة وجرجا، وهكذا خضع فلاحو الوجه القبلى لنفس الظروف التى خضع لها أخوانهم فى الدلتا.

حقوق استغلال إنتاج الارض

تبعاً للتقاليد العثمانية كانت العلامة الاساسية لسيادة السلطان هى ملكيته المطلقة لكل موارد الثروة فى السلطنة، وهو الذى كان يمنح حق استغلال هذه الموارد، ومنها الارض، إما بشكل ملكية خاصة (ملك) أو بشكل وديعه (وقف أو رزق)، أو بأعتبارها ملكية خاصة للسلطان (خواص همايون)، وهذه كان يوزعها كذلك من اجل استغلال عوايدها لصالح الخزانة السلطانية، أو من أجل القيام بخدمات خاصة يطلبها السلطان.

الاملاك الخاصة للسلطان (خواص همايون) فى مصر.

لما كانت الارض الزراعية هى المصدر الاساسى للثروة فى مصر، فقد استخدمتها السلطة العثمانية كمصدر اساسى للخزانة السلطانيه.

لقد كانت مهمة الادارة المالية العثمانية الاساسية فى مصر هى تنظيم وتشجيع استغلال الاراضى الزراعية وما له صلة بها وكذلك المصادر الأخرى الواقعة فى املاك السلطنة. كانت السلطنة المملوكية تعالج هذا الموضوع عن طريق منح تفويض لأحد الوسطاء يسمى بتفويض «الاقطاع»، سمى فى ظل السلطنة العثمانية باسم تفويض «المقاطعة».

ان السلطة الممنوحة فى إطار «المقاطعة» كانت تتم بطرق ثلاث هى «التيمار» و«الأمانات» و«الالتزام».

اما «التيمار» فكان يتضمن توكيل يعطى لصاحبه حق الاستغلال الكامل للأراضى فى

مقابل خدمات يقدمها للسلطان ذات طبيعة عسكرية أو إدارية. ومن ثم فقد كان «التيمار» شكلاً من اشكال «المرتب» يزول بزوال الخدمات التي يقدمها صاحب «التيمار».

ان النقيض الكامل لهذا الاسلوب هو نظام «الامانات»، فهو عباره عن توكيل يعطى لموظفين ذوى مرتبات ثابتة يسمون «الأمناء». وهؤلاء كانت مهمتهم استغلال أحد موارد الثروة والقيام بجمع عوايدها وتسليمها بالكامل للخزانة السلطانية، وبالتالي لم يشاركوا مباشرة في العوايد التي كانت تأتي تبعاً لجهودهم.

اما الإلتزام فقد جمع بين عناصر من «التيمار» و«الامانات». فمثل «التيمار» كان الملتزم يحصل على حق الاستغلال مقابل خدماته الإدارية في المناطق الخاضعة للالتزام. وفي نفس الوقت كان عليه ان يسلم مبلغا ثابتا سنويا للإدارة المالية، وفي هذا كان واجبه يتشابه مع واجب «الامين». ولكن على عكس الأمين كانت عوايد الملتزم تأتيه من الاموال التي يقوم بجمعها، والتي كانت تختلف من عام لآخر، بينما كان الأمين يتلقى راتباً من الخزينة ليس له صلة مباشرة بما يجمعه.

وبايجاز شديد فإنه في حالة «التيمار» كان الناتج الكلي يذهب إلى صاحب التيمار، وفي حالة «الامانات» كان الناتج الكلي يذهب إلى الخزانة السلطانية، بينما في حالة «الألتزام» كان الناتج يقسم بين «الملتزم» و«الخزانة». وفي كل هذه الحالات كانت «المقاطعات» تُمنح أو تُمنع بحسب الخدمات المتصلة بها. مع ملاحظة ان هذا النظام لم يتعرض لحق الفلاح في أراضي «الأثر».

ويجب ان نلاحظ هنا ان الاشكال الثلاثة «للمقاطعات» تشكل تطوراً تاريخياً هاما في الملكية الزراعية بمصر في هذه الفترة.

فإذا نظرنا لنظام «التيمار» وهو النظام المملوكي السابق للغزو العثماني نجد أنه بمضي الزمن أصبح يمثل «ملكية خاصة» للأرض، حتى أن السلطان الغوري كان يشترى ويمنح لنفسه عن طريق مماليكه أراض واسعة بواسطة نظام «التيمار»، فدخل بذلك في منافسة شديدة مع الامراء المماليك أصحاب التيمارات الأخرى.

ان هذا النظام كان فريداً من نوعه، ولم يكن موجوداً إلا بمصر في هذا العصر، ولكن بعد الغزو العثماني انقرض تماماً، ذلك انه كان يشكل نوعاً من الملكية الخاصة للأرض تسمح لحائزيها بسلطة اقتصادية وسياسية منافسة، وهذا يتعارض مع منطق الغزو العثماني، ولذلك استبدلت السلطنة العثمانية بنظام

«التيمار» نظام «الامانات».
ان نظام «الأمانات» كان يمثل محاولة من سلطات الغزو العثماني ان تضع يدها على الاراضي الزراعية ومواردها في ظل سطوتها العسكرية، من اجل استنزاف موارد مصر لصالح الخزانة السلطانية العثمانية، ودعم نفوذها العسكرى في مصر.
ولكن مع ضعف نفوذ السلطنة العثمانية في مصر وصعود قوة الامراء المماليك، الخاضعين لها اسمياً، ظهر وساد نظام «الالتزام» على حساب نظام «الامانات»، كمحاولة من الامراء المماليك للسيطرة على عوايد الاراضي الزراعية من اجل تأسيس نفوذ اقتصادى يدعم نفوذهم السياسي النامي في وجه السلطنة العثمانية بمصر وهذا ما تم قرب نهايات القرن السابع عشر.
ولقد زاد الامراء المماليك (البكوت) من نفوذهم المادى عندما تمكنوا من السيطرة على عوايد «الحلوان» الناتجة عن بيع الألتزامات الشاغرة، بسبب موت ملتزمها السابق أو سحبها منه بسبب اخلاله بتوريد العوايد. وهي العوايد التي كانت تجسد المظهر الرئيسي للسلطة العثمانية في مجال الادارة والمالية. فمن المعروف انه بعد عام ١٥٨٦ = ٩٩٥هـ كانت عوايد «الحلوان» تمنح للباشا كهبة من السلطان تحت اسم «خاص وزير».
ولكنه في عام ١٦٧١ = ١٠٨٢هـ، عندما أصبح على الباشا أن يدفع للخزانة السلطانية ضريبة سنوية على هذا «الحلوان»، تحولت هذه الضريبة إلى الإدارة المالية في مصر كهبة من السلطان كذلك. ولأن الباشا لم تكن له مصالح مالية مباشرة في رفع عوايد الحلوان حتى لا ترتفع الضريبة التي سيدفعها على هذه العوايد - كما أن نفوذه الذى أخذ في الضعف في مواجهة الأمراء المماليك، قد حدّ من قدرته على تحديد مبلغ مرتفع لهذه العوايد، فإن الصيغة التي انتهت إليها هذه العوايد هي في الغالب ما كان يتفق عليه بين الامراء المماليك على تحديد قيمة هذه العوايد بما يوافق مصلحتهم، بل أحياناً كان هذا الاتفاق يتم مع الباشا نفسه، ولهذا نادراً ما كانت الخزانة السلطانية تعرف الحجم المالي لعوايد «الحلوان».
يضاف إلى ما سبق أنه خلال القرن الثامن عشر ظهرت عادة جديدة مضمونها أن يدفع مشترى الألتزام عربوناً في لحظة الشراء، ثم يُسلم باقي المبلغ على اقساط يدفعها من ارباحه التالية. وكان الملتزم في كثير من الاحيان يماطل في دفع هذه «التقاسيط»، وكان الباشا يفشل في جمعها بسبب ضعف

نفوذه المستمر، حتى وصل الأمر إلى أنه كانت تمنح الألتزامات دون «حلوان»، إما بموافقة الباشا تحت ضغوط الامراء المماليك، أو بالتحايل على ذلك عن طريق ان يقوم الملتزم قبيل موته بالتخلى سراً عن حقه فى الألتزام لمن يرغب فى أن يجعله خليفة له، وحينئذ، عندما يموت وتقوم الإدارة المالية العثمانية بمحاولة الإستيلاء على الالتزام يقوم المالك الجديد بإظهار صكوك تنازل الملتزم المتوفى فيمنع الالتزام من البيع ولا يُحصل عليه بالتالى عوايد «حلوان».

وفى حالات أخرى عندما كان الملتزمون يموتون فى ظروف غير متوقعه - كما فى الطواعين والحروب والمؤامرات - أو يهربون نجد ان ورثتهم كانوا قادرين على ان يجبروا الباشا على ان يبيع التزامه لهم مقابل أن يدفعوا عوايد «الحلوان» للباشا مباشرة، وكان هذا يسمى «المصالحة» وكان العائد الذى يأخذه الباشا فى هذه الحالة يسمى «بمال المصالحة». ولقد حاول الباب العالى ان ينظم هذه العملية بان يمنع المصالحة على الملتزم الهارب أو الذى يعدم بسبب الجرائم الكبرى، ولكن ذلك لم يأت بنتيجة تذكر بسبب اختلال توازن القوى بين الباشا والامراء المماليك.

وعند نهاية القرن الثامن عشر نجد ان الاراضى التى كانت - من الوجهة النظرية - بمثابة ممتلكات للسلطنة العثمانية فى مصر، كانت فى الواقع تُمتلك بوصفها ملكاً خاصاً للأمراء المماليك.

ومن اجل أن تكون هناك صفة شرعية لهذه الملكية الخاصة للارض، حدث تطور أدى إلى ايجاد اسلوب جديد لمنح «المقاطعات» سمى «الملكانى». إن الألتزام يظل نظرياً قابل للبيع والإخلاء، بينما «الملكانى» بالإضافة إلى حقوق «الملتزم» كان له الحق فى ان ينقل «مقاطعته» إلى غيره بالوراثة. وهذا يشكل تطورا هاماً للغاية فى مجال الملكية الخاصة للأرض. وبعد عام ١٧٦٥ = ١١٧٠هـ تحولت معظم مقاطعات الإلتزام إلى نظام «الملكانى» بفضل إزدياد قوة ونفوذ الأمراء المماليك.

وهكذا نجد أن أغلبية المقاطعات فى مصر قد جرى تطورها عبر ثلاثة أنماط من الحيازه هى «التيمار» و«الأمانات» و«الإلتزام» حتى وصلت إلى «الملكانى» الذى يمثل نظام من الملكية الخاصة للأرض كان من الممكن أن يرتقى ويسود لولا قيام نظام محمد على فيما بعد والذى فرض فيه نظام الاحتكار.

ان القوة المادية العسكرية والاقتصادية التى

احتازها الأمراء المماليك عن طريق نظام «الملكانى» فى الارض الزراعيه وكذلك الإقطاعات الاقتصادية الاخرى التى تستغل الموارد التجارية والصناعية، وعن طريق السيطرة على الوجاقات العسكرية، قد مكنها طوال القرن الثامن عشر من نقل السلطة المالية والاقتصادية والعسكرية والإدارية من يد الديوان والباشا إلى ايديهم بفضل صلابتهم وسياسة النفس الطويل على المستوى الاقتصادى - كما سبق وذكرنا - وعلى المستوى العسكرى الذى تمثل فى دفع الامراء المماليك لعبيدهم المعتوقين إلى سلك الوجاقات والسيطرة عليها. فمن المعروف ان كل أمير كان يمتلك جماعة (بيت) خاصة من العبيد يعملون ويدربون على القتال تحت يد نائبه (الكاشف)، وخلال فترة تدريبهم كان الامير (الاستاذ) يدفع لهم معايشهم من خزانته الخاصة، وبعد ان يخدموا عنده عدة سنين يتم عتقهم والحاقهم بالفرق العسكرية (الوجاقات)، ان هذا لم يكن القصد منه اعدادهم لخدمة السلطان - كما يبدو من الظاهر - ولكن بقصد التخلص من عبئهم المالى من ناحية، وكسب ولاء الفرق العسكرية من ناحية أخرى. ولهذا فإنه عند نهاية القرن الثامن عشر نجد أن الفرق العسكرية العثمانية - أسماً - تشارك فى نزاعات البيوت المملوكية - كما حدث فى فتنة افرنج احمد وغيرها - وعندما كان السلطان يرسل إلى الباشا طالباً أمدادات من جنود الفرق العسكرية للحرب، كان الباشا يتصل بالامراء المماليك لإعداد هذه الامدادات فكانوا حينئذ يفرضون شروطهم الخاصة ويحصلوا على عوايد ماليه كافية من الخزانة السلطانية.

وهكذا عند نهاية القرن الثامن عشر نجد ان كل مراكز السلطة العثمانية قد اصبحت فى يد الامراء المماليك «البكوات الصناجق» وكذلك العوايد المالية المنتزعة من الإقطاعات المختلفة. وكان زعيم اكبر البيوت المملوكية، ومن ثم اكثرها قوة، يصبح زعيماً للجميع «شيخ البلد» الذى كان بمثابة الحاكم الفعلى لمصر. وعندما وصل نابليون إلى الأسكندرية لم يحارب الباشا العثمانى، ولكنه كان يحارب شيخ البلد المملوكى.

والسلطان العثمانى نفسه ضحى بالهيئة الحاكمة العثمانية التى سبق وأسسها من أجل مغازلة السلطة المملوكية، وذلك فى مقابل طلب واحد هو وصول الخزانة السلطانية المنتزعة من الاقطاعات. وحتى هذا الطلب خضع فى النهاية للمساومة والمصالحة حتى

توقف فى عهد على بك الكبير وانتهى على يد ابراهيم بك ومراد بك قبل الغزو الفرنسى بقيادة نابليون.

بالإضافة إلى الاراضى التى سبق ذكرها، كانت هناك أراضى وممتلكات أخرى يتم نقل ملكيتها من إطار الممتلكات السلطانية إلى الأبد، وكذلك من إطار الخزانة الاميرية من أجل تدعيم مؤسسات خيرية ودينية ومدنيه.

ان المؤسسات الخيرية كانت تملك نوعين من الاراضى.. الاول هو «الوقف» والثانى هو «الرزق».

١ - الوقف: عندما استولى العثمانيون على مصر وجدوا بها مساحات واسعة من الاراضى الزراعية والنشاطات الحضرية تحت يد الاوقاف، وكان اكبر هذه الاوقاف هى اوقاف السلاطين التى اوقفوها على المدن المقدسة [اوقاف الحرمين]. وقد حافظ السلطان سليم على كل ذلك وتبعه خاير بك الذى صادر بعض هذه الاوقاف لصالح الخزانة الاميرية عندما لم يعثر على حججها بسبب تدمير الدفتردارية المملوكية وتهريب سجلاتها.

وفى الاعوام من ٩٢٤هـ = ١٥١٨م إلى ٩٢٩هـ = ١٥٢٣م، تسبب انخفاض فيضان النيل ومتاعب ما بعد سقوط النظام المملوكى فى حدوث قصور شديد فى الخزانة السلطانية، مما دفع الحكام العثمانيين بمصر فى هذه الفترة إلى ضم العديد من املاك الاوقاف إلى الخزانة الاميرية، وفرض ضرائب على ما تبقى منها موقوفاً.

وفى ظل تطبيق قانون نامه مصر سنة ٩٣١هـ = ١٥٢٥م، قام ابراهيم باشا الحاكم العثمانى بمصر بوضع كل الاوقاف تحت إشراف قاضى القضاه، والذى كان يمارس عمله من خلال ضابط يطلق عليه لقب «ناظر النظار». هذا الضابط كان يجمع ريع هذه الاوقاف من ناظر كل وقف ويصرفها على الوجوه المقررة لها فى حجة الوقف. وكان كبار النظار بما فيهم ناظر النظار يعينون من قبل الباب العالى، اما نظار الاوقاف الصغيرة فكانوا يعينيون من قبل البكوات المماليك أو قضاة المذاهب الاربعة فى مصر.

إن أوقاف الاراضى الزراعية كان يتم استغلالها إما مباشرة على يد الناظر أو وكلاءه، وإما على يد ملتزم فى الغالب كان هو القائم على التزام أراضى المقاطعة المجاورة لأراضى الوقف. وخلال القرن الثامن عشر نجد أن هؤلاء الملتزمين كانوا يحتجزون لأنفسهم الكثير من عوائد الوقف، وذلك بالتضامن مع النظار، حيث كان الاثنين

يقتسمان الايرادات الزائدة. بالإضافة إلى ان هؤلاء الملتزمين كانوا يفرضون عوائد إضافية غير قانونية على فلاحى الاوقاف يدفعون جزءا منها لحاكم المقاطعة تحت اسم «مال حماية»، حتى يتغاضى عن هذه العوائد غير القانونية.
وفى عام ١٠٨٢هـ = ١٦٧١م تم تحويل هذه العوائد من دخل الحاكم إلى الخزانة الاميرية.

٢ - الرزق: ـ جمعها ارزاق ـ يشبه الرزق الراتب وذلك من ناحية الهدف، اما من الناحية التاريخية والقانونية فعلينا أن نتذكر ما يلى:
فى مصر الفاطمية لم يشجع الحكام عملية تحويل ملكية الاراضى الزراعية إلى شكل الاوقاف الدينية والخيرية، وذلك من واقع أن الأرض هى المصدر الاساسى للثروة، ونمو الاوقاف كان سيحرم خزانة الدوله من إيراد هام على مستوى الانتفاع والمستوى الضريبى، ولكن فى نفس الوقت كان لابد من تواجد المؤسسات الدينية والخيرية، ومن هنا ظهر أسلوب الرزق الاحباسية، وهو اسلوب يتم عن طريقه تحويل قسم من عوائد بعض الاراضى الزراعية إلى المؤسسات الدينية والخيرية، فكان الحاكم يفرض عائد سنوى محدد وثابت على حائزى الاقطاعات بوصفه رزقا بالإضافة إلى الضريبة الاساسية، ومن ثم فإن الرزق لم يكن يتضمن اى تنازل عن حق الانتفاع للأرض.
ولكن خلال القرون التى تلت ذلك، نجد أن الجهود التى بذلت من أجل التحكم فى الاوقاف قد فشلت، ونجد انه فى العهد المملوكى أضحت الاوقاف بمثابة المصدر الرئيسى للمؤسسات الخيرية والدينية، مع استمرار اسلوب الرزق ولكن فى نطاق ضيق ومحدود. غير انه إلى جانب اسلوب الرزق الخيرى والدينى ظهر اسلوب الرزق الحربى «الرزق الجيوشى» والذى كان يمنح لاشخاص قاموا بمهام خاصة ومحددة مدى الحياه، ومن هنا كان يحق لصاحبه ان يبيعه أو يورثه أو يحوله إلى وقف خيرى أو دينى.
وكانت «الارزاق الجيوشيه» تصرف من «ديوان الجيوش» بوثيقة يمنحها السلطان تعرف باسم «المرابعه». وهى خلاف «المرابعه الشريفى» التى كان يقوم عليها القضاة المشرفين على «ديوان الاحباس».
وخلال الفترة الاولى من الحكم العثمانى كانت سياسة مراقبة الأرزاق تتأرجح بحسب الظروف. فعقب الفتح مباشرة امر السلطان سليم بترك الاوقاف والارزاق الجيوشية فى أيدى حائزيها، ولكن بعد ذلك، وفى نفس عام الغزو صودرت ايراداتها لصالح القوات

العثمانية. وفى عام ٩٢٤هـ أعاد خاير بك إيراداتها لحائزيها، ولكن فى عام ٩٢٦هـ عاد وصادرها لصالح النفقات العامة. وفى عام ٩٢٧هـ قام مفتش الارزاق بالتحقق من كل حيازات واموال الارزاق وصادر معظمها لصالح الخزانة الأميرية وعلى الأخص «الارزاق الجيشية»:

«وحضر الحائزون إلى منزل [منزل الحاكم] وفى ايديهم الاوراق و«المرابعات» وعندما قرؤها عليه طالبهم باثبات أصل هذه «المرابعات» وأصل أصولها. وعندما كانوا يفشلون فى ذلك كان يتوجه إلى قاضى الحنفية ويقول أن هؤلاء لا يملكون سنداً شرعياً فى هذا الاوراق، ثم يأخذ هذه الاوراق ويرفعها إلى خاير بك. وهكذا حُرم الكثير من حقوق «المرابعات» ومنهم النساء».

انظر ابن اياس ص ٤١٦.

هذا ما ذكره ابن اياس بالنسبة للارزاق الجيشية. ولكن فى شعبان ٩٢٨هـ = ١٥٢٢م صودرت بقية الارزاق بنفس الطريقة. وبعد شهرين من ذلك أعاد خاير بك الارزاق الجيوشية إلى من رضى عنهم، فعاد حوالى الألفين من المرابعات إلى اصحابها. وخلال العام التالى كانت كل الارزاق الجيوشية قد عادت لحائزيها.

وبعد صدور قانون نامه فى عام ٩٣١هـ = ١٥٢٤م تم تكوين «قلم الرزق» وذلك فى إطار الإدارة المالية لمصر بهدف عمل حصر شامل لأسماء حائزى الارزاق لجمع عوائدها «مال خراج رزق» من الملتزمين ثم توزيعها على مستحقيها، هذا القلم «قلم الرزق» كان مستقلاً عن الدفترداريه ولا يخضع لماليتها ولا تضم إيراداته لها، ولكن كان على ملتزمى الأرزاق دفع معلوم للخزانه السلطانيه مقابل إثبات حقهم وحماية هذا الحق يسمى «مال حماية رزق».

نظام جمع الضرائب

أن عوائد الضرائب الزراعية فى مصر كانت تجبى عيناً من الفلاحين، وكان الملتزمون يأخذونها للبيع أما فى أسواق المقاطعة أو الولاية أو فى اسواق العواصم والمدن الكبرى، وذلك من أجل سداد الاموال الخاصة بالخزانة السلطانية. وفى حالات محدودة كان يسمح بدفع جزء من العوائد بشكل عينى للخزانة من بعض اقطاعات الوجه البحرى، فى صورة قطن أو أرز أو خيار شنبر [الخروب] أو سكر بعد تقيمه نقداً.

وعندما كان الفلاح يدفع للملتزم ما عليه نجد أن الملتزم كان يقوم بدفع مبلغ أقل للخزانة السلطانية، ومن ثم يحتفظ بالفارق بين المبلغين لنفسه. وكنتيجة لمثل هذه الممارسات، كان الفلاح يدفع المزيد من النقود بوصفها ضريبة أرض، وذلك اكثر مما كان فعلياً مربوط عليه للخزانة. وفى زمن الحملة الفرنسية قُدر أن ما يقرب من ٢٥ ٪ من عوائد ضريبة الارض التى كان عليها أن تذهب إلى الخزانه، كان يتم الاستيلاء عليها بمثل هذه الطريقة. وفى النهاية نجد أن الفلاحين كانوا مرغمين أن يسلموا كل ناتج عملهم ماعدا ذلك الكم الضرورى لقوتهم الاساسى، وفى كثير من الاحيان كان الفلاحون وأولادهم يقومون بالخدمه الإلزامية عند الملتزمين على سبيل ضمان ولائهم وأدائهم لألتزاماتهم الضريبية المفروضة عليهم.

وعندما كان يزيد عسف وابتزاز الملتزمين للفلاحين خاصة فى سنين هبوط فيضان النيل، كانت تندلع تمردات الفلاحين ويدمرون أجهزة الرى ويقتلون الملتزمين ومعاونيهم.

إن الألتزامات الضريبية المفروضة على كل مقاطعة تجاه الخزانة كان يتم تدوينها فى «تذكرة» بواسطة كاتب القسم المختص بالخزانة، وذلك بعد أن يستلم تقرير عن عدد الفدادين التى تم ريها وزراعتها فى هذا العام. هذه التذاكر كانت تسلم لفرقة من «أوجاق المتفرقة» بالقاهرة، وهؤلاء كانوا يسافرون للاقاليم لجمع المبالغ المطلوبة من حكام الأقاليم وتوصيلها للخزانة بالقاهرة. وفى بعض المناطق كان هؤلاء الجنود يجمعون الضرائب مباشرة من القرى أو الملتزمين عن طريق جنود يعملون فى خدمة حكام الأقاليم. وفى بعض الحالات كان الملتزمون يدفعون الضرائب مباشرة للخزانة فى القاهرة بعد ان يبيعوا محاصيلهم بها، ويحصلون مقابل ذلك على إيصال يرسلونه إلى مناطق التزامهم حتى يمكن اثبات ذلك امام الجنود جامعى الضرائب. ولقد كان يتم جمع هذه الضرائب بشكل موسمى، إما شتوى أو صيفى.

وكانت الضريبة الشتوية تمثل ثلاثة أرباع الضريبة الكلية، كل رُبع يختص بضريبة ثلاثة شهور، والضريبة الصيفية وهى تسدد البقية الباقية من الضريبة. ان الضريبة «الشتوى» كانت هى الضريبة الرئيسية التى كانت تستخدم فى دفع الإلتزامات المالية الخاصة بأراضى الحرمين، أما الضريبة «الصيفى» وهى الضريبة الاصغر فكان يحتفظ بها من أجل سداد الألتزامات المفروضة تجاه «الباب

العالى». ولكن فى القرن الثامن عشر اصبحت هذه الضريبة تستخدم في سداد الألتزامات المالية الخاصة بأراضى الحرمين.

كانت عملية جمع الضريبه «الشتوى» تبدأ مباشرة بعد انحسار مياه الفيضان، وكان ذلك عادة يتم فى الشهر الثالث بعد وصول مياه النيل إلى قمة فيضانها، ومن ثم بداية كسر الجسور النيلية. وبالنسبة لعملية جمع الضريبة العينية للخزانة، فقد كانت تبدأ فى يوليو لترسل إلى الباب العالى عند بداية شهر ديسمبر.

وعندما كان الملتزمون فى وضع لا يمكنهم من ان يدفعوا كل الضرائب المدونة فى التذاكر، كانت النقود الباقية تظل ديناً بوصفها «بواقى» يكلف جنود من أوجاق «الجاويشية» بجمعها، ولذلك فإنه إبان الفترات التى يتم فيها جمع الضرائب أو المحاصيل كانت تحدث معارك وصدامات موسميه بين جنود أوجاق المتفرقة الذين كانوا يجمعون الضرائب الشتوية وجنود «الجاويشية» الذين كانوا يجمعون «البواقى»، ونتج عن ذلك أن جنود أى من الفرقتين كان يهاجمون القرية وفى ايديهم المساوق والعصى الغليظة [العكاكيز] لجمع الأموال من الفلاحين، ومن هنا عرفوا «بارباب العكاكيز».

وبشكل عام كانت الضرائب لا يمكن طلبها قبل أكتمال حصاد المحاصيل، ولكن فى بعض الأحيان كان ضغط الألتزامات العسكرية فى القرن الثامن عشر، خاصة الرواتب المتأخرة للجند، كان يؤدى إلى جمع الضرائب قبل عملية الحصاد، ومن ثم كان يتم الاستيلاء على بقايل المحصول السابق الذى حُجز للبذار، مما يضر بعملية الزراعة فى الاعوام التالية.

وبعد عام ١١٨٣هـ = ١٧٦٩م أصبحت للبيوت المملوكية سيطرة كاملة على عملية جمع الضرائب وحسابها وتوريدها للخزانة وألغى النظام السابق. وهكذا أصبحت عملية تقدير العبء الضريبى وجمعه يتحكم فيه «شيخ البلد» أى الوالى والمماليك، بالاتفاق مع الباشا العثمانى، وهؤلاء يحولون للخزانة المبالغ التى يحددونها بحسب مصالحهم الشخصية مما أضرّ فى النهاية بايرادات الخزانة السلطانية.

الى جانب العوائد السابقة التى كانت تجمع لصالح الخزانة السلطانية، كانت هناك عوائد أخرى تجمع كمصاريف ادارية لصالح القائمين على جمع أموال الخزانة السلطانية تسمى «مال كشوفية»، وهى نوعان، كشوفيه قديم وكشوفيه جديد.

[١] – «كشوفيه قديم»: تشتمل ١– مال كشوفيه. ٢– حق طريق. ٣– تذاكر جاويشية.

٤ - كلوفه وطلبه. ٥- خادم عسكر. ٦- مال جهات.

١- مال كشوفيه: فى قانون نامه مصر، كان من سلطة الكشاف حكام الاقاليم أن يجمعوا ضريبة محددة مقدارها عشرة بارات من كل قرية بوصفها «مال كشوفيه» وذلك على سبيل تعويضهم عن التكاليف التى يتحملونها من مقام وإعاله إبان رحيلهم فى القرى للقيام بواجباتهم. إن هذه الضريبة النقدية قد تم وضعها كبديل لضريبة عينية كان مقدارها خروف عن كل قرية. ولكن مع مضى الوقت أضاف الكشاف إلى هذه الضريبة عوائد أخرى على الفلاح بنفس الأسم لتأخذ نفس شرعيتها.

٢- حق طريق: أعتمدت فكرة هذه الضريبة على ما أقره الغزاة العرب لمصر من أنه كان لكل بدوى عربى يمر بقرى الفلاحين المصريين الحق فى الإقامة والضيافة الإجبارية، يقوم بها الفلاحين صاغرين. وفى قانون نامه مصر كان من حق الجند القائمين على جمع الضرائب الحصول على نفقات الرحلة والإقامة من الفلاحين. وفى الأعوام التى تلت صدور قانون نامه مصر نجد أن مصطلح «حق طريق» قد ضُم اليه عوائد أخرى مفروضة على الفلاحين لصالح الديوان والوالى والملتزمين المحليين وغيرهم. ومرة أخرى نجد أن عوائد جديدة قد تم إعطائها الشرعية عن طريق ربطها بالضرائب التى سمح بها القانون قبل ذلك.

٣- تذاكر جاويشيه: منذ ان اصبح «حق طريق» ضريبة عامة ثابته للعديد من الموظفين، تم فصل الجزء الخاص بالجند عنه وسمى «تذاكر جاويشية» وذلك إبتداء من عام ١١٠٦هـ = ١٦٩٤م، كان يجمعه الجند من الفلاحين بحسب تقديرهم لمسافة السفر ومدة الإقامة، وذلك بناء على «تذاكر» تمنح للجنود بصرف النظر عن أوجاقهم. وقد زادت الضرائب التى جمعت باسم هذه التذاكر بشكل هائل تحت سطوة العنف والاستبداد حتى بلغت ١٫١١٨٫٣٠١ باره فى العام. وذلك كما قررتها الميزانية التى اعتمدها الغازى حسن باشا عام ١٢٠١هـ = ١٧٨٦م. ولكنه مع الوقت صار من الصعب على الجند جمع قيمة هذه «التذاكر» بسبب صراعاتهم واهمالهم، فقام الباشا فى عام ١١٨٩هـ = ١٧٧٥م بناء على طلب الجند والمماليك بضم «تذاكر الجاويشية» إلى ضريبة الارض الزراعية، ثم تخصم منها وتوزع على هيئة رواتب تدفعها الخزانة السلطانية.

٤- كلوفه وطلبه: وهى تشبه ضريبة «حق طريق»، ولكن بينما كانت ضرائب «حق طريق» هذه ذات طابع شرعى، فإن الكلوفة

والطلبه لم تكن كذلك، وظلت غير شرعية بالرغم من أنها خلال القرن الثامن عشر وصلت في متوسطها ما بين ٢٠٠٠ و٢٥٠٠ باره عن كل قرية، وفي زمن الحملة الفرنسية نجد أن ٦٫٢١٧٫٣١٢ باره كان يتم جمعها سنوياً على سبيل الكلوفه والطلبه.

٥- خدم العسكر: هذه الضريبة فرضت على القرى الواقعة في ولايات الوجه البحرى من أجل دعم أوجاقات التفكجيان، الجومليان والجراكسه الذين كانوا يرسلون في معية العسكر لخدمة حكام الولايات والمحافظة على أمنها. وقد كانت هذه الضريبة تجبى من الملتزم على أساس تذاكر يصدرها حكام الولايات. وفي زمن الحملة الفرنسية بلغت جملة الأموال التى جمت تحت هذا الاسم ٤٫٣٩٦٫٣١٣ باره كان أغلبها يستحوذ عليه حكام الولايات.

٦- مال جهات: منذ منتصف القرن السادس عشر كانت هذه الضريبة تجمع من الولايات التي تتجمع خلالها قوافل الحاج المصرى وهي: الغربية والبحيرة والشرقيه من اجل شراء المواد التموينية من هذه الولايات بهدف ارسالها إلى قلاع مدينتي العقبة والأزلم، ولكي تزود قافلة الحاج باحتياجاتها في رحلة العودة من الحج. كانت هذه الضريبة في اول أمرها لا تزيد عن ٥٩٤٫٠٠٠ باره [عام ١١٠٧هـ = ١٦٩٥م] تجمع من الولايات سابقة الذكر. ولكن في عام ١١٨٢هـ = ١٧٦٨م تم رفعها إلى ١٫١٧٥٫٠٠٠ باره، بالإضافة إلى ٣٠٠٫٠٠٠ باره تم فرضها على ولاية المنصورة «مال جهات». ونظراً لأن هذه الزيادات تم فرضها في القرن الثامن عشر فإنها كانت في الواقع تشكل جزءاً من أموال ما يسمى «كشوفيه جديده»، ولكنه تم ادراجها تحت بند الكشوفيه القديم لإعطائها الصفة الشرعية.

ولقد استمرت هذه الضريبة في الزيادة حتى بلغت ٢ مليون باره سنويا في القرن الثامن عشر [عام ١١٨٢هـ = ١٧٦٨م]. ثم استغلت هذه الضريبة وأدرج تحت اسمها العديد من العوائد الباهظة، التي ارهقت الفلاح المصرى، حتى بلغت وقت الحملة الفرنسية ٦٫٩٥١٫٢٨٨ باره كان لا ينفق منها على الغرض المحدد لها إلا النذر القليل.

[٢] «كشوفيه جديد»: وتشمل: ١- مال رفع المظالم. ٢- فردة التحرير. ٣- كلوفه جديدة. من واقع ان ضرائب الكشوفيه القديمة قد تحولت إلى التزامات عرفيه ذات طابع ثابت ومستقر، وأن معظمها قد صادرها حكام الولايات لأنفسهم، نجد أن مجموعة من

الضرائب الجديدة قد أخذت في الظهور من أجل تكوين مصادر دخل جديدة لمراكز قوى جديده، بالرغم من انها قررت وتم جبايتها لنفس اسباب الكشوفيه القديمة. وأهم هذه الضرائب هي:

١- مال رفع الظالم: بعد أن قام محمد بك ابو الدهب بالقضاء على حركة على بك الكبير، وأضحى هو نفسه شيخا وحاكماً للبلد، نجده يسعى لزيادة دخله وعوائده الشخصيه ظلماً وعدواناً بتحميل الفلاحين المصريين عوائد ظالمة جديدة، منها ضريبة سماها «رفع المظالم»... فرضها على كل قرى مصر بعد أن قسمها بحسب عوائدها إلى فئات: عليا يطلب منها ١٢٫٦٠٠ باره سنويا، ووسطى تدفع ٩٫٦٠٠ باره سنويا، ودنيا تدفع ٤٫٨٠٠ باره.

هذه الضرائب وصل عائدها إلى ١٢ مليون باره سنوياً، سيذهب ثلثها لحكام الولايات، وثلث لقافلة الحج، والثلث الأخير كان من نصيب شيخ البلد [محمد بك ابو الدهب]. وتحت حكم خلفاء محمد بك أبو الدهب [أى مراد بك وابراهيم بك] استمرت ضريبة رفع المظالم مع بقاء ضرائب الكشوفية القديمة المشابهة لها والمحددة لذات الاغراض. وعندما أتى الغازى حسن باشا إلى مصر عام ١٢٠١هـ = ١٧٨٦م من أجل أن يستعيد السيطرة على الإدارة المصرية، نجده يصدر مرسوماً ينص على الغاء ضريبة «رفع المظالم» والعديد من ضرائب الكشوفية الجديدة، ولكنه وقبل ان يغادر مصر عائداً إلى اسلامبول نجده يُعيد هذه الضرائب تحت اسم جديد هو «حق الحراس» أو «حق البياتات».

وقد ظلت هذه الضريبة فى زيادة مستمرة دون اى رادع أو ضابط حتى بلغت وقت دخول الحملة الفرنسية ١٦٫٢٧٤٫٨٣٩ باره.

٢- فردة تحرير: في اعقاب خروج الغازى حسن باشا عائداً إلى اسلامبول حدث طاعون كبير فى مصر أدى إلى وفاة اعداد كبيره من الامراء المماليك واصحاب الالتزامات كان من نتيجته استيلاء مراد بك وابراهيم بك على معظم هذه الالتزامات، وقاموا [عام ١٢٠٦هـ = ١٧٩١م] بفرض ضريبة «فردة تحرير» قسمت القرى على اساس ثروتها الإقتصادية، فئة عليا تدفع ٩٠٠٠ باره سنويا، وفئة وسطى تدفع ٦٠٠٠ باره، وفئة دنيا تدفع ٣٠٠٠ باره، ثم زيدت هذه الفئات حتى بلغت عشرين الف باره على الفئة العليا، وخمسة عشر الف باره على الوسطى، وخمسة آلاف بارة على الفئة الدنيا.

٣- كلوفه جديده: عندما فرض محمد بك ابو الدهب ضريبة «رفع مظالم» نجده يفوض القائمين على جمعها من الجند فى ان يفرضوا ضريبة «حق طريق» إضافية نقداً من أجل سداد نفقاتهم، وايضا ضريبة «كلوفه» عيناً من أجل سد احتياجاتهم الغذائية. هذا الضرائب اقرها الغازى حسن باشا عندما أقرّ ضريبة «حق البياتات».

اضيف إلى ذلك عدة ضرائب وعوائد جديدة فرضت على القرى لصالح الامراء المماليك والكشوات وغيرهم ممن يمرون عبر هذه القرى. ومن اجل الحصول على وضع شرعى لهذه العوائد والضرائب وضعت تحت اسم «كلوفه جديده» وصل مجملها عند دخول الحملة الفرنسية إلى مصر ٨٫٩٤٤٫٥٤٧ باره.

***

عوائد البرانى:

والى جانب مال الكشوفيه القديم ومال الكشوفيه الجديده كانت هناك عوائد أخرى يُرهق بها كاهل الفلاح المصرى لصالح الملتزمين تسمى «عوائد برانى».

ان الملتزمين من أجل أن يزيدوا دخولهم فرضوا على القرى مجموعة من ضرائب المخرجات على «المال الحر» أى مال الخراج سميت «برانى قديم». هى ذاتها التى فرضوها بعد ذلك فى القرن الثامن عشر تحت اسم «برانى جديد».

ان عوائد البرانى القديم والجديد كان يجمعها وكلاء الملتزمين كمقابل لأعمال مشروعات الرى والبذار. ولقد كانت متغيرة بحسب النفقات السنويه.

وقد أستمر جمع مال البرانى القديم حتى بعد أنتفاء الهدف منها لسنين طويله، فكانت بذلك تمثل دخلاً للملتزمين دون مقابل. ولقد قدر علماء الحملة الفرنسية عوائد البرانى ١٤٣٫٩٥٠,٠١٦ باره تمثل حوالى ٣٥٪ من مجمل مال الخراج [الحر]، منها ٤٩٫٨٨٠٫٤٩٤ بارة [اى الثلث تقريبا] يستولى عليها حكام الولايات، بينما ٩٤٫٠٦٩٫٥٢٢ باره الباقية كانت تذهب عوائد برانى تذهب للملتزمين.

الفايظ:

كان من حق الملتزمين ان يحتفظوا بفائض الاموال بعد توريد مال الخراج والمخرجات. وتبعاً لأرقام الحملة الفرنسية نجد انه فى عام ١٢١٣هـ = ١٧٩٨م وصل الفايظ الذى استولى عليه الملتزمين الى ١٨٠٫١٥٨٫٥,٧ باره أى ٤٥٪ من مقدار المال الحر فى هذا العام.

وفيما يلى جدول ببيان عوائد المال الحر المجبى من أراضى مصر الزراعية فى عام ١٢١٣ هـ = ١٧٩٨م اعده علماء الحملة الفرنسية:

الولايات	مال ميرى	كوريكچى	تذاكر	مجموع المال الميرى	مال أوقاف	مجموع مال خراج
منوف	١٢,٤٠٣,٩٠٤	١١٠,٠٤٦	٢٣٠,٨٨٦	١٢,٧٤٤,٨٤٠	١,٥٣٥,٧٧٩	١٤,٢٨٠,٦١٩
قليوب	٣,٨٣٨,٤٣٤	٣٠,٢٧٤	٦٢,٠٣٤	٣,٩٣٠,٧٤٢	١,٥٥٥,٧٧٦	٥,٤٨٦,٥١٨
غربية	١٥,٤٠٠,٥٣٥	١٢٥,١١٢	٢٦٠,٥٤٧	١٥,٧٨٦,١٩٤	١,٥٢٨,٨٥١	١٧,٣١٥,٠٤٥
منصورة	٩,٤٩٩,١٤٢	٥٢,٥٨١	١٥٦,١١٥	٩,٧٠٧,٨٣٨	٨٩٢,٠٥٧	١٠,٥٩٩,٨٩٥
شرقية	٥,٠١٢,٣٥٩	٣٩,٩٨٤	٩٤,٥٨٩	٥,١٤٦,٩٣٢	----	٥,١٤٦,٩٣٢
بحيرة	١١,١٤٤,٣٢٩	٤٢,٦٨٩	٩٢,٤٧٩	١١,٢٧٩,٤٩٧	٤٣٧,٣٤٥	١١,٧١٦,٨٤٢
جيزة	٤,٣٣١,٧٣٣	٣٣,٨٣٤	٧٧,٦٠٠	٤,٤٤٣,٢٠٧	٤٢٩,٤٤٨	٤,٨٧٢,٦٥٥
فيوم	٢,٧٩٣,٠٢١	٢١,٨١٦	٢٢,٣٧١	٢,٣٣٧,٢٠٨	٢٠١,٨٧٤	٢,٥٣٩,٠٨٢
اطفيح	٦٣٢,٧٨٠	٦,٠٣٥	٨,١٥٦	٦٤٦,٩٧١	٨٥,٥٠٠	٧٣٢,٤٧١
اشمونين	٣٢٢,١٣٠	٢٣,٧٣٦	---	٣٤٥,٨٦٦	٤٠,٦٩٩	٣٨٦,٥٦٥
منفلوط	٨٠٦,٨٧٠	٢٠,٦٩٦	٩٦٦,٠٠٠	٨٢٨,٥٣٢	٣١,٣٢٠	٨٥٩,٨٥٢
البهنسا	٣,٤٣١,٠٠١	٤٩,٢٩٢	٣٧,٦٥١	٣,٥١٧,٩٤٤	٩٠٢,٧٨٩	٤,٤٢٠,٧٣٣
جرجا	٩,١٩٥,٢٠٩	٧٦,٧٩٦	٣٠,١١٤	٩,٣٠٢,١١٩	٣٦,٠٠١	٩,٣٣٨,١٢٠
الإجمالى	٧٨,٣١١,٤٩١	٦٣٢,٨٩١	١,٠٧٣,٥٠٧	٨٠,٠١٧,٨٩٠	٧,٦٧٣,٤٥٩	٨٧,٦٩١,٣٤٩

بالإضافة الى عوائد المال الحر أو مال الخراج الزراعية كان هناك مال المقاطعات الحضرية في المدن والموانى.

وهذه كانت خلال الخمسين سنة الاولى من الاحتلال العثمانى لمصر تمنح فى شكل امانات غالباً للأقباط واليهود المصريين لألمامهم بأساليب ادارة التجارة والحرف وغيرها، ثم بعد ذلك منحت كالتزامات. ومنذ بداية القرن الثامن عشر سيطر البكوات المماليك على هذه المقاطعات.

وعندما كانت تعرض هذه الألتزامات للبيع كان على الملتزم ان يدفع بارة واحدة فى

مـقـابل كل أربعـة آلاف باره يوردها للخـزانة السلطانيـة، تـضاف الى «مال الحلوان» الذى كـان يرسل إلى اسلامبـول فى أول الأمـر ثم صار الباشا يصادره لحسابه فيما بعد. وبالإضافة الى ذلك كان الملتزم يدفع للباشا «إلباسيه» سنويه، وضريبـة كشوفيه سنويه فى مقابل تعيينه.

ان حائزى التزامات المقاطعات الحضرية كانوا يقومون بكثير مما نسميه الآن بوظائف الحكومة الحضرية. ولكن تكاليف هذه الوظائف كان يقوم بدفعها هؤلاء الذين كانوا يستفيدون منها أو يتأثرون بها وذلك فى شكل ضريبه كان من حق حائز المقاطعة أن يجبيها منهم.

ان هذه الضرائب كـانت توضع بالكامل فى الخزانة السلطانية إذا كان حائز المقاطعة من الأمناء، وجزئيا لو كان حائزها من الملتزمين، فقد كان من حقهم احتجاز جزء منها بوصفه فائظ ربح، وفى مقابل ذلك كان يطلب منهم دفع ضريبة كشوفيه للخزانة السلطانية كانت تسمى «كشوفيه كبير» من أجل تميزها عن الضريبـة التى كانت تدفع من الملتزم للباشا وتسمى «كشوفيه صغير»، والضريبتان لا صلة لهما بمال كشوفيه قديم وجديد.

وكما كان الحال فى مقاطعات الريف والقرى، فإن تولى المقاطعات الحضرية كان يوثق عن طريق أذونات رسميه تسمى «تقاسيط ديوانيه» تصـدرها الخزانة السلطانية ويوقعها كلا من الباشا ومسؤل الألتزام بالخزانة.

ولقد كانت المقاطعات الحضريه تنقسم الى:

(١) مقاطعة الجمرك:

وكانت تشمل جمارك موانى البحر المتوسط مثل الاسكندرية ورشيد ودمياط، وهى الموانى التى كـانت تـتـعـامل مع تجاره اوربا وبقيـة السلطنة العثمانيه. وهناك أيضاً جمرك ميناء البرلس الذى كان يتعامل مع شمال افريقيا، ثم السويس على البحر الاحمر الذى كان يتعامل مع تجارة الجزيرة العربيه وافريقيا الجنوبيـة والهند والشرق الأقصى، ثم بولاق التى كانت تستقبل البضائع الآتية الى القاهرة بالقوارب من كل مكان فى مصـر، ثم ميناء مصر القديمة.

ان الملتزمين الذين كانوا يتولون مقاطعات هذه الجمارك كان يُطلب منهم أن يفرضوا على التجار أن يمروا بسلعهم وبضائعهم خلال هذه المراكز الجمركيـة، وذلك إذا كانت حركتهم فى نطاقها الجغرافى. وأن يفحصوا ويقيموا البضائع ويكتبون بها قوائم ويحددوا مـا عليـهـا من ضـرائب، وان يسـجلوا هذه القائمة لدى القاضى المحلى، وبعد ذلك يرسلوا

هذه القائمة ومعها الأموال التى تمت جبايتها الى الخزانة السلطانية بالقاهرة.

وكان كذلك يطلب منهم تنفيذ اللوائح والتعليمات السلطانية الخاصة بمنع شحن سلع معينه خارج نطاق السلطنة، وان يعاقبوا الذين ينتهكون اللوائح الجمركية، وان ينفقوا على التنظيمات الجمركية من عوائد الجمارك [اخراجات] قبل ان تحول الى الخزانة السلطانية بالقاهرة.

وكان من حقهم زيادة الرسوم الجمركية بحسب قيمة العملة وهبوطها تحت اسم «فرط ريال».

وبشكل عام فإن ايرادات مقاطعة الجمرك كانت فى هبوط مستمر بسبب ضعف الحركة التجارية الناتج عن تدهور الاقتصاد المصرى منذ الغزو العثمانى، وكثرة الحروب العثمانية الاوربية فى البحر المتوسط وانتشار القرصنة، وذلك فيما عدا فترة على بك الكبير التى شهدت بعض الازدهار فى مجمل الاقتصاد المصرى بما فيه مقاطعة الجمرك.

ومن المقاطعات الجمركية الاربعة [دمياط، اسكندرية، رشيد، بولاق] التى كانت تحت سيطرة أوجاق الانكشارية أبتداء من عام ١٠٨٣هـ = ١٦٧٢م، كان مجمل الضرائب المجموعة عام ١١٥٢هـ = ١٧٣٩م يصل الى ٣٢,١٢٥,٠٠٠ باره، يذهب منها للخزانة السلطانية ١٤,٦٤٨,٨٥٢ باره [٤٥٪]، و٦,٧٥٠,٠٠٠ باره [٢٣٪] تذهب للباشا بوصفها «كشوفيه صغير»، والباقى ١٠,٧٢٦,١٤٨ [٣٢٪] كان يحتفظ بها أوجاق الانكشارية كربح لهم. وفى سنة = ١٧٧٩م كان ناتج هذه المقاطعات الاربع ٤٢,٧٥٠,٠٠٠ باره كان ٣٥٪ منها [١٥,٣١٦,٧٠١] يذهب للخزانة السلطانية، و١٥٪ [٦,٧٥٠,٠٠٠] تذهب للباشا، و٥٠٪ [٢٠,٦٨٣,٢٩٩ باره] تذهب للملتزمين. ومن هذه الارقام نلاحظ انه فى الوقت الذى كانت فيه هذه الضرائب فى زيادة مستمره كانت نسبة الخزانة السلطانية فى تناقص مستمر كذلك.

(٢) مقاطعات متنوعة:

وهى التى فرضت على الطوائف الحرفية والنقابات الحضرية.

١ - مقاطعة احتساب نفس محروسة مصر أو «كسب سوق». فى العصور الوسطى كان للمحتسب سلطات واسعة على الاسواق ونشاطات الطوائف الحرفية، لكن فى ظل الاحتلال العثمانى كانت مهمته محددة بمتابعة عيارات الموازين والمكايل والاسعار

الخاصة بالمأكولات فى مدينة القاهرة ومعاقبة مخالفيها، وذلك بالإضافة الى نشاطه الخاص فى توسيع نفوذه بحكم العادات والتقاليد القديمة، ولكنه حتى بالنسبة للسلطات التى كانت لاتزال فى حوزته كان مضطراً للأعتماد على جند الشرطة الحضرية التى يقودها أغا الانكشارية من اجل دعم سلطانه، ومن ثم كان مضطراً لان يقدم لهم جزءاً من جباياته. وخلال النصف قرن الاول من الاحتلال العثمانى كانت مقاطعة احتساب القاهرة تمنح بوصفها «أمانة» لأحد القضاة الذين خدموا قبل ذلك فى إطار الإدارة المملوكية القديمة، ولكن بعد ذلك نجد أنها أصبحت تعطى عادة كألتزام لأحد ضباط أوجاق الجاويشيه، وفى النهاية مع حلول القرن الثامن عشر سيطر أوجاق الانكشارية على مقاطعة «الاحتساب» هذه. يضاف إليها الضرائب المذكورة فى الهامش أدناه. ان المحتسب كان يحصل على عوائد ضخمة غير شرعية وذلك فى صورة «مال حمايه» مقابل السماح بأعمال الغش فى الميزان وجودة السلع.

٢ - مقاطعة خرده: تأسست هذه المقاطعة عام ٩٣٥هـ = ١٥٢٨م لجباية الضرائب على كل اعمال الملاهى فى القاهرة والوجه

---

* فى المدة بين عامى ١١٥٦/ ١١٧٥هـ = ١٧٤٣/ ١٧٦١م نجد أن متوسط عوائد «الاحتساب» السنوية بمدينة القاهرة بالبارة كما يلى على الطوائف.

١ ـ طائفة الخبازين. ١٣.٠٠٠
٢ ـ طائفة الجزارين. ٤.٧٢٠
٣ ـ طائفة النجارين. ٤.٧٢٠
٤ ـ طائفة بائعى الزيت. ٤.٧٢٠
٥ ـ طائفة بائعى السمك. ١.٦٢٠
٦ ـ طائفة بائعى السردين. ١.٨٠٠
٧ ـ طائفة بائعى الخضر. ٠.٣٠٠
٨ ـ طائفة صانعى القناديل. ٠.١٢٠
٩ ـ طائفة اصحاب محال الجزاره. ٠.١٢٠
١٠ ـ طائفة بائعى اللبن. ٠.١٢٠

وعلى السلع الواردة للأسواق فرضت ضريبة «باج بازار» «بائعى السلع والاطعمة» كما يلى بالبارة:

١ ـ بلح قادم من ادكو / من ٢ إلى ٥ للسبت + رطل بلح.
٢ ـ بلح قادم من رشيد/ ١٠ للسبت + رطل بلح.
٣ ـ بلح قادم من أبو قير/ ١٠ للسبت + رطل بلح.
٤ ـ خيار شنبر من رشيد/ ١/٨ سعر البيع + ٥ أرطال.
٥ ـ مشمش ١/٨ سعر البيع + رطل مشمش.
٦ ـ على كل قارب بلح ٣٠٠.
٧ ـ على كل قارب فواكه ١٠٠٠.
٨ ـ كل شحنة تين من ادكو ٤٠٠.
٩ ـ قرع رشيد ١/٨ سعر البيع + ١٠ أرطال.
١٠ ـ بلح من القاهرة ١/١٠ سعر البيع + رطل بلح.
١١ ـ برتقال من رشيد ١/٥ سعر البيع + ٥ ارطال.
١٢ ـ ليمون رشيد ١/٥ سعر البيع + ٥ ارطال.
١٣ ـ بطيخ رشيد ١/٥ سعر البيع + ٢ بطيخة عن كل حمولة.
١٤ ـ بطيخ ابو قير ١/٨ سعر البيع + ٢ بطيخة عن كل حمولة.
١٥ ـ بصل أخضر ١/٢٠ من السعر + ٤ عبوات عن كل حمولة.
١٦ ـ قصب سكر ١/١٠ السعر + ١/١٠ الحمولة.
١٧ ـ بقول جافة ١٠ للشوال.
١٨ ـ ملوخية طازجة ١٥ للشوال.
١٩ ـ ملوخية جافة ١٠ للشوال.
٢٠ ـ بامية رطل عن كل شوال.
٢١ ـ البيض ١٠ للحمولة.
٢٢ ـ جاموس ١٦ رطل عينا عن كل جاموسة
٢٣ ـ بقرة ١٣ بارة عن كل بقرة.
٢٤ ـ زيت ٢٠/٣٠ بارة لكل جرة زيت.

البحرى. وفى عام ١٠٥٣هـ = ١٦٤٣م أدمج فيها ضرائب طوائف الطبالين والسمكرية وبائعى الحديد وصناع الحشيش وغيرهم، وكانت هذه القطاعات مدموجة معاً بوصفها مقاطعة «طاستاخان»، وكذلك دُمج فيها طوائف صناع السكر والحلوى [كانت قبل ذلك ضمن مقاطعة أميرى سكر]. وفى إصلاح عام ١٠٨٣هـ = ١٦٧٢م كانت تقطع بوصفها التزاماً لأوجاق متفرقة وجاويشيه، ولكنها بعد ذلك اصبحت تمتلك كألتزام لأوجاق عزبان، وكانت هى الاداة الرئيسية التى تمكن بها من توسيع نفوذه داخل نظام الطوائف الحرفية فى القاهرة والوجه البحرى.

ومن عام ١١٥٦/ ١١٧٥هـ = ١٧٤٣/ ١٧٦١م نجد أن حقوق وعوائد أمين الخردة كانت كما يلى:

(١) حق فرض وجباية ضرائب عن كل اعمال الملاهى الخاصة بالراقصين ذكوراً ونساءً، والعاهرات وسحرة الثعابين والقرداتيه وقارعى الطبول ولاعبى القمار والمنشدين وبائعى الحشيش والفتوات فى القاهرة والوجه البحرى. وكان ذلك يعود سنويا بحوالى ٧٠٫٠٠٠ بارة من القاهرة، و٩٧٫٠٠٠ باره من الوجه البحرى.

(٢) حق الحصول على جلود واعضاء الحيوانات النافقة وبيعها لحسابه. وكان ذلك يعود على امين الخردة سنويا ٦٢٫٠٠٠ باره.

(٣) جباية ضرائب على مقامات الأثنى عشر قديساً فى القاهرة وبولاق ومصر عتيقه، كل مقام عليه ١٢٫٦٨٧ باره سنوياً مجموعها ١٥٢٫٢٤٤ باره.

(٤) جباية ضرائب على تجار دخان سمنود والمحلة الكبرى مجملها ١٨٫٠٠٠ باره سنويا.

(٥) جباية ضرائب على مصانع الحلوى فى القاهرة ومصر عتيقه وبولاق، كانت تدفع سنوياً ٣٦٫٠٠٠ باره.

(٦) جباية ضرائب على الخمامير، يجبى منها سنوياً ١٩٫٠٣٠ باره.

(٧) جباية ضرائب على صانعى شوبك الدخان فى مصر عتيقه مقدارها ١٠٫٤٠٠ باره سنويا.

(٨) جباية ضرائب على قاطعى فروع النخيل [تستخدم فى صناعة الاثاث والسلال] مقدارها ١٠٫٥٦٧ بارة سنويا، وقد كان لهم طائفه تتكون من شيخ للطائفة وسبعة اساتذه [معلمين] وتابعيهم من الحرفين.

(٩) حق فرض وجباية ضريبة حمايه على ملتزمى مصنع ملح النشادر بالقاهرة مقدارها ٣٫١٢٠ باره سنويا.

(١٠) جباية ضريبة على صناع عروق الخشب الخاصة بسقوف المنازل مقدارها ٧٫٠٠٠ باره سنويا.

(١١) جباية ضريبة حمايه على دلالى بيع الجمال فى ميدان الرميله مقدارها ٣٫٥٣٦ باره سنويا.

(١٢) جباية ضريبة حمايه على الحديقه المسورة فى القبة بالقاهرة حيث النساء المغنيات والعواهر مقدارها ١٫٦١٦ باره سنويا.

(١٣) جباية ضريبة على أسواق الحبوب والخضر والفاكهة والحيوانات فى مدينة الفيوم والواحات وكذلك الجزارين والمغنيات والراقصين [الغوازى] مقدارها ١٧٧٫٧١٦ باره سنوياً.

(١٤) جباية ضريبة جمركيه على كل البضائع العابرة على معديات النيل فى بولاق ومصر عتيقه مقدارها ٥٠٫٠٠٠ باره سنوياً.

(١٥) جباية ضريبه جمركية على كل البضائع العابرة بقناة الناصريه التى تربط الاسكندريه بالنيل مقدارها ١٫٠٠٧ باره سنوياً.

(١٦) جباية ضرائب على الراقصات والعاهرات والغوازى بالصعيد مقدارها ٩٫٠٠٠ باره سنوياً.

(١٧) جباية ضرائب على صانعى القلل والأزيار مقدارها ١٠٫٣٠٠ باره سنوياً.

(١٨) جباية ضرائب على صانعى السروج مقدارها ٩٫٧٠٠ باره سنوياً.

(١٩) جباية ضرائب على صانعى دخان التمباك مقدارها ٧٫٠٠٠ باره سنوياً.

(٢٠) جباية ضرائب على بائعى اسواق المأكولات فى بنى سويف مقدارها ٢٠٫٨٠٠ باره سنوياً.

(٢١) جباية ضرائب على صانعى صباغى الحرير بالقاهرة مقدارها ٢٠٫٢٨٠ باره سنوياً.

٣- مقاطعة «سمسارية بحرين»: أسست هذه المقاطعة من أجل رقابة نشاطات السمسرة التى تمارس فى مينائى مصر عتيقه وبولاق، ومن ثم فقد كان حائز هذه المقاطعة يسمى «امين البحرين»، والى هذه المقاطعة أضيف حقى جباية ضرائب على الملاحة فى النيل واستخدام المينائين «مقاطعة تعريف مراكب» وذلك فى سنة ٩٧٣هـ = ١٥٦٥م، كما أضيف إليها حق رقابة نشاطات السمسرة فى سوق الحبوب والبذور وذلك فى عام ٩٧٨هـ = ١٥٧٠م. كذلك أضيف لها «مقاطعة كيالى غلال بولاق» فى عام ١١١١هـ = ١٦٩٩م لتحصيل ضرائب على وزن الغلال، لذلك كانت هذه المقاطعة أهم المقاطعات

الحضرية، وكان «امين البحرين» واحداً من أقوى المؤثرين فى شئون الحياة السياسية والاقتصادية بمدينة القاهرة.

وحتى عام ٩٨٨هـ = ١٥٨٠م. كانت هذه المقاطعة تُمنح كأمانه لأوجاق متفرقة، ولكنها بعد هذا التاريخ أصبحت تمنح كألتزام، وخلال القرن السابع عشر كان يأخذها تجار من يهود القاهرة، ولكن خلال القرن الثامن عشر كان يأخذها اوجاق العزبان.

ومن عام ١١٥٦هـ = ٧٤٣م حتى عام ١١٧٥هـ = ١٧٦١م كان متوسط عوائد «أمين البحرين» كما يلى:

بالنسبة لمقاطعة سمسارية البحرين:

(١) على كل مركب يصل الى المنطقة المجاورة لميناء العقبة ٢٠ باره.

(٢) على كل مركب يأتى من إمبابه الى موانى بولاق ومصر العتيقة فى رحلتها الأسبوعية تدفع ١٠ بارة، أما المراكب الاربعة الكبيرة فتدفع اسبوعياً ٢٠ باره.

(٣) على كل جوال قمح يصل على المراكب ٢ باره.

(٤) على ملتزم شونة السكر فى بولاق ٢٠٠,٠٠٠ باره سنوياً.

(٥) على صباغى الحرير فى بولاق ومصر عتيقه ٧٨,٠٠٠ باره سنوياً.

(٦) على مصنع النشا بمصر عتيقه ١٥,٠٠٠ بارة سنوياً.

(٧) على ملتزم شونة الحبوب فى بولاق ٢٠,٠٠٠ بارة سنوياً.

(٨) على كل قارب قمح يصل الى بولاق ومصر عتيقه باره واحده عيناً وخمسة بارات نقداً من أجل السماح له بإنزال حمولته على الرصيف.

وبالنسبة لمقاطعة كيالى غلال بولاق:

(١) نصف أردب قمح على كل مائة أردب فى حوزة التجار المتعاملين فى القمح، ويتم ذلك مرة كل شهرين.

(٢) فى عام ١١٧٥هـ = ١٧٦١م، كان أردب القمح يباع رسميا بسعر ١٠,٥ باره، يضاف الى ذلك أن البائع كان يجب عليه أن يدفع ١,٧٥ باره عن الاردب لأمين البحرين، وحوالى ٣٣,٠ باره للدلال، ونصف باره للصراف ونصف للكاتب الذى يسجل عملية البيع، ونصف للحمالين. وهذا يجعل مجمل سعر الاردب للمشترى حوالى ١٤,٦ باره.

وترجع اهمية هذه العملية الى انه كان لا يمكن لأى تاجر ان يبيع قمحه الذى يشحن للقاهرة إلا عن طريق أمين البحرين.

(٣) على القمح الذى يشحن من القاهرة [من مينائى مصر عتيقه وبولاق] الى خارج

البـلاد ٢ باره لكل أردب لأمين البـحـرين، وبارتان لموظفيه واتباعه، ونصف باره للكيال و٢٥ر٠ باره للحمال.
(٤) على كل كيال فى شونة القمح ببولاق ٣٥٠ باره شهرياً.
(٥) كان من واجبات أمين البحرين استلام ١٦٠٫٠٠٠ باره سنوياً من الخزانة السلطانية لشراء جزء من البارود الذى يصل للموانى لصالح السلطان [الباب العالى].

٤ ـ مقاطعة كيالى الارز المبيض لبندر دمياط:
إن اقليم زراعة الارز الرئيسى فى مصر كان يقع فى المناطق المحيطة بمدينة دمياط، وكان أرز هذه المنطقة يرسل الى كل الاجزاء فى السلطنة العثمانية، وأيضاً الى أوربا. وفى عام ١٠٢١هـ = ١٦١٢م، تم تأسيس «مقاطعة كيالى الارز المبيض» من أجل التحكم فى جباية ضرائب هذا النشاط الذى كان يتركز أساساً فى شونه الارز بدمياط.
وخلال القرن السابع عشر، نجد ان هذه المقاطعة كان يحوذها كألتزام أوجاق المتفرقة، وبعد عام ١٠٨٣هـ = ١٦٧٢م أضحى يحوزها أوجاق عزبان. ومن عام ١١٥٦هـ = ١٧٤٣م الى عام ١١٧٥هـ = ١٧٦١م كانت عوائد ملتزمى هذه المقاطعة كما يلى:

(١) على كل أردب أرز يشحن للخارج بحراً ٢٠ باره.
(٢) كل أردب أرز يباع فى شونة الارز ٧ باره.
(٣) على كل أردب حبوب أو بقول يباع بمدينة دمياط باره واحده.
(٤) على كل عشرة أرادب سمسم تأتى من مصر ٤ باره.
(٥) على كل سبت سمسم يأتى من سوريا من أجل بيعه فى دمياط ٤ باره.
(٦) على كل سبت سمسم يأتى من سوريا من أجل بيعه فى القاهرة ٦ باره.
(٧) على كل عشرة أرادب من البقول المباعة بدمياط نصف أردب عينا.
(٨) على كل ثلاثة أرادب من البذور والحبوب باره واحده

والى جانب هذه المقاطعات الأربع كانت توجد عدة مقاطعات صغيره مثل مقاطعة «حمام باشا» لجنود الاوجاقات فى القلعة حتى لا يختلطوا بالاهالى فى حماماتهم، وهذه ضُمت لمقاطعة جمرك بولاق ومصر عتيقه عام ١٠٨٣هـ = ١٦٧٢م. ومقاطعة «جزيرة» قرب بولاق، ضمت كذلك لمقاطعة جمرك بولاق». ومقاطعة «مرتجع رشيد»، ومقاطعة «بحيرة سمك» المنزله. ومقاطعة «مال حمايه

أرز ميرى» التى تأسست عام ١١٠٨هـ = ١٦٩٦م على معلم دمياط المتولى شئون مقاطعة الارز بدمياط. مقاطعة «مال جبايه اوغلى» خاصة بشراء الذهب لسك العملة. ومقاطعة «احتساب قبانى بندر رشيد». ومقاطعة «احتساب قبانى بندر دمياط. ومقاطعة «مال حمايه كتابة جمرك بندر اسكندرية». مقاطعة «حماية ميزان قطن بندرشيد». مقاطعة «حماية دمغة سام وكاخان سام» كانت تفرض على أمين الدمغة. مقاطعة «حماية جمرك بندر بولاق» مقاطعة «حماية كتان وقطن بندر بولاق». مقاطعة «وكالة ملح بندر بولاق». مقاطعة «وكالة زبيب» فى ميناء دمياط. مقاطعة «مال عشور». على جمرك التوابل والسنامكى بميناء السويس تأسست فى شعبان ١١٦٤هـ = ١٧٥٠م. مقاطعة حماية «وكالة عصفر مصر المحروسة».

وحتى عام ١١٣٥هـ = ١٧٢٢م كانت مدفوعات الضرائب الخاصة بالمقاطعات الحضرية يتم نقلها للخزانة السلطانية. ولكن بعد ذلك ومن دافع استحواذ البكوات المماليك على معظم المقاطعات واستقلالهم عن سلطة الباشا، فقد كان من النادر أن يجمع أكثر من ٦٠٪ من الضرائب المستحقة، وبعد ظهور على بك الكبير فى عام ١١٨٤ هـ = ١٧٧٠م وحتى وصول الحملة الفرسية، كانت عملية دفع هذه الالتزامات مثلها فى ذلك مثل الضرائب الزراعية، يتم عن طريق اتفاق مباشر بين الباشا و البكوات المماليك يحقق مصالحهم الشخصية.

إلى جانب كل الضرائب السابقة والتى كان من المفروض توريدها للخزانة السلطانية كانت هناك مقاطعات أخرى لا تورد جباياتها للخزانة السلطانية بوصفها «تيمار» مقابل خدمات خاصة يؤديه أصحابها للسلطان. ومن هذه التيمارات مايلى:

١ ـ ضريبة ميناء: كانت تجبى على كل سفينة على وشك الابحار.

٢ ـ حساب باجى بازار: كانت تجبى على الباعة فى الميناء.

٢ ـ ضريبة صيد السمك فى الميناء.

٤ ـ غرامات جنايات على ما يحدث من جرائم كان إيرادها حوالى ٢٥٠٫٠٠٠ بارة سنويا فى المتوسط.

وبعد عام ١١٧١هـ = ١٧٥٨م نجد أن البكوات المماليك استولوا على هذه التيمارات وظل الأمر على ذلك حتى قدوم الحملة الفرنسية. بل استطاعوا أن يستولوا على العديد من الضرائب الأخرى مثل: ضرائب صيد الأسماك فى النيل، واستغلال الملاحات،

وانتـاج النطرون ووكـالات الأرز والكتـان والقطن والتوابل والبذور والسكر ووكالات بيع الدواب والدخان والبن والحرير.

* إلى جـانب ذلك كـانت هناك أمـوال «كشوفية كبير» كانت تفرض منذ الاحتلال العـثمـانـى على كل الموظفين العـاملين فى خدمـة الديوان بمصر وتدفع إلى الباشا. وفى أواخـر القرن السـادس عشـر وبدايات القرن السابـع عشر، كانت عوائد الكشوفية يصل متـوسطهـا إلى ٤ مليـون بارة فى العام كـان يتم دفعها للباشا فى حفل رسمى يعقد فى بدايـة شـهـر «توت» وهو الشـهـر الأول من السنة المالية.

وفى عـام ١٠٤٢ = ١٦٣٢م وصلت عـوائد «كشوفية كبير» إلى ١٢.٥٠٤.٠٠٠ بـارة ولكن مع سقوط مصر بعد ذلك فى حالة من الفوضى الإدارية والسياسية نجد أن الرقم قد تـدنى إلى ٧. ٥٠٠.٠٠٠ بارة تقريبا فى عام ١٠٦٣هـ = ١٦٥٢م. وفى عـام ١٠٧٦ هـ = ١٦٥٦ م وصـل الرقـم إلى ٥.٥٠٠.٠٠٠ ليس أكثر.

* وإلى جانب أموال «كشوفية كبير» كانت هناك الجزية أو «مال جوالى:

خـلال القرن السابع عـشر كـانت مـقاطعـة الجزية تمنح التزامًا للأمراء المماليك، و كان صاحب هذا الالتزام يسمى «امين الجوالى».

وفى عـام ١١٤٧ = ١٧٣٤م تم الغـاء التـزام «مـال جوالى» وضم إلى «جزية دار» المركـزية فى «ادرنة».

وفى عام ١١٥٢ = ١٧٣٧م كان مجموعها ١٨ مليون بارة، خُصم منها. ٦٧٩.٧١٠ بـارة للباشا وبقية الموظفين باسم «كشوفية صغيرة» و «مرتبات» كمـا تخـصم ٤٠٠.٠٠٠ بـاره «كشوفية كبير»و ١.٩١٦.٠٠٠ بـارة «باقى مال جوالى» أما الباقى وهو ١٥.٠٠٧. ٢٩٠ باره تذهب للباب العالى.

* وإلى جـانب ذلك كـان يوجـد «مـال الحلوان»:

خلال القرن السـادس عـشـر والسـابع عـشر، كـانت عـوائد بيع مـقـاطعـات الممـتلكات السلطانية تذهب مباشرة إلى الباشا والسلطان ولا تذهب للخزانة فيما عدا حالات خاصة.

وفى الاصـلاح الذى تم عـام ١٠٨٣هـ = ١٦٧٢م طلب من الباشا أن يدفع قسمًا منها بوصـفـه «مـال الحلوان» للخـزانة السلطانيـة مقداره مليون باره، ثم ارتفع من واقع حدوث «زيادة» و «مضـاف» إلى ٢،١١٣.٠٠٠ بـاره وقت وصول الحملة الفرنسية.

* مال «التفاوت» أو «وفر الكيل»: كانت هذه

أحد العوائد الرئيسية للخزانة سواء نقدًا أو عينًا. وكان هناك كذلك «تفاوت خاص» تحصله الخزانة على كل ما تدفعه كرواتب أو نفقات خزينه مقداره بارة واحدة على كل أربعين بارة تدفعها الخزانة.

وفى عام ١٠٢٥ = ١٦١٦م كان مقدار ما حصلته الخزانة لصالحها حوالى ٩٣٦،١٥٢ بارة، وصل فى عام ١٠٧٥ = ١٦٦٤م إلى ١،٧٩٠،٠١٦ بارة.

يضاف إلى ذلك أنه خلال القرن السابع عشر تم رفع نصيب الخزانة إلى حوالى ١٥ باره على كل أربعين باره تدفعها للأغراض السابق ذكرها تحت اسم «تفاوت خزنة» أو «تفاوت فضة» بحسب العملة التى تدفع بها. أن هذا المبلغ وصل من ٧٥٤،٠٥٢ باره عام ١٠١١ = ١٦٠٢ م إلى ١٣،٤٥٨،٤٩٩ عام ١٠٤١ = ١٦٣١م.

* «تفاوت كيل: وكان عينًا على الحبوب للخزانة، مقداره ١/٨ الاردب الذى تصرفه الخزانة، لتعويض الحبوب التى تفقد بسبب غرق المراكب التى تنقلها، ولتزويد عمال الشون بحاجتهم من الحبوب، وما يتبقى منها كان يمنح للباشا واتباعه.

وخلال القرن الثامن عشر كان مجمل «تفاوت كيل» يصل إلى ٣٦،٠٠٠ أردب سنويا يذهب منها للباشا ٢٦،٠٠٠ أردب.

* «زيادة وفر كيل» بسبب زيادة «تفاوت كيل» من الحبوب كانت الخزانة تفضل أن يبيعها الملتزم ويسددها نقدا.

(٣) بيت المال: أن السلطان لم يكن له فقط حق الاستيلاء على كل الثروات التى ينتجها الذين يعيشون ويعملون فى أراضى السلطنة، ولكن كان من حقه أيضا أن يستولى على الأموال والممتلكات الخاصة لمن يموتون دون وارث.

أن حق السلطان هذا تم نقله فى صورة مقاطعة «بيت المال» وكان حائزها يسمى «بيت المال امين» أى أمين بيت المال.

ولكن فى عام ١٠٨٣ = ١٦٧٢م تم ضم هذه المقاطعة إلى «مقاطعة مال خردة».

(٤) «فايظ خيار شنبر»: هو الخروب. وكان يعتقد وقتها أنه لا ينمو إلا فى مصر. وحتى عام ٩٧٤ = ١٥٦٦ م كانت عائلة شامية واحدة تملك حق التجارة فيه، فتجمعه من الفلاحين والبدو. وبعد ذلك التاريخ نقل الباشا هذا الحق إلى التجار اليهود فى صورة التزام مقابل ٣٠٠،٠٠٠ باره سنويا. وفى عام ٩٩١ = ١٥٨٣م استعادت الخزانة هذا الحق ومنح على شكل «امانات» لوكلاء يرسلهم الباب

العالى وأضيف لها مقاطعة جديدة خاصة باحتكار حق استيراد وبيع «السنامكى».
وقد زادت عوائد هذه المقاطعة مع الأيام بصورة سريعة مما دفع الأمراء المماليك إلى الاستيلاء عليها فى صورة «التزام» ابتداء من عام ١٠٥٧ = ١٦٤٧م ودفعوا عوائده «كشوفية كبير» للخزانة. ومنذ هذا التاريخ أصبحت هذه العوائد تدرج تحت «عوائد كشوفية».
(٥) «فايظ مشاقى ميرى»: تأسست هذه المقاطعة كأمانة خلال القرن السادس عشر من أجل تزويد الباشا بالأموال اللازمة لإرسال الحبال وأدوات خاصة بالاسطول السلطانى. إن «أمين مشاقى» كان من حقه جباية ضريبة تتراوح بين عشرين باره ومائة باره من قرى محددة بالوجه البحرى، وذلك كجزء من «ألتزامات المخرجات» لصنع الحبال فى بولاق وإرسالها إلى الباب العالى. وكان هذا الأمين مُلزم بإعادة الفايظ من المبلغ الذى جمعه للخزانة. وبعد عام ١٠٥٧ = ١٦٤٧م أمتلك هذا الحق فى صورة التزام مقابل «كشوفية كبير» للخزانة.
(٦) «فايظ مقاطعة البارود»: من أجل تزويد الديوان والباب العالى بالبارود تم تأسيس هذه المقاطعة فى صورة أمانة يديرها «الجبجى باشى» وهو رئيس السلاحليك. وكان له حق تنظيم طوائف صانعى البارود بالقاهرة والاسكندرية. إن الضرائب التى كانت تفرض على القرى المنتجة للبارود كانت تؤخذ عيناً. وكان يتم أيضا تزويد «أمين بارود» بالاعتمادات المالية الإضافية من الخزانة لشراء بقية ما يحتاجه الباب العالى من البارود وذلك فى الغالب عن طريق «أمين البحرين».
(٧) «مال سردار قافلة» سردار القافلة وكان يسمى «قافلة باشى». وكانت مهمته تزويد القوافل بالجمال وغيرها من حيوانات الحمل وخاصة قوافل الحاج والإرساليات المصاحبة لها، وكذلك قوافل التجارة بين بندر السويس والقاهرة، ثم أصبح من مهامه حماية هذا القوافل من البدو العرب القاطنين على طريقها وذلك عن طريق دفع أتاوات لهم يأخذونها من كل قافلة بما فيها قافلة الحاج.
ولما كان واجبه أن ينفق نفقاته هذه مسبقاً، فقد كان يجمعها بعد ذلك من التجار المستفيدين من هذه القوافل. أما النقود التى كان يحتاجها من أجل المزيد من هذه النفقات فكانت تعطى له من الخزينة بصفة قرض عليه سداده من الضرائب التى سيجنيها لهذا الغرض.
وفى النصف الأول من القرن السابع عشر ارتفعت من ١٣٫٨٩٢ باره سنويًا إلى ٩٣.١٢٠ باره عام ١٠١٢ = ١٦٠٣م. وبعد

عام ١٠٢٣ = ١٦١٤م أعطى «قافلة باشى» مهمة تزويد الحجاج بالجمال والدواب عند عودتهم من الحج، ومقابل ذلك منح أمانة «مقاطعة بيع الجمال» فى القاهرة، والفايظ الذى يتبقى بعد ذلك عليه أن يعيده للخزانة، وقد بلغ هذا المبلغ ١٥٣٫٧٠٠ باره عام ١٠٤٢ = ١٦٣٢م، ثم وصل إلى ١٦٥٫٥٣٥ باره عام ١٠٥٨ = ١٦٤٨م وبعد هذا التاريخ نجد أن هذه المقاطعة بدورها تحولت إلى التزام يسمح لقافلة باشى بأن يحتفظ بهذا الفايظ لنفسه مقابل أن يدفع ضريبة «كشوفية كبير» للخزانة.

(٨) «فايظ أمين سكر»: إن مقاطعة انتاج وتوزيع السكر فى مصر تم تأسيسها على شكل «أمانة» يحوزها «أمين سكر» كانت مهمة جمع السكر المدفوع للخزانة عيناً بوصفه ضريبة زراعية، ويرسل إلى الباب العالى كمية السكر التى يلتزم بها تجاه الباب العالى. وكل الأرباح الناتجة عن البيع كان يجب أن يعيدها «أمين السكر» إلى الخزانة وقد زاد هذا الإيراد من ٣٢٫٦٠٠ باره إلى ١٩١٫٥٣٩ باره عام ١٠٢٣ = ١٦١٤م، وبعد هذا التاريخ أصبح على «أمين السكر» أن يرسل للسلطان كل السلع التى يحتاجها من مصر، ومن ثم نجد أن لقبه قد تغير إلى «أمين خرج خاص».

(٩) «فايظ أوقاف»: فى القرن الثامن عشر خولت الخزانة حق تسلم ما يفيض أو يتبقى من عوائد الأوقاف العامة الكبيرة، وذلك بعد أن يكون قد تم أداء كل الالتزامات المحددة لهذه الأوقاف.

(١٠) «معلوم الناظر»: كان تعيين «ناظر النظار» يتم من أجل مراقبة «نظار» الأوقاف العامة. وبناء على ذلك أعطى الحق فى فرض ضريبة عليهم بهدف سدّ احتياجاته ونفقات الأعمال التى يقوم بها، وما كان يتبقى بعد ذلك للخزانة السلطانية.

(١١) «مال قرض كسوة شريفة»: ان مقاطعات ريفية وحضرية عديدة خصصت كأوقاف لسداد نفقات الكسوه التى ترسل سنوياً مع قافلة الحج. أن هذه النفقات كانت تؤخذ على شكل قرض من الخزانة ، وكان هذا القرض تستعيده الخزانة من عوائد الأوقاف المخصصة لهذا الغرض. وقد أرتفع هذا القرض من ٧٢٫٨١٣ باره عام ١٠١٠ = ١٦٠١م إلى ١٥٢٫٦٣٦ عام ١٢٠١ = ١٧٨٦م.

كان ذلك هو الشكل الأساسى للضرائب الحضرية وإلى جانبها كان يوجد عدد من الضرائب الحضرية الأخرى بالمعنى الحرفى أقل أهمية ولذلك لم تكن محل نزاع بين البكوات والمماليك والباشا والفرق العسكرية.

الجبرتى ورؤيته لعصره

على الرغم من نسبة عبد الرحمن الجبرتى إلى بلدة «جبرت» الحبشية، إلا أن ارتباط اسمه بهذه البلدة لا يتعدى أكثر من كونه الموطن الأصلى لأجداده القدامى، فجده السابع وسميه الشيخ عبد الرحمن هو أول من هاجر من أجداده إلى مصر لتلقى العلم فى الجامع الأزهر حيث أصبح شيخًا لرواق الجبرتية.

وبدءًا من جده الخامس بدأت أخبار ثروة الاسرة تصل إلينا، فقد تزوج «زينب الجوينية» أبنة القاضى عبد الرحمن الجوينى، التى كان لها «أماكن جارية فى ملكها، وقفتها على ولدى زوجها». وتنقطع أخبار ثروة الاسرة لتقف بنا عند جده الأول الذى مات تاركا والد الجبرتى «الشيخ حسن الجبرتى» فى كفالة جدته. ويبدوا أن الجدة المذكورة كانت شديدة الثراء، فقد كان لها «مكانا مشرفا على النيل بربع الخرنوب» و «مكان بمصر العتيقة أيام النيل بقصد النزهة». وعندما ماتت وقفت على الشيخ حسن الجبرتى عدة أماكن منها الوكالة بالصنادقية والحوانيت بجوارها، وبالغورية ومرجوش، ومنازل بجوار المدرسة الاقبغاوية.

والأرجح أن الشيخ الجبرتى الأب قد ضاعف هذه الثروة بالمصاهرة، فقد تزوج من بنت رمضان شلبى بن يوسف المعروف بالخشاب «وهم بيت مجد وثروة ببولاق، ولهم أملاك وعقارات وأوقاف، من ذلك : وكالة الكتان، وربع، وحوانيت تجاه جامع الزركاش، وبيت كبير بساحل النيل». وغالبا أن هذا كله أو جزء كبير منه قد آل إلى الشيخ حسن، فقد توفى رمضان شلبى فى حياة ابنته، وظلت فى عصمة زوجها إلى أن ماتت فى حياته.

وقد تضاعفت هذه الثروة أيضًا بالتجارة، فالشيخ حسن كان «مع اشتغاله بالعلم يعانى التجارة والبيع والشراء والمشاركة والمضاربة والمقايضة».

ويبدو أن هذه الثروة قد تضاعفت على يد مؤرخنا الجبرتى، ويفسر البعض جولته فى الوجه البحرى التى قام بها عام ١١٨٩هـ = عقب وفاة والده بأنها كانت للاشراف على املاكه وضبطها، وكان بعضها فى إبيار قرب كفر الزيات. كما كانت له أملاك فى ادكو. كل ذلك انتقل إلى الجبرتى بعد وفاة والده.

والجبرتي ولد عام ١١٦٧هـ = ١٧٥٤م من إحدى السرارى، وتلقى تعليمه الأولى فى بعض الكتاتيب التى كانت منتشرة فى حى الأزهر، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدرسة السنانية بالصنادقية، ولم يكن قد تعدى العاشرة من عمره حين التحق برواق الشوام بالأزهر وتلقن مذهب الحنفية على يد صديق أبيه الشيخ عبد الرحمن العريشى.

وقد اتيح له فى الأزهر أن يتتلمذ على يد كثير من الشيوخ كان أشهرهم الشيخ محمد مرتضى الزبيدى صاحب «تاج العروس» وعبد ربه العزيزى وغيرهما.

خلف الجبرتي والده فى احتلال مكانته لاجتماعية وخاصة أملاكه العديدة ومكتبته العامرة. وفى هذه البيئة العلمية المترفة نشأ الجبرتي.

ويمكن القول أنه ظل حتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى معنياً بتراث أبيه، وخاصة فى علوم الهيئة والفلك والحساب. يقرأ كتبه لتلاميذه، ويضع عليها الحواشي والشروح، ويضبط حساب الافلاك والنجوم وما يتصل بها من عمل التقاويم ومواقيت الصلاة.

ولقد كان للجبرتي صلات عديدة بامراء عهده من المماليك، يظهر ذلك واضحًا فى اهتمامه الشديد بتدوين تراجم خاصة عنهم، ذلك أن الروح الأساسية التى كانت تتلبسه، كانت روح مملوكية أكثر منها عثمانية.

أما موقف الجبرتي من السلطنة العثمانية فكان الولاء التام لهم ولمذهبهم الحنفى، وإن كانت تفلت منه فى بعض الأحيان بعض العبارات التى تشى بكراهيته، ليس للسلطنة، ولكن لبعض الباشوات وجنودهم.

وبالنسبة للفرنسيين كان الجبرتي فى بداية علاقته بهم حذراً خاصة وأن مفهومه عن سقوط مصر فى يد أجنبى مسلم كان يتبعه استباحة أهلها ومالها وفرض الجزية والغرامات والقيام بأعمال السلب والنهب وحدوث التمايز السياسى والاقتصادى والاجتماعى واستعباد أهل مصر، ولكن موقف الحملة الفرنسية خالف فكرته هذه، فتحول إلى الاعجاب بها، كما يذكر أعجاب وتأسف الفلاحين المصريين على أيام الحملة بعد أن ذاقوا استبداد قوات الاحتلال العثمانى التى عادت بعد خروج الحملة تحت اسم الاسلام. لينهبوا مصر تحت دعوى أنهم فتحوها عنوة للمرة الثانية. كما أن الجبرتي فى مجال المفاضلة بين الانجليز «الذين حاولوا احتلال مصر» والفرنسيين يذكر ما يلى: «لا تصدقوا أقوالهم فى ذلك، وإذا تملكوا البلاد لا يبقون على أحد من المسلمين، وحالهم ليس كحال

الفرنساوية، فإن الفرنساوية لا يتدينون بدين، ويقولون بالحرية والتسوية، أما هؤلاء الانجليز فانهم نصارى على دينهم و لا تخفى عداوة الاديان، ولا يصح الالتجاء اليهم».

أما موقف الجبرتى من محمد على فكان فى الأساس عائداً إلى عقليته السلفية المحافظة التى رأت فى التنظيمات المالية والإدارية التى قام بها، وخاصة إلغاء الالتزام، خروجًا على المألوف والشرع، كما رأى فى محاربة محمد على للحركة الوهابية تعدياً على عقليته هو ذاته، تلك النظرة السلفية الضيقة، غير مدرك للتناقض الشديد فى موقفه هذا، بين الايمان بالسلطة العثمانية الحنفية السنية، والفكر الوهابى السلفى. والجبرتى فى عقليته هذه لم يخرج عن مجموع علماء عصره من رجال الدين، وإن كان بعضهم قد حارب ذلك مثل الشيخ حسن العطار وغيره من العلماء والأدباء والشعراء.

والثابت أن حال العلم فى مصر منذ الغزو العثمانى أخذ يتدهور شيئًا فشيئًا كمظهر من مظاهر التدهور الاجتماعى والاقتصادى للبلاد، حتى أن «المعقول» من العلوم كان ينكمش، و «المنقول» كان يتصدر. كما انحط التصوف من فلسفة وبحث فى الوجود إلى دروشة واعتقاد فى كرامات المجاذيب، مع ما يصاحب ذلك من خرافات وغيرها من الظواهر التى تؤدى إلى اليقين بعدم قيمة العقل. وفى ذلك يقول الجبرتى: «ان غالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشئ من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والمواريث، كعلم الحساب والغبار. وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأحوال ذوقية، كرقة الطبيعة وحسن الوضع، وأهل الأزهر بخلاف ذلك».

كما أورد فى ذم بعض رجال الأزهر اشعاراً عديدة للادكاوى والحجازى. وهو فى كل ذلك يكشف لنا عن سبب هام من أسباب تخلف العلوم حتى الدينى منها، إلا وهو مبدأ توريث الوظائف الدينية وبيعها لمن لا يستحقونها ولا يملكون الدراية بها. و من ذلك أنه لما توفى الشيخ أحمد الجوهرى دفعوا أخيه عبد الفتاح أن يخلفه، مع أنه: «لم يكن معتنياً بالعلم فى مجال التدريس بالأزهر حفظاً للناموس وبقاء لصورة العلم الموروث، وأخذ يطالع ويذاكر، وأقرأ دروس الحديث بالمشهد الحسينى فى رمضان مع قلة بضاعته».

كما هاجم الجبرتى الدروشة الساذجة عندما ذكر قصة «ابن الترجمان»، ذلك الصوفى الذى كتب عرضحالا إلى السلطان مصطفى صورته: «أن من قرأ استغاثة (ابو مدين

الغوث) فى صفوف الجهاد، وصلت النصرة له» فاستحسن السلطان أن يكون هذا المتصوف صاحب العرضحال هو الذى يتوجه بنفسه ويقرأ هذه الاستغاثة تبركًا فى صفوف القتال، ففاجأه الأمر من حيث لا يحتسب وتوجه رغمًا عن انفه إلى المعسكر العثمانى وصار يقرأ حتى هزم العسكر العثمانى ووقع هو فى الأسر.

وبالرغم من هذا النقد الشديد من الجبرتى لعلماء الأزهر ـ خاصة الشيخ سليمان الفيومى، والشيخ الشرقاوى والشيخ السنديونى والشيخ حسن ابن سالم الهوارى شيخ رواق الصعايدة، والشيخ الجوسقى ـ إلا أنه نفسه كان يقع تحت أوهام المعايير الغيبية عند تقييمه لأحداث التاريخ، فقد آمن بأن قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر كان من غضب الله، وتفسيره لخروجها بأن الله سلط عليهم من كان سببًا فى التخلص منهم، فيقول : «إذا تأمل العاقل فى هذه القضية يرى فيها أعظم الاعتبارات والكرامة لدين الاسلام حيث سخر الطائفة الذين هم أعداء للملة هذه لدفع تلك الطائفة ومساعدة المسلمين عليهم، وذلك مصداق الحديث الشريف، إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

هكذا عاش الجبرتى فى شبابه الطور الأخير من انهيار النظام العثمانى الذى قام فى مصر وتحلل النفوذ المملوكى المرتبط به، كما امتد به العمر ليشاهد بدايات دولة محمد على وإجهازه على النظام المملوكى تمامًا وانفساح المجال أمام ديكتاتوريته، فعاصر بذلك المرحلة الأولى من مراحل التحولات الاقتصادية والاجتماعية فى مصر، تلك التحولات التى كانت قد بأت فى فرنسا وانجلترا قبل نهاية القرن الثامن عشر، مما اصابه بالقلق والإضطراب.

كانت بداية الاضطراب عندما أخفقت حركة على بك الكبير فى القبض على زمام الحكم فى مصر، وإنفسح المجال من بعده لعصبيات مملوكية شتى تعاقبت على السلطة فى مصر مستغلة اختلال أمور الفرق العسكرية وضعف الباشا العثمانى، فشهدت مصر بذلك فترة من أشد الفترات التى مرت بها اضطرابا وفسادا، وكان التغيير والتبديل سريعًا، ولم تكن ثمة هيئة أو نخبة تتمتع بقدر من الاستقرار ووضوح الرؤية يسمح لها بقيادة المجتمع المصرى مما سمح بسقوطها فى يد الحملة الفرنسية دون أى مقاومة من المماليك أو العثمانيين، مما شكل للجبرتى صدمة أخرى أشد وأنكى.

كانت هذه القارعة من أهم الحوافز التى دفعت الجبرتى إلى مواصلة الاهتمام بتدوين

الوقائع والحوادث لكتابه «عجايب الآثار» وكان قد بدأ فى ذلك قبل وصول الحملة الفرنسية بعشر سنوات [١٢٠١هـ = ١٧٨٦م] حين اتصل به الشيخ الزبيدى صاحب كتاب «تاج العروس» طالبا منه أن يعد له تراجم لإعلام المائة سنة المنصرمة من مصريين وغيرهم. وعلى الفور قام الجبرتى بتدوين تراجم لمشايخ الأزهر، وشيوخ الأروقة وأرباب الحلقات والطرق الصوفية، وقضاة المذاهب الأربعة، إلى جانب أمراء المماليك وقواد الوجاقات والسناجق والبلكات ومشايخ البلد والولاة والباشات وغيرهم. واعتمد فى ذلك على صديقه إسماعيل بن سعد الخشاب الذى كان من عدول المحكمة الشرعية، وزيارته لمقابر الأعلام ليقرأ المنقوش عليها من أسماء وتواريخ، فضلا عن اتصاله بأقاربهم والمعمرين ممن يحتفظون فى ذاكرتهم بالأحداث والشخصيات الهامة، وما قد يملكونه من أوراق ذات نفع لتراجمه.

واستمر الجبرتى فى خطته حتى توفى الزبيدى بمرض الطاعون عام ١٠٢٥ هـ = ١٧٩٠م، فوصلت الجبرتى رسالة من مفتى دمشق السيد/ محمد خليل المرادى يطلب منه أن يرسل له ما جمعه من تراجم فادرك الجبرتى أن ما طلبه الزبيدى منه كان نزولاً على رغبة المرادى، ولكن المرادى ما لبث أن توفى فى العام التالى ١٢٠٦ هـ = ١٧٩١م، فأهمل الجبرتى تراجمه حتى جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر، كما ذكرنا، فأخذ يسجل حوادثها، ثم استكمل عمله فسجل الحوادث التى سبقتها مستفيداً فى ذلك من الوقايع التى جمعها. وهكذا انتقل عمل الجبرتى من مجرد مؤلف عن أعلام القرن الثانى عشر الهجرى إلى سجل تاريخى حافل.

ولعل الجبرتى هكذا كان آخر من كتب الحوليات فى مصر بمنحاها التقليدى، وهذا يفسر لنا اضطراب آرائه أحيانا وتناقضها.

ولم يخرج الجبرتى كتابه كاملاً للوجود فى وقته، ولكنه بعد خروج الحملة من مصر اقتطع منه أحداث الحملة الفرنسية وقدمه باسم «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس» وقدمه إلى الوزير العثمانى يوسف باشا. وظل مؤلف «عجايب الآثار» فى طى النسيان حتى بعد وفاته حوالى عام ١٢٤١ هـ = ١٨٢٥م إلى أن قام الخديوى توفيق بطبع الجزأين الثالث والرابع، أما الجزءان الأول والثانى فقد طُبعا فى عهد عباس حلمى الثانى.

بدأ الجبرتى مؤلفه كما يبدأ مؤرخو تاريخ مصر منذ أقدم العصور فى تتابع سريع حتى وصل إلى الغزو العثمانى: وينتهى الجزء الأول عند

نهاية مشيخة محمد بك أبو الدهب، والجزء الثانى عن مصر فى زمن إبراهيم بك ومراد بك، والجزء الثالث عن الحملة الفرنسية حتى تولية محمد على، والجزء الرابع والأخير عن محمد على حتى عام ١٢٣٦هـ = ١٨٢١م.

وهكذا فإن الجبرتى ابتداءً من ١٢٢٠/ ١٢٢١ هـ يكتب تاريخه بشكل متنظم، أما عن القرون السابقة لذلك فقد اعتمد على الإسحاقى ، والدمرداشى والخشاب وغيرهم.

طفق الجبرتى يدون أسماء الاعلام، فبدأ بالمشايخ ومن كان منهم شيخا للأزهر، ثم أشياخ الاروقة وأرباب الحلقات، ومن كان يسميهم باسم «الطبقة العليا»، ثم الطبقة التى تليها ممن اشتهروا بالعلوم الفقهية والعقلية والنقلية والشعر والأدب والخطابة، وغير ذلك.

كما دون اسماء مشايخ وقضاة المذاهب الاربعة والباشات ونوابهم.

كما شرع يدون اسماء أمراء الوجاقات والصناجق، ومن بلغ مشيخة البلد ومن شارك فى الحكم وأمراء الحاج والعلماء ورؤساء الطوائف إلخ..

وحين اتسع العمل أمامه طلب، كما سبق وذكرنا، مساعدة صديقه إسماعيل الخشاب، كما استعان: «ببعض كراريس سودها بعض العامة من الاجناد».

جمع الجبرتى هذه التراجم فى كراريس عديدة إلى جانب أعداد كبيرة من «الدشتات» و«الطيارات» والأوراق المتناثرة التى ضمنها أحداث عصره ولعل هذه الطريقة فى الكتابة المنقولة عن الأوراق المتناثرة كانت السبب فى ظهور بعض المساحات البيضاء فى مخطوط الجبرتى هذا إلى جانب أنه استفاد مباشرة من مخطوط الاسحاقى «أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول». وكذلك مؤلف «أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات» لأحمد شلبى بن عبد الغنى، ومخطوط «ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة» للشيخ على الشاذلى الفرا.

وقد امتاز الجبرتى عمن تقدمه من مؤرخى مصر بأنه لم يقصر اهتمامه على علية القوم والاحداث الهامة، فقد عنى بالأمور الجليلة والحقيرة، ولم يدع شيئا نمى إلى علمه إلا دونه فى دقة مدهشة، وهو دقيق الملاحظة، المعى الذكاء. وقد آثار كل هذا اهتماماً كبيراً بكتابه خاصة عند المستشرقين واعتبروه مصدراً رئيسيًا على درجة كبيرة من الاهمية لأحوال عصر الجبرتى، فمثلا نجد أن دائرة المعارف البريطانية تذكره: «باعتباره صورة تفصيلية للحياة الشرقية، وله قيمة اجتماعية عظيمة». وقد استفاد منه «ادوارد وليم لين» فى وضع

تعليقاته على كتاب «الف ليلة وليلة» كما أنه طبع في عدة لغات أجنبية.

كما يزخر مؤلف الجبرتي بتفاصيل أحداث الظلم الذى حاق بالمصريين و قدرتهم على التحمل والقيام بالانتفاضات ومقامة الاحتلال الأجنبي والاستبداد، وذلك إلى جانب الاشادة بعظمة مصر وقوة تأثيرها ثقافيا وحضاريا على الاجنبي والمصرى، فيذكر انبهار علماء الحملة الفرنسية بحضارة مصر، ويذكر قصة الشيخ محمد بن على التونسى الذى سكن مصر وتخلق باخلاق أهلها، وتزوج وتزيا بزى أولاد البلد، وتحلى بذوقهم ونظم الشعر الحسن. وكذلك قصة أحد العلماء المصريين الذى هرب إلى الحجاز خوفا من بطش الحاكم الأجنبى، ولكن، كما يقول الجبرتي: «لم يستحسن الاقامة هناك، واشتاق لوطنه، فعزم على العودة إلى مصر، فمرض بالطريق وتوفى ودفن بالينبع».

وأشياء كثيرة يصورها الجبرتي مثل العمائر من مساجد وأسبله و تكايا، ومدارس، وشق الترع والطرق وبناءً الجسور . مما يدلك على الحس الحضارى عنده. ويهتم كذلك بالعلم والعلماء فيرصد دومًا فى صدر تراجمه العلماء، كما يهتم بالخطاطين ومذهبى الكتب ومجلديها، والتجار العلماء أصحاب المكتبات الكبيرة مثل أسرة الشرايبي والسبكى وغيرهم.

إلى جانب هذا يركز الجبرتي على الاحتفالات «القومية» التى تجمع بين المصريين، فلا يمر عام دون تسجيله للاحتفال بوفاء النيل وشم النسيم والمولد النبوى باعتبار احتفالا مصرياً، وعاشوره وأول رجب والنصف من شعبان وتوديع المحمل إلخ.. ويقول في ذلك: «لأهل مصر من سنن وطرايق فى مكارم الاخلاق لا توجد فى غيرهم» بالإضافة إلى احتفالات المولد الكبرى والطرق الصوفية والطوائف الحرفية.

كما اهتم بذكر الأمثال الشعبية المصرية فى مناسباتها، وأورد الألقاب الفكاهية التى أطلقها المصريون على رموز السلطة، فهذا «بارم ديله» وهذا «المجنون» وذاك «سيد قشطة» و«أبن المرأة» الخ..

بالإضافة إلى الوصف التفصيلى للقاهرة «المحروسة» ومساجدها وطرقاتها وعطوفها، وتاريخ ما بها من قصور وقلاع، إلى جانب اسهابه في ذكر الشعر والشعراء مما أعطانا صورة جيدة لحال الشعر والادب في عصره. كما اهتم بسك النقود واسعارها واوزانها وانواعها، كذلك اسعار السلع المختلفة، وأحوال فيضانات النيل والطواعين، والاطعمة والأزياء والرتب والألقاب والوظائف والأسلحة والذخائر، وطرق الحرب والكر والفر إلخ..

لغة الجبرتى شاهدة
على عصره

يعتقد علماء اللغة أن على أى لغة كى تواصل حياتها أنْ تتغير بتغيير الظروف المحيطة بها وإلا كان عليها أن تخلى المسرح لغيرها من اللغات أو اللهجات القادرة على تمثل الظروف الجديدة وعلى التعبير عنها.

وعلى هذا الاساس فليس لنا ان نتوقع تماثلا بين اللغة فى فترتين مختلفتين، ومن الظلم ـ أن لم يكن من الخطأ ـ أن نحكم على اللغة فى مرحلة من مراحلها بمعيارية تستمد أصولها من مرحلة أخرى من مراحل تلك اللغة.

ولقد تطوع البعض بالحكم على لغة الجبرتى بمعايير وأسس مستمدة من لغة التراث القديم، وحكم عليها بالتخلف والسوقية والقصور.

هذا فى الوقت الذى عجرت فيه لغة التراث عن الوفاء بالحاجات الاجتماعية الجديدة فى عهد الجبرتى، بينما تمثلت لغة الجبرتى كل هذه الحاجات على قدر جهده واستطاعته. كما أنها تمثل اللغة الشائعة بين مثقفى تلك الفترة فى مناقشاتهم العلمية، وفى لغة المحاورات بالأزهر ومجالس العلماء الخاصة، وامتيازها بكثير من الروح المصرية كاحتوائها على القوة والحيوية التى ترضى القارئ الخاص، وتعجب القارئ العادى وتفيده، فأسلوب كتابة الجبرتى غلب عليه طابع العصر، فإن فيه الفصيح السهل، والجذل المسجوع، وقد يعلو ويرتفع، وينحط ويتضع وأحيانا يستمسك، وطوراً يتفكك وذلك بسبب تباعد فترات الكتابة والتدوين.

وفى هذا نلاحظ أن لغة الجبرتى فى الأجزاء الأولى من مخطوطه ـ حيث يعالج فى عجالة وسرعة تاريخ مصر ـ يلتزم البديع و المحسنات اللفظية، ثم تركها فى الأجزاء التالية حيث تعود لغته إلى حالتها الطبيعية نابذة البديع والمحسنات، ويتبع لغة أقرب للغة التقرير والحوليات، وتميل إلى التلقائية التى تندّ عن الصنعة وتنأى عن التكلف والافتعال، وكأن تاريخه جاءنا فى لغة ليس فيها من العربية الا حروفها، وإذا كان لنا أن نستعمل التعبيرات المجازية، فيمكننا أن نقول، إن لغة الجبرتى صوت مكتوب، أقرب مايكون إلى تلك اللغة التى يمكن أن يسجل بها أى من المثقفين انطباعاته على شريط تسجيل، غير مقيد بأبواب المحسنات البديعية اللفظية أو المعنوية، وهو المستوى الذى نجده فى كل صفحات

الجبرتى كما نجده فى كثير من كتابات المثقفين فى عصره، وذلك عكس لغة التراث التى جمدت فى داخل المصطلحات الشرعية والفقهية والدينية مما جعلها تدور فى إطار مغلق محدود لا تعدوه ولا تخرج منه بمعنى جديد. والى هذا كله يرجع السبب فى عدم تطور هذا المستوى من الكتابة من أيام عبد الحميد الكاتب إلى مطالع العصر الحديث.

كما أن طبيعة الموضوع الذى كتب فيه الجبرتى، وهو التأريخ لعصره وأعلامه ، تحتم عليه إلا يلجأ إلى اللغة المصنوعة المليئة بالمحسنات البديعية والزخارف اللفظية، لأن ذلك اللجوء فوق صعوبته لا يساير طبيعة موضوعاته الجزئية التى تمثل الحياة بكل مظاهرها.

كما أننا لو نظرنا فى اقتباسات الجبرتى ـ وما أكثرها ـ من اللغات المتداولة آنذاك وجدناها مصداقا لما نقول من عجز عربية التراث عن الوفاء بحاجات الحياة حينذاك.

وقد انتجت هذه الأسباب جميعها ما نراه أمامنا من لغة غير مستقرة فى حينها، تمثل تماماً عصرها وتماثله، ذلك العصر الذى كان أهم قسماته عدم الاستقرار سواء فى الحياة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو العلمية.

وهكذا فليس أمامنا إلا التسليم بأن لغة الجبرتى انما تمثل ثقافة عصره اللغوية، ومن هنا يمكننا الحكم على لغة الجبرتى من خلال مدى قدرتها على تمثل ظروف العصر وحاجاته والتعبير عنها، ولا نتهمه بالانحراف عن صواب اللغة عندما يستخدم الألفاظ التركية و الفارسية أو الإيطالية واليونانية والقبطية ويحاول صياغتها ضمن لغته المصرية، بل أن محاولات استيعابه لهذه الألفاظ ومدلولاتها التى ظهرت فى المجتمع المصرى تظهر مدى الجهود التى بذلها الجبرتى ومثقفى عصره من أجل تطوير اللغة المصرية. ونلاحظ ذلك فى تعدد صور اللفظ الأجنبى داخل الجبرتى، وتأرجح مستويات الأداء اللغوى بين فصحى التراث، وفصحى الجبرتى، وفصحى الصنعة وفصحى العصر، وتلقائية مثقفى العصر وتلقائية العوام، حتى إنه كانت تختلط هذه المستويات جميعها أو معظمها فى إطار تركيب واحد لا يعدو عددا محدوداً من السطور، وهو فى ذلك لم يكن تلفيقيا بقدر ما كان تركيبا توليفياً. وكان يصنع ذلك عن علم وليس عن جهل، يؤكد ذلك أن الجبرتى تعلم فى الأزهر حتى تخرج منه، وأنه درس على أشياخه علوم الدين واللغة مثل الشيخ مرتضى الزبيدى، كما درس «فصيح ثعلب»

وفقه اللغة و أدب الكاتب، ومن غير المعقول أن نفسر كثيرا مما نلاحظه على لغته، أصواتها وصرفها ولغوها ومعجمها ودلالاتها، على أساس أنه قد أخطأ من وجهة نظر فصحى سيبوية ومُن خلفه.

ولهذا فعلى من يقرأ الجبرتى أن يوطن نفسه على حالة شعورية لم يألفها فى قراءاته الحديثة، وهى أن يكون شديد اليقظة متأهبًا للانتقال بين كافة المستويات اللغوية: لغة التراث، لغة الصنعة، الفصحى التلقائية، ولغة العصر، لغة العوام.

ولقد كان الجبرتى بسلوكه اللغوى ذاك صادقًا مع نفسه مدركًا فى صدقه ذاك عجز لغة الصنعة والتراث عن تمثل الحقائق التى حفل بها عصره.

ولعل من المناسب الآن أن نلقى الضوء بشكل من التفصيل على خواص لغته فى مستوياتها المختلفة، أصواتها ونحوها ومعجمها:

الأصوات: تشترك عربية التراث مع اللغة المصرية عند الجبرتى فى نطق بعض الأصوات المهموسة (وهى مجموعة فى قولك «حثه شخص فسكت») باستثناء أصوات «الثاء» و«الجيم» و «الذال» و «الظاء» و «القاف»، حيث تختص عربية التراث باستعمال هذه الأصوات. وفى الوقت الذى تنفرد فيه مصرية الجبرتى بأصوات الجيم ، والجيم المعطشة مثل «بيچامة» و «اباچورة». والهمزة المنقلبة عن القاف العربية مثل: ألت = قلت. و «الظاء» المنقلبة عن «الضاد» فى مثل ظابط. وقد ساعدت صوتيات هذه الحروف الجبرتى على استيعاب كثير من الألفاظ الحديثة.

ففى لغة الجبرتى ثلاثة أصوات للجيم، هى الجيم التراثية، والجيم المعطشة التى استخدمها فى الكلمات المقترضة من التركية والفارسية مثل: (ينكجرية) = انكشارية، (چراكسة) = شراكسة، (چاهين) = شاهين، (لاچين) = لاشين، (چلبى) = شلبى إلخ..

والجيم المصرية الموجودة فى الكلمات (حجنه) وتعنى النباتات الشائكة التى تنمو على حواف المجارى المائية.

و (جفيط) صفة اللحم الردئ، و (جوخ) نوع من القماش، و (جوابات) بمعنى الخطابات، و(كرباج) بمعنى سوط، و(خرج) بمعنى وعاء قماش توضع فيه الاشياء، و(جنابيه) بمعنى وعاء يوضع على جانب الدابة يحمل فيها بضائع الباعة..إلخ..

كما توجد فى لغة الجبرتى صورتان للقاف هما: القاف التراثية وتستعمل فى الكلمات المقترضة من التركية مثل «قليونجية» بمعنى بحاره، «وصنجق» بمعنى أمير، و «قابجى»

بمعنى رسول، و«عرقانة» بمعنى سجن والقاف التى تنطق فى المصرية همزة مثل «قفاطين» و «قهوة» و «رقاصة» و «حراقة» و«عراقى» بمعنى غطاء للرأس و «غلقان» و«قفف».

ولا يستعمل المصريون فى لغتهم «الثاء» ويحلون محلها «السين» «الخط السلس = الخط الثلث و «فلم يكترسوا = يكترثوا» «اساس داره = اثاث». أو «التاء» فى مثل «تلاتة» محل «ثلاثة» و «أتر = أثر» و «أتنين = أثنين». و ينطبق ذلك على بقية الأصوات «مابين الاسنانية» «الذال والظاء».

كما استعمل الجبرتى صوت «الياء» بديلا لصوت «الهمزة» يسيرا = أسيرا «ومايه = مائة» كما تستوعب لغة الجبرتى المصرية نطق أصوات الحركات فى اللغة التراثية وتزيد عليها الأصوات الحركية: الكسرة التى يتولد من نطقها «ياء» كما فى نطق الكلمات (محمدين، عوضين، الاتنين، حسنين. إلخ..) و الضمة الطويلة كما فى الكلمات (هون، يوم ، عوف).

وخلاصة هذا الكلام ان لغة الجبرتى المصرية فوق انها تحتوى على أصوات لغة التراث تتفوق عليها فى أصوات خاصة وانماطا من المقاطع لا نجدها فى لغة التراث.

وفى مجال الصرف: أحلت لغة الجبرتى المصرية صيغتى (انفعل) و (تفعل) محل المبنى للمجهول التقليدية فى لغة التراث، وذلك بعد تحويرهما صوتيا بما يتلاءم معهما، فصارت صيغة «انفعل» فيها (فعل) مثل:

انضرب = ضرب فى اللغة التراثية، و انطعن = طعن، وصارت صيغة «تفعل» منها (اتفعل) مثل: اتكسرت = كسر فى لغة التراث، اترمى = رمى، انجر = جر، انحط = حط، انحصروا = حوصروا، انحلت = حلت، انفصل عن القضاء = فصل، انجرح = جرح، انهرس = هرس، انهبط = هبط، انغرز = غرز.

ويتحتم علينا أن نتعرض لموضوع البناء للمعلوم والبناء للمجهول لنوضح أن الجبرتى فى لغته المصرية استعمل صيغتى (اسم الفاعل واسم المفعول) استعمالا متميزا، فالصيغة الأولى تدلى فى لغة التراث على الحدث ومن أوقعه، والصيغة الثانية تدل على الحدث ومن أوقع عليه هذا الحدث، بيد أن الجبرتى فى لغته يستعمل اسم الفاعل للتدليل على الحدث ومن أوقع عليه وليس من أوقعه مثل: «وكان هو المتعين فى الافتاء» ويعنى: المعين، و«سافر محمد باشا المنفصل» ويعنى المفصول من نيابة مصر، و «انقطع الجالب» ويعنى المجلوب.

أما صيغة اسم المفعول فقد استعملها الجبرتى فى لغته المصرية استعمالات غير معروفة فى اللغة التراثية مثل (مكسوف البال) بدلا من كاسف التراثية، ومثل (اوراق مدشته) لا يوجد فعل لهذه المادة فى لغة التراث، و (التخيلات على المتهومين) ويعنى المتهمين.

كما يستخدم الجبرتى فى لغته المصرية جمع صيغة اسم المفعول على «مفاعيل» مثل (مجاريح ، معاليم، مساتير) وهذا غير معروف فى لغة التراث.

وفى مجال التراكيب النحوية. سنلاحظ على لغة الجبرتى المصرية ما يلى:

(١) استخدامه المعادلة التركيبة

اسم + فعل (ماض أو مضارع) بدلا من الشائع فى لغة التراث فعل + اسم.

مثل: المراكب وصلت.

ـ عبد العال الأغا طلق زوجته.

ـ أهل الأرياف القريبة تأتى بالميره.

ـ أفرنج أحمد يلبس حكم قانونهم.

ـ وعلى بك الوزير قتلوه أيضا وهو داخل يظنوه مصطفى بك. وفى الجملة الأخيرة لا نجد لما أى تشابه فى لغة التراث سواء من ناحية المستويات الصوتية والصرفية والنحوية وعدم مراعاة اعراب أواخر الكلمات. بدليل استعمال صيغة المضارع المرفوع (يظنوه). مجردة من علامة الرفع وهى النون (يظنونه) والجبرتى فى لغته المصرية متأثر بصيغ النفى فى اللغة القبطية التى توضع الفعل بين حرفى «الميم» و «الشين» هكذا:

محمد م بينام ش

انا م باكل ش

حسن م بيجى ش.

ويتخذ الجبرتى فى استعمالاته للجمل التى تقع أحوالا أو صفات سلوكا لا صلة له على الاطلاق باللغة التراثية حيث لا تتحقق لهذه الجمل ما تحدده لها لغة التراث من وظائف لغوية معينة. ومن الأمثلة على ذلك: (فأغرى به رجلا سجمانى كان عنده بناحية طلخا يضرب نشابا).

فلغة التراث تورد هذه الجملة هكذا:

(١) فأغرى به رجل سجمانى.

(٢) كان عنده بناحية طلخا.

(٣) يضرب نشابا.

وينتج لنا تتابع الجمل انساقا من الأفعال غير مألوفة فى لغة التراث مثل: (كان أراد محمد بك تلبيس مصطفى اغا) و (وهو أخو على باشا الذى كان يسيرا) و (أرسل الباشا إلى مراد بك الدفتردار يعمل جمعية فى بيته) و(طلبوا يركب معهم يأخذون بثأره).

فإذا ما انتقلنا إلى استعمال أدوات العطف

عند الجبرتى وجدنا تميزا فى استخدام بعضها، وعلى الأخص (الفاء، الواو) . مثال ذلك: «أشيع انتقال الأمراء المصرلية من جهة البحيرة وقبلوا (أى ساروا للوجه القبلى) إلى ناحيةُ الجسر الاسود). حيث عطف الجملة الفعلية (وقبلوا) على المصدر (انتقال) غير ملتفت إلى ما تقتضيه لغة التراث من تجانس العطف بين الصيغ المتعاطفة.

فإذا ما انتقلنا إلى استعمال الجبرتى للعدد نجده قد ترك صيغ لغة التراث تماماً فى معظم مؤلفه مثل (وصل واحد قبجى) وهو فى ذلك متأثر باللغة القبطية القديمة. كما كان للجبرتى فى لغته المصرية استعمالات خاصة مثل (فى حادى عشرينة) وليس (وفى الحادى والعشرين) كما فى لغة التراث.

كما لا يلتزم الجبرتى فى ذكره للأعداد بالأفراد والتثنية و الجمع وكذلك التعريف والتنكير.

وفيما يختص بالمطابقة وتعنى مراعاة القواعد المقررة فى لغة التراث بالنسبة للتذكير أو التأنيث من جانب، أو بالنسبة للأفراد أو التثنية أو الجمع من جانب آخر، أو بالنسبة للأبواب النحوية المختلفة، نجده فى حالة التذكير أو التأنيث يستخدم استخدامات نوعية غير مألوفة فى لغة التراث بالنسبة للفاعل ولاسم الإشارة وللاسم الموصول وللنعت بنوعيه، وللعدد.

ففى بعض استعمالات الجبرتى نراه لا يلحق «تاء» التأنيث بالفعل المسند إلى الفاعل الجمع للمؤنث العاقل، مثل: «فتضرر المعترفات منهن»، وتنص قواعد لغة التراث على الحاق «تاء» التأنيث بالفعل هكذا (تضررت)، وفى الوقت نفسه نراه يلحق هذه التاء بالفعل المسند إلى الفاعل جمع المذكر السالم مثل: (وجلت الفلاحين من بلادهم) و (هجت القبليون على المتاريس).

وفى استعمالاته لأسماء الموصول يستعمل صيغة (التى) وهى فى لغة التراث للمفردة المؤنثة عائدة على جمع المذكر، مثل: (وفى سابع عشرينة رجعت العساكر التى كانت توجهت إلى جهة الشرق بحمولهم).

وفيما يختص بالاعراب فإنه يمكننا أن نقول بأن لغة الجبرتى المصرية قد تخلصت فى مجملها من الاعراب، وعلى أساس ذلك فمن الظلم تحكيم المقاييس الاعرابية التراثية على لغة الجبرتى المصرية بكافة مستوياتها.

اما على مستوى معجم لغة الجبرتى، فإن الثروة اللفظية للغة الجبرتى المصرية تفوق اللغة التراثية بكثير بفضل استيعابها لمفردات الحضارة الحديثة وتأثيرها باللغة القبطية والتركية و الايطالية وغيرهم من اللغات الأخرى، وهى ألفاظ لم تعرفها اللغة التراثية. وإن كان الجبرتى لم يستطع أن يستوعب معانى الاجهزة العلمية التى وردت مع الحملة

الفرنسية، كما لم يستوعب فيهم معنى النوادى ولا المطاعم والمصطلحات السياسية كالتمثيل النيابى والاستقلال والدولة وحرية المرأة فهذا كان لزمن قادم تتطور فيه اللغة المصرية. وإن كان صديقه الشيخ حسن العطار حاول فى سبيل ذلك جهود لا تنكر.

اما من حيث الدلالة فللجبرتى مستوى خاص به وللغته المصرية، يتمثل فى عبارات مثل: «كبسهم على حين غفلة» = هاجمهم، (يركب على بيته) = يهاجمه و يحاصره، (قارشه) = نادمه، (المجمع عنه) = نبذة، (يسلكونهم للخروج) = يسهلون لهم الخروج، (الضوى) = حامل المشعل للسياف، (العرقانه) = السجن، (احترق بحر النيل) = جف ماؤه فى التحاريق. إلخ..

والذى يهمنا ذكره هنا هو أن اللغة المصرية فى وقت الجبرتى كانت على وشك أن تتشكل بطريقة أكثر قوة بعيداً عن لغتها القديمة لتتخلص حتى من مشاكلها القائمة حتى اليوم والمتمثلة فى ازدواجية اللغة التى نتعلمها ونتكلمها.

مخطوطات كتاب (عجايب الآثار)

لكتاب عجايب الآثار عدد من المخطوط الموجودة بمصر وبعض البلاد العربية والاجنبية ولكن الملاحظ أن المخطوطة التى كتبها الجبرتى بخط يده لا توجد فى أى مكتبة عامة من مكتبات العالم. وإن كانت مكتبة جامعة ليدن تدعى أن نسختها المخطوطة تحت رقم ٩٨٨ بخط يد الجبرتى. وفيما يلى رصد لمخطوطات الكتاب فى مصر:

ـ دار الكتب المصرية. انظر فهرست الدار، ج ٥ ص ٢٦٢.

(١) نسخة فى أربعة مجلدات مخطوطة بقلم معتاد بخطوط مختلفة، الأول والثانى منها بخط الحاج محمد حسين بن أحمد، فرغ من كتابتهما فى سنة ١٢٧٢هـ، وبالجزء الرابع خرم. رقم ٤٦٦ تاريخ.

(٢) نسخة أخرى فى أربعة أجزاء مقسمة على خمسة مجلدات بقلم معتاد بخط أحمد ابن موسى الشاهد، الجزء الأول فى مجلدين، الثانى والثالث والرابع فى ثلاثة مجلدات برقم ١٤٢٤ تاريخ.

(٣) نسخة أخرى ملحق بها فهارس أعدها توفيق اسكاروس بخط يده تحتوى على أسماء العلماء الموجودين فى المخطوط مرتبة على حروف المعجم رقم ٤٨٥ تاريخ.

(٤) نسخة أخرى من أربعة أجزاء في أربعة مجلدات، بقلم معتاد ولكن بخطوط مختلفة. الأول والثاني بخط محمد أحمد الشافعي. والثالث بخط أحمد يونس ابن التيسير. والرابع مجهول برقم ١٤٢٥ تاريخ.
(٥) نسخة أخرى في أربعة أجزاء، في أربعة مجلدات، بقلم معتاد، منقولة عن النسخة الأصلية للمؤلف رقم ٢٢٨٧ تاريخ.
هذا إلى جانب عدة مخطوطات لأجزاء متفرقة غير مكتملة.

فهارس كتاب «عجائب الآثار»

(١) فهرست من اعداد توفيق اسكاروس بخط يده يحتوى على اسماء العلماء الموجودين في المخطوط مرتب على حروف المعجم. وهو ملحق بالنسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٤٨٥ تاريخ.
(٢) فهرست من اعداد أحمد تيمور باشا بخط يده محفوظ في مجموعته التي آلت إلى دار الكتب المصرية.
(٣) فهرست من إعداد جاستون فييت بالفرنسية، نقله إلى العربية د. عبد الرحمن زكي. صدر ضمن مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . ١٩٥٤ ـ القاهرة.
(٤) فهرست عام ملحق بكل جزء من الأجزاء السبعة لطبعة لجنة البيان العربي.

طبعات كتاب «عجائب الآثار»

(١) طبعة مطبعة بولاق بالقاهرة في أربعة مجلدات سنة ١٢٩٧هـ.
(٢) طبعة بهامش كتاب «الكامل في التاريخ لابن الأثير في اثنى عشر جزءا بالمطبعة الازهرية ١٣٠١/ ١٣٠٢هـ بالقاهرة.
(٣) طبعات لاجزاء منفصلة وترجمات اجنبية بالفرنسية و الانجليزية والروسية.. إلخ..
(٤) طبعة لجنة البيان العربي في سبعة أجزاء قام بها حسن محمد جوهر، عبد الفتاح السرنجاوى، عمر الدسوقي، السيد ابراهيم سالم. القاهرة ١٩٥٨/ ١٩٦٧م.
هي الطبعة الوحيدة التي يوجد بها فهرسة محدودة.
(٥) طبعات مختصرة لدار الجيل بيروت ودار الشعب مصر
(٦) طبعات مصورة عن طبعة بولاق
طبعة مطبعة الانوار المحمدية د. ت.
طبعة المطبعة الشرفية ١٣٢٢هـ.

خطة التحقيق

١ ـ تمت مراجعة مخطوطة جامعة القاهرة التى حصلت عليها على كل ما طبع من المخطوطات الاخرى واثبت الإضافات والاختلافات بين حاصرتين [ ] بصفحات المتن. ولقد حرصت فى ذلك على لغة الجبرتى قدر الإمكان حيث أنها محل دراسة كشاهد على لغة عصره.

٢ ـ مرادفة التواريخ الهجرية بالتواريخ الميلادية والقبطية حتى تتحقق الفائدة من متابعة الاحداث على مستوى السنين الهجرية والميلادية والقبطية خاصة وان التواريخ الأخيرة كانت عماد تقويم فيضانات النيل وحساب السنة المالية فى مصر فى هذه الفترة.

٣ ـ وضح الهوامش التى تفيد فى فهم معانى المصطلحات المالية و الإدارية والعسكرية وغيرها، وكذلك تحديد مواقع ومواضع الاماكن والقرى والبلدان، وأسعار العملات واشكالها وتداولاتها.

٤ ـ ارفاق معلومات خاصة عن دول أوربا التى كانت على علاقة بمصر فى هذه الفترة اخذتها من كتاب «التوقيعات الالهامية».

٥ ـ وضعت عناوين جانبية لسهولة تبويب هذا السفر الضخم.

٧ ـ وضعت ملاحق فى آخر كل جزء ذات صلة باحداث هذا الجزء حتى تكتمل الاستفادة من مادة الكتاب.

٨ ـ وضع ارقام جانبية للأعلام والباشات حتى يسهل متابعتهم.

وسوف يتكرر ذكر بعض الهوامش على طول الكتاب بسبب ضخامته وذلك بهدف القضاء على مشقة البحث عنها، وان كان ذلك لم يمنع من صياغتها فى شكل مختلف مع إضافة تخص مكانها من الاحداث.

٩ ـ أضيف العديد من اللوحات التى توضح الحياة فى ذلك العصر حتى تكتمل الفائدة وتتضح الصورة.

أهم مصادر الدراسة

١ ـ وصف مصر. اعداد الحملة الفرنسية. ترجمة : زهير الشايب. مكتبة مدبولى.

٢ ـ ترتيب الديار المصرية لحسين أفندى الروزنامجى. تحقيق محمد شفيق غربال. مجلة كلية الآداب رقم ٤ عام ١٩٣٦ القاهرة. وقد نشرته كاملا بآخر هذا الجزء ضمن الملاحق.

٣ ـ قانون نامه مصر. حققه ونشره الدكتور

أحمد فؤاد متولي. وقد نشرته كاملا بآخر هذا الجزء ضمن الملاحق.

٤ ـ Stanford Show: the Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt 1517 - 1798. Princeton Oriental Studies 1962.

٥ ـ عبد الرحمن الجبرتي: دراسات وبحوث. اصدار المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٦.

٦ ـ S. Show: Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, By: Huseyn Efendi. Harvard U niversity Press. second Printing 1966.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله القديم الاول ، الذى لا يزول ملكه ولا يتحول
، خالق الخلايق ، وعالم الذرات بالحقايق ، مفنى
الامم ، ومحيى الرمم ، ومعيد النعم ، وكاشف
الغمم ، وصاحب الجود والكرم ، لا اله الا هو كل
شي هالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون ، واشهد
ان لا اله الا الله تعالى عما يشركون ، واشهد ان
سيدنا محمدا عبده ورسوله الى الخلق اجمعين ،
المنزل عليه نبأ القرون الاولين ، صلى الله عليه
وعلى اله وصحبه وسلم ، ما تعاقبت الليالى والايام
وتداولت السنين والاعوام ، وبعد فيقول الفقير
عبد الرحمن حسن الجبرتى الحنفى غفر الله له ولوالديه
واحسن اليهما واليه انى كنت سودت اوراقا فى
حوادث اخر القرن الثانى عشر وما يليه واوايل
الثالث عشر الذى نحن فيه جمعت فيها بعض الوقايع
والامور شاهدناها اجمالية ، واخرى محققة
تفصيلية ، وغالبها محن ادركناها وامور شاهدناها
، واستطردت فى ضمن ذلك سوابق
سمعتها ، ومن افواه الشيخة تلقيتها ، وبعض
تراجم الاعيان المشهورين ، من الامرا والعلما
المعتبرين ، وذكر لمع من اخبارهم واحوالهم وبعض
تواريخ مواليدهم ووفاتهم ، فاحببت جمع شملها
، وتقييد شواردها ، فى اوراق متسقة النظام
، مرتبة على السنين والاعوام ، ليسهل على الطالب
النبيه المراجعة ، ويستفيد ما يرومه من

المتعهمة

صورة للصفحة الأولى من مخطوط الجبرتى الموجود بمكتبة جامعة القاهرة.

مهمات وسفاربه ومعهم الات الحرب كالمدافع وجبخانات البارود
والقمبية وجميع اللوازم قاصدين بلاد النوبة وما جاورها في بلاد
السودان وفيه سافر ابنه محمد كتخدا لاظ المنفصل عن الكتخدائية
الى اسنا ليتلقى القادمين ويشيع الذاهبين وفيه وصلت بشائر
من جهة قبلي باستيلاء اسماعيل باشا على سنار بغير حرب ودخول اهلها
تحت الطاعة وضربت لذلك مدافع من القلعة وانقضت هذه
السنة وما بها من الحوادث التي انقضت بعضها والبعض باق الى
الآن فمنها توقف زيادة النيل وذلك انه لم يستتم ذرع الوفا
الا ما من عشر القبطي حتى ضج الناس وضج الفلاحون ومنها امر المعاملة
التي زادت زيادة فاحشة حتى بلغ البندقي الفلو مايتين نصف
والمجر والفندقلي عشرين قرشا عنها ثمانماية نصف وبلغ صرف الريال
الفرانسه اربعة عشر قرشا عنها خمسماية نصف وستون نصفا
وقيس على ذلك باقي الاصناف ومنها غلو الاثمان في جميع المبيعات
من ملبوسات ومأكولات والغلال حتى وصل الاردب الى الف وخمسماية
نصف والرطل السمن الى خمسين نصفا والى ستين نصفا وقس على
ذلك واما حادثة الاروام التي هي باقية الى الآن وما وقع منهم من
الافساد وقطع الطريق على المسافرين واستيلائهم على كل من صادفوه
من مراكب المسلمين وخروجهم عن الذمة وعصيانهم وما وقع
منهم من الوقايع وما ينتهي حالهم اليه فسيتلى
عليك ان شاء الله بكماله في الجزء الاتي بعد
ذلك والله الموفق للصواب واليه
المرجع والمآب وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه
وسلم

صورة للصفحة الأخيرة من مخطوط الجبرتي الموجود بمكتبة جامعة القاهرة.

يارب أمطر سحب الرضى على ... رمس حوى رئيس كل مفتى

علامة الدنيا جمال أهلها ... مبارك الذات حميد النعت

السيد الذى بنور هديه ... بت ظلام الغى أى بت

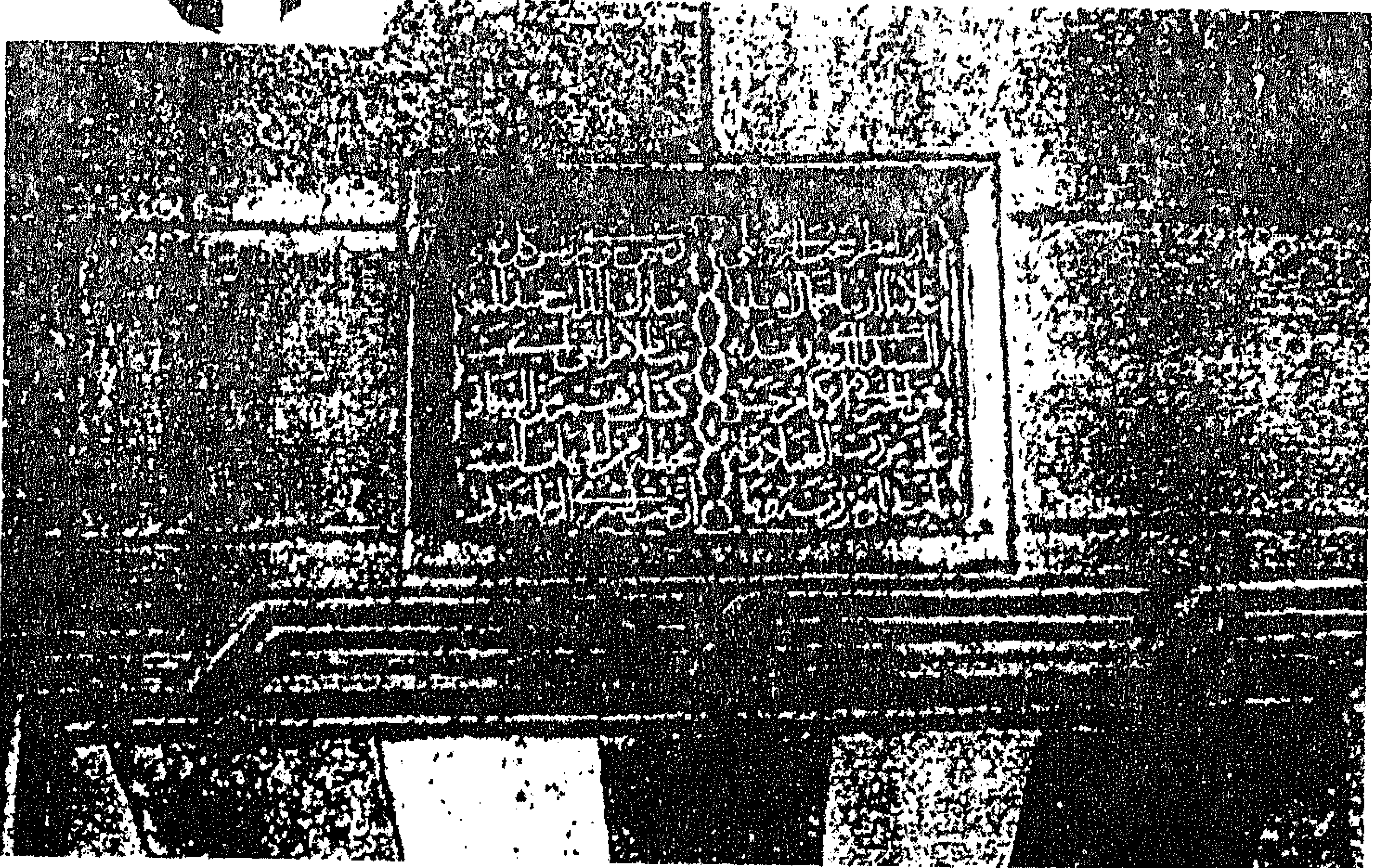
هو الجبرتى الإمام حسن ... كشاف هم من إليه ياتى

عليه من رب العباد رحمة ... تحيطه من الجهات الست

ماوحد المؤمن ربه وما ... أرخت بشرى لك يا جبرتى.



رسم تخيلي للجبرتي



لوحة معلقة على مدفن الجبرتي: عن د. محمد أنيس / المجلة التاريخية المصرية. المجلدان التاسع والعاشر ١٩٦٢/٦٠ القاهرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم الأول. الذى لا يزول ملكه ولا يتحول. خالق الخلايق. وعالم الذرات بالحقايق. مُفنى الامم. ومحى الرمم. ومعيد النعم. [ومبيد النقم]، وكاشف الغمم. وصاحب الجود والكرم، لا إله إلا هو. كل شئ هالك الا وجهه. له الحكم وإليه ترجعون. وأشهد أن لا إله إلا الله، تعالى عما يشكرون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إلى الخلق أجمعين. المنزل عليه نبأ القرون الاولين. صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم، ما تعاقبت الليالى والأيام، وتداولت السنين والأعوام. وبعد: فيقول الفقير عبدالرحمن [بن] حسن الجبرتى الحنفى. غفر الله له ولوالديه، وأحسن إليهما وإليه. إنى كنت سودت أوراقا فى حوادث آخر القرن الثانى عشر وما يليه، وأوايل الثالث عشر الذى نحن فيه[1]. جمعت فيها بعض الوقايع والأمور شاهدناها إجمالية. وأخرى محققه تفصيلية. وغالبها محن ادركناها، وامور شاهدناها، واستطردت فى ضمن ذلك سوابق سمعتها، ومن أفواه الشيخة[2] تلقيتها، وبعض تراجم الاعيان المشهورين، من الامراء والعلماء المعتبرين. وذكر لمع[3] من أخبارهم وأحوالهم، وبعض تواريخ مواليدهم ووفاتهم. فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها فى أوراق متسقة النظام مرتبة على السنين والأعوام ليسهل على الطالب النبيه المراجعة، ويستفيد ما يرومه من (ص٢) المنفعة. ويعتبر المطلع على الخطوب الماضية، فيتأسّى إذا لحقه

مصاب ويتذكر بحوادث الدهر، إنما يتذكر أولوا الألباب. فأنها حوادث غريبه في بابها، متنوعة في عجايبها وسميته «عجايب الآثار في التراجم والأخبار» وانا لنرجو ممن اطلع عليه، وحل بمحل القبول لديه ان لا ينسانا من صالح دعواته، وأن يغضى عما عثر عليه من هفواته

* علم التاريخ عند الجبرتي

اعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة احوال الطوايف وبلدانهم ورسومهم(٤) وعاداتهم وصنايعهم وأنسابهم ووفاتهم. وموضوعه احوال الاشخاص الماضية من الانبيا والاوليا والعلما والحكما والشعرا والملوك والسلاطين وغيرهم. والغرض منه الوقوف على الاحوال الماضية من حيث هي وكيف كانت وفايدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن، ليحترز العاقل عن مثل احوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين، ويستجلب خيار افعالهم، ويجتنب سوء اقوالهم، ويزهد في الفاني، ويجتهد في طلب الباقي

* أول واضع للتواريخ في الإسلام عمر بن الخطاب

وأول واضع له في الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وذلك حين كتب أبو موسى الأشعرى(٥) إلى عمر: «إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندرى على ايها نعمل، فقد قرانا صكا محله شعبان فما ندرى أىّ الشعبانين، أهو الماضى، أم القابل؟». وقيل دُفع لعمر صك محله شعبان فقال: (ص ٣) «أى شعبان هذا، هو الذى نحن فيه أو الذى هو آت؟». ثم جمع وجوه الصحابة رضى الله عنهم وقال: «إن الأموال قد كثرت، وما قسمناه غير موقت، فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك». فقال له الهُرمُزان ـ وهو ملك الأهواز، وقد أُسر عند فتوح فارس وحمل إلى عمر واسلم على يديه ـ : (إن للعجم حسابا يسمونه «ماه روز»، ويسندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة. فعربوا لفظة «ماة روز(٦)» بـ «مورخ». ومصدره «التاريخ»، واستعملوه في وجوه التصريف)، ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك. فقال لهم عمر: «صنفوا للناس تاريخا يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم فيما يتعاطونه

من المعاملات مضبوطة». فقال له بعض من حضر من مسلمى اليهود: «لنا حساباً مثله مسند إلى الاسكندر[٧]». فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول، وقال قوم نكتب على تاريخ الفرس. قيل ان تواريخهم غير مسندة إلى مبدء معين، بل كلما قام منهم ملك ابتدء التاريخ من لدن قيامه، وطرحوا ما قبله. فاتفقوا على ان يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجـــرة[٨] النبى صلى الله عليه وسلم، لان وقت الهجرة لم يختلف فيه احد بخلاف وقت ولادته، ووقت مبعثه صلى الله عليه وسلم. وكان للعرب فى القديم من الزمان بارض اليمن والحجاز تواريخ يتعارفون بها خلفاً عن سلفا إلى زمان الهجرة[٩]. فلما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وظهر الاسلام وعلت كلمة الله تعالى (ص ٤) اتخذت هجرته مبدأ لتاريخها، وسميت كل سنة باسم الحادثة التى وقعت فيها، وتدرج ذلك إلى سنة سبعة عشر من الهجرة[١٠] فى زمن عمر فكان اسم السنة الاولى: سنة الإذن بالرحيل من مكة إلى المدينة، والثانية: سنة الأمر بالقتال إلى آخره. وقال أصحاب التواريخ» إن العرب فى الجاهلية كانت تستعمل شهور الاهلة وتقصد مكة للحج. وكان حجهم وقت عاشر الحجة، كما رسمه سيدنا إبراهيم عليه الصلام والسلام». لكن لما كان لا يقع فى فصل واحد من فصول السنة، بل يختلف موقعه منها [بسبب] الفاضل ما بين السنة الشمسية والقمرية، ووقوع أيام الحج فى الصيف تارة، وفى الشتا اخرى. وكذا فى الفصلين الآخرين، ارادوا أن يقع حجهم فى زمان واحد لا يتغير، وهو وقت ادراك الفواكه والغلال، واعتدال الزمن فى الحر والبرد، ويسهل عليهم السفر فى البر، ويتجروا بما معهم من البضايع والارزاق مع قضاء مناسكهم، فشكوا ذلك إلى أميرهم وخطيبهم. فقام فى الموسم عند اقبال العرب من كل مكان، فخطب ثم قال «انا انشات لكم فى هذه السنة شهراً أزيده، فتكون السنة ثلاثة عشر شهراً، وكذلك أفعل فى كل ثلاث سنين، أو أقل حسبما يقتضيه حساب

* بداية التاريخ الهجرى.

* تواريخ العرب القديمة.

وضعته ليأتي حجكم وقت إدراك الفواكه والغلال فتقصدوننا بما معكم منها». فوافقته العرب على ذلك ومضت إلى سبيلها، فنسأ المحرم[١١] وجعله كبيسا، وأخّر المحرم إلى (ص ٥) صفر، وصفر إلى ربيع الأول، وهكذا فوقع الحج في السنة الثانية في عاشر المحرم، وهو ذو الحجة عندهم، وآخر السنة وقع في السنة محرمان: الأول رأس السنة والآخر في النسئ. وعدة الشهور ثلاثة عشر. وبعد انقضاء سنتين او ثلاثة، وانتهاء نوبة الكبيس، أي الشهر الذى كان يقع فيه الحج، وانتقاله إلى الشهر الذى بعده، قام فيهم خطيباً وتكلم بما أراد، ثم قال: «أنا جعلنا الشهر الفلانى من السنة الفلانية الداخلة للشهر الذى بعده، ولهذا فسر النسئ بالتأخير كما فسر بالزيادة، وكانوا يديرون النسئ على جميع شهور السنة بالنوبة، حتى تكون لهم مثلا في سنة محرمان، وفي أخرى صفران. ومثل هذا بقية الشهور. فإذا آلت النوبة إلى حدّ الشهر المحرم قام لهم خطيباً فينبيهم أن هذه السنة تكرر فيها اسم الشهر الحرام، فيحرم عليهم واحداً منها بحسب رأيه على مقتضى مصلحتهم. فلما انتهت النوبة في أيام النبى صلى الله عليه وسلم في ذى الحجة، وتم دور النسئ على جميع الشهور [كانت] في تلك السنة حجة الوداع، وهى السنة العاشرة من الهجرة، لموافقة الحج فيها عاشر الحجة، ولهذا لم يحج صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة حين حج ابو بكر الصديق رضى الله عليه بالناس لوقوعه في عاشر ذى القعدة. فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، خطب وأمر الناس بما يشاء (ص ٦) الله تعالى، ومن جملته: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، يعنى رجوع الحج إلى الموضع الأول كما كان في زمن ابراهيم صلوات الله تعالى عليه. ثم تلى قوله تعالى: «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله، يوم خلق السموات والارض، منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم. فلا تظلموا فيهن انفسكم، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، واعلموا أن الله مع المتقين.

* في حجة الوداع ألغى النسيء بنص قرآني.

إنما النسئ زيادة في الكفر يُضل به الذين كفروا يحلونه عامًا، ويحرمونه عامًا، ليواطؤا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله. زُين لهم سوء أعمالهم، والله لا يهدى القوم الكافرين[١٢]». ومنع العرب من هذا الحساب، وأمر بقطعه والاستمرار بوقوع الحج في اى زمان أتى من فصول السنة الشمسية. فصارت بوقوع الحج بسنينهم دايرة في الفصول الاربع، والحج واقع في كل زمان منها كما كان في زمن ابراهيم عليه السلام. ثم كونُ حجة الصديق واقعة في القعدة فهو قول طايفة من العلماء، وقال آخرو ن: بل وقعت حجته ايضًا في ميقاتها من ذى الحجة. وقد روُى في السُنّة ما على ذلك، والله اعلم بالحقايق.

ولما كان علم التاريخ علمًا شريفًا فيه العظة والاعتبار، وبه يقيس العاقل نفسه على من مضى من أمثاله في هذه الدار. وقد قص الله تعالى أخبار الأمم السالفة في ام الكتاب فقال تعالى:«لقد كان في قصصهم عبرة (ص ٧) لأولى الألباب». وجاء في أحاديث سيد المرسلين كثير من أخبار الأمم الماضين، كحديثه عن بنى إسرايل، وما غيروه من التوراة والانجيل، وغير ذلك من أخبار العرب والعجم، ما يفضى لمتامله العجب. وقال الشافعى رضى الله عنه: «من علِمَ التاريخ زاد عقله».

وقد قيل شعر[١٣]:

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى	توهمتة قد عاش من اول العمر
وتحسبة قد عاش اخر دهره	إلى الحشر إن ابقى الجميل من الذكر
فكن عالمًا أخبار من عاش وانقضى	وكن ذا نوال[١٤] واغتنم آخر الدهر

* اهمال علم التاريخ في زمن الجبرتى.

ولم تزل الأمم الماضية من حين اوجد الله هذا النوع الإنسانى، تعتنى بتدوينه سلفًا عن سلف، وخلفًا من بعد خلف، إلى أن نبذه أهل عصرنا وأغفلوه، وتركوه وأهملوه، وعدُّوه من شغل البطالين[١٥]، وقالوا اساطير الاولين. ولعمرى انهم لمعذورون، وبالأهم مشتغلون، فلا يرضون لأقلامهم المتعبة في مثل هذه المنقبة، فإن الزمان قد انعكست احواله،

وتقلصت ظلاله، وانخرمت قواعده في الحساب، فلا تضبط وقايعه في دفتر ولا كتاب، وإشغال الوقت في غير فايدة ضياع، وما مضى وفات ليس له استرجاع، إلا أن يكون مثل الحقير منزويًا في زوايا الخمول والإهمال منجمعًا عما (ص ٨) شغلوا به من الأشغال، فيشغل نفسه في أوقات من خلواته، ويُسلي وحدته بعدّ سيآت الدهر وحسناته. شعر:

لو بال الدهر في قارورة   بان الذى يشكوه للمستُطبّب

* فن التاريخ ومصادر التاريخ الإسلامي على عهد الجبرتي.

وفن التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة، لولاه ما ثبتت أصولها، ولا تشعبت فروعها، منها: طبقات المناوى[١٦] والقراء، والمفسرين والمحدثين، وسير الصحابة والتابعين، وطبقات المجتهدين، وطبقات النحاه والحكماء والأطباء، وأخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأخبار المغازى، وحكايات الصالحين، ومسامرة الملوك من القصص والأخبار والمواعظ والعبر والأمثال، وغرايب الأقاليم وعجائب البلدان. ومنه كتب المحاضرات ومفاكهة الخلفاء، وسلوان المطاع، ومحاضرات الراغب.

وأما الكتب المصنفة فيه فكثيرة جدًا، ذُكر منها في مفتاح السعادة ألفا وثلاثماية كتاب. قال في ترتيب العلوم ـ وهذا بحسب إدراكه استقصايه ـ وإلا فهي تزيد على ذلك. لأنه ما ألف في فن من الفنون مثل ما ألف في التواريخ، وذلك لانجذاب الطبع إليها، والتطلع على الأمور والمغيبات، ولكثرة رغبة السلاطين لزيادة اعتنايهم بحب التطلع على سير من تقدمهم من الملوك، مع مالهم من الاحوال والسياسات وغير ذلك. فمن الكتب المصنفة [فيه] (ص ٩) تاريخ ابن كثير[١٧] في عدة مجلدات. وهو القايل شعرًا:

تمر بنا الأيامُ تترى وإنما   نُساق إلى الآجال والعينُ تنظرُ
فلا عايد صفو الشباب الذى مضى   ولا زايلٌ هذا المشيبُ المكَدّرُ

و «تاريخ الطبرى[١٨]»، هو ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى، مات

سنة ثلاثماية وعشر ببغداد، وتاريخ بن الاثير[١٩] الجزرى المسمى «بالكامل» ابتدا فيه من أول الزمان إلى أواخر سنة ثمان وعشرين وستماية، وله كتاب» أخبار الصحابة «فى ستة مجلدات». و«تاريخ ابن الجوزى»[٢٠]، وله «المنتظم فى تواريخ الأمم». و«مرآة الزمان» لسبط بن الجوزى[٢١]، فى اربعين مجلداً، وتاريخ ابن خلكان[٢٢] المسمى «وفيات الاعيان وأنبا أبناء الزمان». وتواريخ المسعودى[٢٣]، «أخبار الزمان»، و«مروج الذهب». ومن أجلّ التواريخ تواريخ الذهبى[٢٤] الكبير والأوسط المسمى «العبر»، والصغير المسمى «دول الاسلام»، وتواريخ السمعانى[٢٥]، ومنها «ذيل تاريخ بغداد» لأبى بكر بن الخطيب[٢٦]نحو خمسة عشر مجلداً، و«تاريخ مرو»، يزيد على عشرين مجلداً، و«الانساب» فى نحو ثمان مجلدات. وتواريخ العلامة ابن حجر العسقلانى[٢٧]. وتاريخ الصفدى[٢٨]. وتواريخ السيوطى[٢٩]. وتاريخ الحافظ ابن عساكر[٣٠] فى سبعة وخمسين مجلداً. وتاريخ اليافعى[٣١] وبستان التواريخ[٣٢] ست مجلدات. وتواريخ بغداد[٣٣]. وتواريخ حلب[٣٤]. وتواريخ (ص ١٠) «اصبهان[٣٥]» للحافظ ابو نعيم. وتاريخ بلخ[٣٦] وتاريخ الأندلس[٣٧]، والإحاطة فى أخبار غرناطة[٣٨]. وتاريخ اليمن[٣٩]. وتاريخ مكة[٤٠]. وتواريخ الشام[٤١]. وتاريخ المدينة المنورة[٤٢] وتواريخ الحافظ المقريزى[٤٣]، وهو الكبير المقفى، والسلوك فى دول الملوك، والمواعظ والاعتبار فى الخطط والآثار، وغير ذلك؛ ونقل فى مولفاته اسماء تواريخ لم اسمع باسمايها فى غير كتبه مثل تاريخ ابن ابى طى[٤٤] والمسبحى[٤٥]، وابن المامون[٤٦] وابن زولاق[٤٧]، والقضاعى[٤٨]. ومن التواريخ، تاريخ العلامة العينى[٤٩] فى اربعين مجلداً، رأيت منه بعض مجلدات بخطه، وهى ضخمة فى قالب الكامل. ومنها تاريخ الحافظ السخاوى[٥٠] «الضوء اللامع فى اهل القرن التاسع» رتبه على حروف المعجم عدة مجلدات. وتاريخ العلامة ابن خلدون[٥١] فى ثمان مجلدات ضخام، ومقدمته مجلد على حدته،

من اطلع عليه رأى بحراً متلاطماً بالعلوم مشحوناً بنفايس جواهر المنطوق والمفهوم. وتاريخ ابن دقماق[٥٢]. وكتب التواريخ أكثر من أن تحصى، وذكر المسعودى جملة كبيرة منها، وتاريخه[٥٣] لغاية سنه ثلاث وثلاثين وثلثمايه، فما ظنك بعد ذلك. قلت: وهذه صارت اسماء من غير مسميات، فإنا لم نر ذلك كله، إلا بعض أجزاء مُدشته[٥٤] بقيت فى بعض خزاين كتب الأوقاف بالمدارس، مما تداولته أيدى الصّحافين، وباعها القَوَمَه[٥٥] والمباشرين، ونقلت إلى بلاد المغرب (ص ١١) والسودان. ثم ذهبت بقايا البقايا فى الفتن والحروب. واخذ الفرنسيس ما وجدوه إلى بلادهم[٥٦].

* عزم الجبرتى على تأليف كتابه ومصادره.

ولما عزمت على جمع ما كنت سودته أردت أن أوصله بشىء قبله، فلم أجد بعد البحث والتفتيش إلا بعض كراريس سودها بعض العامة من الأجناد، ركيكة التركيب، مختلة التهذيب والترتيب، وقد اعتراها النقص من مواضع فى خلال بعض الوقايع. وكنت ظفرت بتاريخ من تلك الفروع، لكنه على نسق بالجملة مطبوع، لشخص يقال له احمد جلبى ابن عبدالغنى[٥٧]، مبتديا فيه من وقت تملك بنى عثمان للديار المصريه، وينتهى كغيره ممن ذكرنا إلى خمسين ومايه وألف هجريه. ثم إن ذلك الكتاب استعاره بعض الاصحاب وذلت به القدم، ووقع فى صندوق العدم، ومن ذلك الوقت إلى وقتنا هذا لم يتقيد أحدُ بتقييد، ولم يسطر فى هذا الشان شيًا يفيد. فرجعنا إلى النقل من افواه الشيخه المسنين، وصكوك دفاتر الكتبه والمباشرين، وما انتقش على أحجار ترب المقبورين، وذلك من أول القرن[٥٨] إلى السبعين، وما بعدها إلى التسعين، أمور شاهدناها ثم نسيناها وتذكرناها، ومنها إلى وقتنا أمور تعقلناها وسطرناها، إلى أن تم ما قصدنا بأى وجه كان، وانتظم ما أردنا استطراده من وقتنا إلى ذلك الآوان. وسنورد إن شاء الله تعالى ما ندركه من الوقايع بحسب الإمكان والخلو من الموانع (ص ١٢) إلى أن يأتى أمر الله، وآن مردنا إلى الله. ولم أقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير، أو

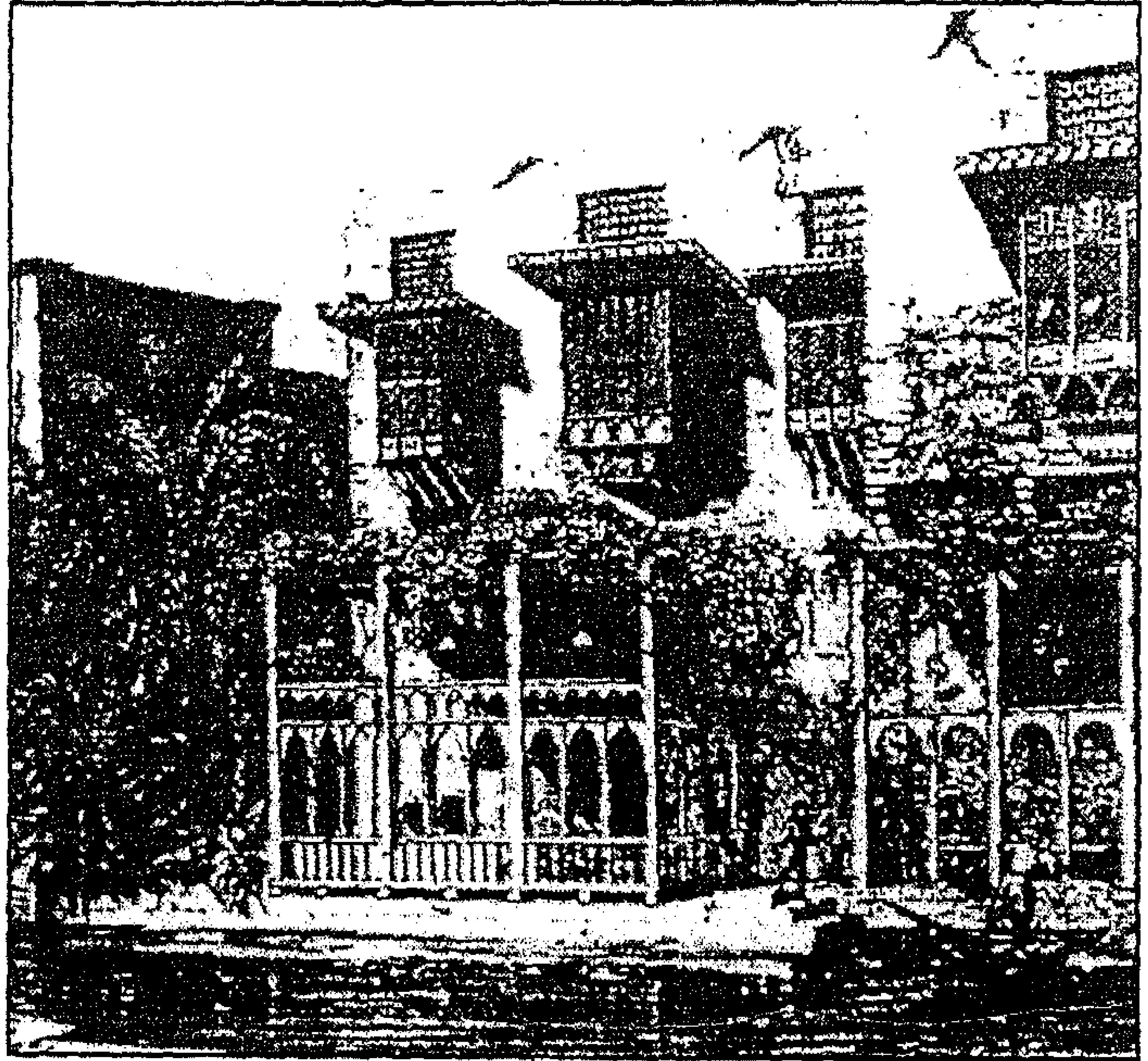
طاعه وزير أو أمير، ولم أداهن فيه دوله بنفاق، أو مدح أو ذم مباين للأخلاق، لميل نفسانى أو غرض جسمانى.

وأنا أستغفر الله من وصفى طريقًا لم أسلكه، وتجارتى براس مال لم أملكه. شعر :

كَمَنْ يَحدو وليس له بعير ومن يَرعَى وليس له سَوامُ(٥٩)
ومن يسقى وقهوته سرابُ ومن يدعو وليس له طعامُ

هذا مع اعترافى بقصور الباع وفتور الطباع فى قوانين المعانى الغريبة ودواوين المثانى الأدبيه.

مالى وللامر الذى قلدته مال الذباب وطعمه(٦٠) العنقاء(٦١)
ابكى لعجزى، وهو يبكى ذله شتان بين بكائه وبكائى



(١) القرن الثالث عشر الهجرى يقابله القرن الثامن عشر الميلادى على وجه التقريب.
ولقد كان هناك اعتقاد بأن مصادر تاريخ مصر فى هذه الفتره نادره، وهذا غير حقيقى، ويكفى ان نذكر بعضا من هذه المصادر فيما يلى:
- اوضح الاشارات فيمن ولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، لاحمد شلبى بن عبد الغنى الحنفى المصرى.
- بلوغ الارب برفع الطلب، لمحمد البرلسى السعدى.
- تراجم الصواعق فى واقعه الصناجق، لإبراهيم بن ابن بكر الصوالحى العوفى.
- الدرة المنصانه فى اخبار الكنانه، لاحمد الدمرداشى كتخدا عزبان.
- واقعه السلطان سليم بن عثمان مع السلطان الغورى وطومانباى، لاحمد بن زمبل الرمال.
- رسالة شرح الصدر فى غزوة بدر، لعبد الله الشبراوى. بأخرها نبذه فى تاريخ ولاه مصر الى نهايه حكم على باشا الحكيم ١١٢٩ هـ - ١٧١٧م.
- ذكر ما وقع بين عسكر مصر المحروسة، لعلى بن محمد الشاذلى الفرا.
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور، لمحمد بن احمد بن اياس الحنفى.
- لطائف اخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من ارباب الدول، لمحمد بن عبد المعطى الاسحاقى.
- عيون الخبار ونزهة الابصار، لمحمد بن محمد ابن ابى السرور البكرى.
- الكواكب السائره فى اخبار مصر القاهرة، لمحمد بن محمد بن ابى السرور البكرى.
- النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزيه، لمحمد بن محمد بن ابى السرور البكرى.
- المنح الرحمانيه فى تاريخ الدوله العثمانيه، لمحمد بن محمد بن ابى السرور البكرى.
- اللطائف الربانيه على المنح الرحمانيه، لمحمد ابن محمد بن ابى السرور البكرى.
- الروضه المأنوسه فى اخبار مصر المحروسه، لمحمد بن محمد بن ابى السرور البكرى.
- كشف الكربه فى رفع الطلبه، لمحمد بن محمد بن ابى السرور البكرى.
- تاريخ وقايع مصر، لمصطفى بن الحاج إبراهيم.
- تحفه الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، ليوسف الملوانى.

(٢) الشِيَخَة : من جموع «شيخ».

(٣) لمع : أى لمحات من اخبارهم. ومفردها «لُمْعَة».

(٤) رسومهم : فنونهم وآثارهم.

(٥) أبو موسى الاشعرى: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. صحابى، وأحد الحكمين اللذين رضى بهما علىّ ومعاويه بعد حرب صفين. ولد بزبيد باليمن عام ٢١ قبل الهجره = ٦٠١م، وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم وهاجر إلى الحبشة. استعمله

الرسول على زبيد وعدن. وولاه عمر بن الخطاب البصره سنة ١٧ هـ = ٦٣٨م، فأفتتح أصبهان والأهواز. ولما ولى عثمان أقره عليها، ثم عزله. فانتقل إلى الكوفة، فطلب أهلها من عثمان توليته عليهم، فولاه، فأقام بها إلى أن قتل عثمان، فأقره عليّ.. ثم كانت واقعه الجمل، وأرسل عليّ يدعو أهل الكوفه لينصروه. فأمرهم ابو موسى بالقعود فى الفتنة، فعزله عليّ. وظل بالكوفه حتى توفى عام ٤٤ هـ = ٦٦٤م. روى ٣٥٥ حديثًا.

(٦) ماه روز: ماه = القمر، و روز = اليوم. أى اليوم القمرى، أو التقويم القمرى.

(٧) أسند عدد من المؤرخين العرب تواريخهم إلى الإسكندر منهم: الطبرى فى كتابه «تاريخ الرسل والملوك»، وابن العبرى فى كتابه «تاريخ مختصر الدول» وابو الفدا فى كتابه «المختصر فى اخبار البشر».

(٨) لم يُتخذ التاريخ الهجرى أساسًا للتقويم إلا فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب حوالى سنة ١٣ هـ = ٦٣٨ م. أما قبل ذلك، فكان يؤرخ بسنين إقامة النبى فى المدينة، وأهم أحداثها مثل : السنة الأولى / سنة الإذن، السنة الثانية/ الأمر بالقتال، الثالثه / التمحيص، الرابعة/ الترفئة، والخامسة/ الزلزال، السادسة/ الاستئناس، السابعة/ الإستغلاب، الثامنة/ الإستواء، التاسعة/ البراءة، العاشرة/ الوداع.

(٩) عرف العرب قبل البعثة المحمدية فى اليمن والحجاز عدة تقاويم شمسية بدليل التعابير التى استمرت فى اللغة العربية والتى تتناول اليوم وساعاته والتى تتصل بمدار الشمس، مثل: الفجر ـ الفسق ـ التباشير ـ البزوغ ـ الضحى ـ الظهر ـ العصر ـ الأصيل ـ الغروب ـ الزوال ـ العتمة ـ العشاء. ولكن العرب بعد الاسلام استخدموا السنة القمرية نظرًا لورود نص قرآنى فى ذلك: «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب» (يونس آية ٥)، وذلك بالرغم من ان مواقيت الصلاة، وهى أهم اركان الاسلام، ترتبط بحركة الشمس الظاهرية.

(١٠) سنة ١٧ هـ = ٦٣٨ م.

(١١) نسأ المحرم: أى أخّره، والمراد بذلك تأخير حرمة المحرم إلى الشهر التالى له وهو صفر. فقد كان العرب إذا اهل شهر حرام وهم محاربون، أحلوه وحرموا مكانه شهرًا آخر. وقد حرّم الاسلام النسىء، واحل للمسلمين قتال المشركين فى كل الشهور بما فيها الأشهر الحرام، وجعل عدة أشهر السنة اثنى عشر شهرًا.

(١٢) سورة التوبة : الآيات من ٣٦ وما بعدها. والأربعة الحرام هى: رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم.

(١٣) تنسب هذه الابيات للقاضى الأرجانى. وقد ذكرها شمس الدين السخاوى فى كتابه «الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ» على الوجه التالى:

إذا علِم الانسانُ أخبار من مضى
توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عُمره
إذا كان قد أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كلّ الدهر من كان عالما
حلمًا كريمًا، فاغتنم أطول العمر

(١٤) نَوال: عطاء. أى كن كريمًا.

(١٥) البطالين: أى من لا مهنة لهم.

(١٦) المناوى: سقط الاسم من الطبعه الاميرية وكل الطبعات التالية التى اخذت عنها. والمناوى هو: محمد عبدالرؤف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادى ثم المناوى ثم القاهرى، من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، كان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملى منه تآليفه. له نحو ثمانين مصنفا منها: «الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية» و« الطبقات الصغرى» ويسمى «إرغام أولياء الشياطين» و«بغية المحتاج فى معرفة أصول الطب والعلاج» و«غاية الإرشاد إلى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد». عاش فى القاهرة وتوفى بها. سماه المحبى «عبدالرؤف بن تاج العارفين ابن على». ولد عام ٩٥٢ هـ = ١٥٤٥ م وتوفى عام ١٠٣١ هـ = ١٦٢٢م.

(١٧) تاريخ ابن كثير: هو المعروف بأسم «البداية والنهاية». وابن كثير هو عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقى. ولد عام ٧٠١ هـ = ١٣٠١م وتوفى سنة ٧٧٤ هـ = ١٣٧٢م. وكان فقيهًا ومؤرخًا ومفسراً.

(١٨) تاريخ الطبرى : هو المعروف بأسم «تاريخ الرسل والملوك». والطبرى هو محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، ولد فى آمد بطبرستان عام ٢٢٤ هـ = ٨٣٩ م، وتوفى فى بغداد عام ٣١٠ هـ = ٩٢٣م. لم يكن يعترف بمذهب احمد بن حنبل، وقال: «لم يكن احمد فقيها، إنما كان محدثا. وقد رموه بعد موته لذلك بالرفض. له مؤلفات عديدة فى التاريخ والفقه والتفسير، ويعتبر تفسيره «جامع البيان فى تفسير القرآن» من أهم التفاسير.

(١٩) على بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى الجزرى، المؤرخ الإمام. سكن الموصل. ولد عام ٥٥٥ هـ = ١١٦٠م وتوفى عام ٦٣٠ هـ = ١٢٣٣ م. له مؤلفات عديدة منها «الكامل فى التاريخ» مرتب على السنين، بلغ فيه عام ٦٢٩ هـ = ١٢٣٢م، و«اسد الغابة فى معرفة الصحابة» و«الجامع الكبيرة».

(٢٠) تاريخ ابن الجوزى: والاسم المعروف له هو «المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم». وابن الجوزى هو، أبو الفرج عبدالرحمن بن على ابن على بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م.

(٢١) سبط ابن الجوزى: هو شمس الدين ابى المظفر يوسف بن قزاوغلى، المتوفى سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦م.

(٢٢) ابن خلّكان: هو أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكى الاربلى الشافعى، المتوفى سنة ٦٨١ هـ = ١٢٨٢م.

(٢٣) المسعودى: هو أبو الحسن على بن الحسين بن على المعروف بالمسعودى، المتوفى سنة ٣٤٥ هـ = ٩٥٦م.

(٢٤) الذهبى: هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى، شمس الدين. المتوفى سنة ٧٤٨ هـ = ١٣٤٨ م.

(٢٥) السمعانى: هو عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى المروزى، أبو سعد. من مؤلفاته «العبر فى خبر من غبر» و«الإعلام بوفيات الأعلام». وتوفى عام ٥٦٢ هـ = ١١٦٧م. مؤرخ رحاله. ولد وتوفى بمرو. من كتبه «الانساب» و«تاريخ مرو» و«تذييل تاريخ بغداد» و«الأمالى» و«التحبير فى المعجم الكبير».

(٢٦) الخطيب: هو أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ابن أحمد بن مهدى بن ثابت البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠م.

(٢٧) ابن حجر العسقلانى: هو أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ - ١٤٤٩م. من مؤلفاته «الدرر الكامنة فى اعيان المئة الثامنة».

(٢٨) الصفدى: هو خليل بن ايبك بن عبدالله الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ = ١٣٦٣م، من مؤلفاته «الوافى بالوفيات» و«نكت الهميان».

(٢٩) السيوطى: هو جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ = ١٥٠٥م. إمام حافظ مؤرخ أديب، نشأ فى القاهرة يتيما. له نحو ٦٠٠ مصنف. من كتبه «الاتقان فى علوم القرآن» و«الألفية فى النحو» و«بغية الوعاة، فى طبقات اللغويين والنحاة» و«تاريخ الخلفاء» و« تفسير الجلالين» و«تنوير الحوالك فى شرح موطأ الإمام مالك» و«حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة» و«المزهر» فى اللغة.

(٣٠) الحافظ ابن عساكر: هو على بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ثقة الدين الشافعى المتوفى سنة ٥٧١ هـ = ١١٧٥ م كان رفيق السمعانى (صاحب الانساب) فى رحلاته. مولده ووفاته بدمشق. له «تاريخ دمشق الكبير» وهو المقصود هنا. وله «تبيين الامتنان فى الأمر بالاختتان» و«معجم النسوان» و«معجم أسماء القرى والأمصار».

(٣١) اليافعى: هو عبدالله بن أسعد بن على اليافعى. المتوفى سنة ٧٦٨ هـ = ١٣٦٧ م. من مؤلفاته «مرآه الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان» وهو المقصود هنا.

(٣٢) بستان التواريخ: هو لابى يعقوب اسحاق بن سليمان الطبيب المصرى المتوفى سنة ٣٢٠هـ = ٩٣٢م.

(٣٣) تواريخ بغداد: وفيها مؤلفات عديدة منها ما ألفه: أحمد بن طاهر البغدادى، والإمام الحفاظ أبو بكر أحمد بن على المعروف بالخطيب البغدادى، وأبو سعيد عبدالكريم ابن محمد السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ = ١١٦٦م. والحافظ محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م.

(٣٤) تواريخ حلب: الف فيها: كمال الدين ابو حفص، المعروف بابن العديم الحلبى المتوفى سنة ٦١٠ هـ = ١٢١٣م. كتاباً سماه «بغية الطالب» أضاف إليه ذيول كل من: القاضى علاء الدين ابو الحسن علي بن محمد الجبرينى الشهير بابن الخطيب المتوفى سنة ٨٤٣ هـ = ١٤٣٩م. وسماه «الدر المنتخب» ولما طالع هذا الذيل ابن حجر العسقلانى اضاف إليه ذيلاً، ثم ذيله موفق الدين ابو ذر الشهير بسبط ابن العجمى الحلبى المتوفى سنة ٨٨٤ هـ = ١٤٧٩م. وسماه «كنوز الذهب».

(٣٥) تواريخ اصبهان: منها «تاريخ اصبهان للحافظ ابو نعيم» وهو صاحب كتاب «حلية الاولياء». من اعلام المحدثين. يذكر صاحب «وفيات الاعيان» انه ولد سنة ٣٣٦ هـ = ٩٤٧ م وتوفى سنة ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م.

(٣٦) تاريخ بلخ: لمحمد بن عقيل البلخى. وهناك مؤلف آخر بنفس الاسم لأبى القاسم على ابن محمود الكعبى.

(٣٧) تاريخ الاندلس: وهو لأبو الوليد عبدالله بن محمد القرطبى بن الفرضى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ = ١٠١٢م. وله ذيل ألفه، أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال المتوفى سنة ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م. اسماه «الصلة».

(٣٨) الإحاطة في أخبار غرناطة: للوزير لسان الدين الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ = ١٣٧٤م.

(٣٩) تاريخ اليمن: منها تاريخ ابو الحسن على بن الحسن الخزرجى النسابة المعروف بابن وهّاش مؤرخ، بحاثة، من أهل زبيد فى اليمن. توفى عام ٨١٢ هـ = ١٤١٠م، وله «الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من الإسلام» و«طراز أعلام الزمن من طبقات أعيان اليمن» و« العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية». و«البرق اليمانى فى الفتح العثمانى» لمؤلفه قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد النهروانى المكى، المتوفى سنة ٩٨٨ هـ = ١٥٨٠م.

(٤٠) تاريخ مكة: ألف فى تاريخها الإمام أبو الوليد محمد بن عبد الكريم الازرقى المتوفى سنة ٢٢٣ هـ = ٨٣٧م، وهو أول من صنف فيه، وتاريخ القاضى تقى الدين الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢ هـ = ١٤٢٨م. المسمى «شفاء الغرام باخبار البلد الحرام» وله «العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين» ومنها «اتحاف الورى بأخبار أم القرى» للنجم بن فهد. ومنها «الأعلام باعلام بلد الله الحرام» للقطب

المكى» و«الإشارة والإعلام ببناء الكعبة البيت الحرام» للمقريزى.

(٤١) تواريخ الشام: منها «الاعلاق الخطيرة فى تاريخ الشام والجزيرة» لابن شداد و«الدرة الخطيرة فى اسماء الشام والجزيرة» و«البرق الشامى» للعماد الكاتب الوزير أبى عبدالله محمد بن محمد بن حامد الاصفهانى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠م. و«تحفة الأنام فى فضائل الشام» للبصراوى.

(٤٢) تاريخ المدينة المنورة : منها «اخبار المدينة» لابن ربالة محمد بن حسن و« الدرة الثمينة فى اخبار المدينة» لابن النجار، و«تاريخ المدينة» لابى محمد عبدالله بن عبدالله المرجانى. و«فضائل المدينة» لابن عساكر.

(٤٣) المقريزى: هو تقى الدين أحمد المقريزى، المتوفى سنة ٨٤٥ هـ = ١٤٤١م. مؤرخ الديار المصرية. من مؤلفاته «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» و«السلوك فى معرفة دول الملوك» و«تاريخ الأقباط» و«البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب» و«النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم و«اتعاظ الحنفاء فى أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء». قيل أن تصانيفه زادت على مئتى مجلد كبار.

(٤٤) تاريخ أبن ابى طى: له «تاريخ مصر» و«حوادث الزمان» و«مختار المغرب». ويعرف باسم يحى بن حميده بن ظافر، توفى سنة ٦٣٠ هـ = ١٢٣٣م.

(٤٥) المُسبِّحى. هو محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩م. من مؤلفاته «تاريخ المغاربة فى مصر»، يعرف «بمحتار المسبحى» و«قصص الانبياء»

(٤٦) ابن المأمون. هو هارون بن العباسى بن محمد بن احمد بن المأمون المتوفى سنة ٥٧٣ هـ = ١١٧٨م. جمع تاريخًا على السنين من أخبار الأوائل والحوادث لم يعثر عليه.

(٤٧) ابن زولاق: هو أبو محمد الحسن بن ابراهيم المتوفى سنة ٣٨٧ هـ = ٩٩٧م. من كتبه «خطط مصر» و«أخبار قضاة مصر» و«مختصر تاريخ مصر».

(٤٨) القضاعى: هو محمد بن سلامة بن جعفر ابن على بن حكمون المتوفى سنة ٤٥٤ هـ = ١٠٦٢م، من مؤلفاته «خطط مصر» و«نزهة الألباب» و«الانباء عن الأنبياء».

(٤٩) تاريخ العينى: وهو «عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان». لمحمود بن أحمد بن موسى بن أحمد أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفى، مؤرخ وعلامة. وله بالتركية «تاريخ الأكاسرة» ولد عام ٧٦٢ هـ = ١٣٦١ م، وتوفى سنة ٨٨٥ هـ = ١٤٥١ م.

(٥٠) السخاوى: هو محمد بن عبدالرحمن شمس الدين السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ هـ = ١٤٩٧م. وله «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ» و«التحفة اللطيفة فى أخبار المدينة الشريفة» «وبغية العلماء والرواة» ذيل لكتاب

«رفع الإصر عن قضاة مصر».

(٥١) تاريخ ابن خلدون: هو أبو زيد عبدالرحمن ابن محمد المعروف بابن خلدون، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ = ١٤٠٦م. ويعرف تاريخه باسم «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر».

(٥٢) ابن دقماق: هو إبراهيم بن محمد بن ايدمر ابن دقماق القاهرى المتوفى سنة ٨٠٩ هـ = ١٤٠٧م. مؤرخ الديار المصرية فى وقته. كتب نحو مئتى سفر فى التاريخ. من تصانيفه «الانتصار لواسطة عقد الأمصار» و«الجوهر الثمين فى سيرة الخلفاء والسلاطين» و«ترجمان الزمان فى تراجم الاعيان» و«نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام».

(٥٣) تاريخ المسعودى: لعله يقصد هنا «مروج الذهب».

(٥٤) مدشته: متفرقة فى غير انتظام. والكلمة «داشت» فارسية تعنى الصحراء، وإذا نطقت «دشت» كانت تعنى الشىء الردئ.

(٥٥) القومة: الذين يحددون قيمة السلع.

(٥٦) كانت هذه أكبر حركة نقل للمخطوطات من مصر إلى خارجها، والتى اعتمد عليها العديد من المستشرقين فى دراساتهم، سواء فى انجلترا وفرنسا أو فى ألمانيا وايطاليا.

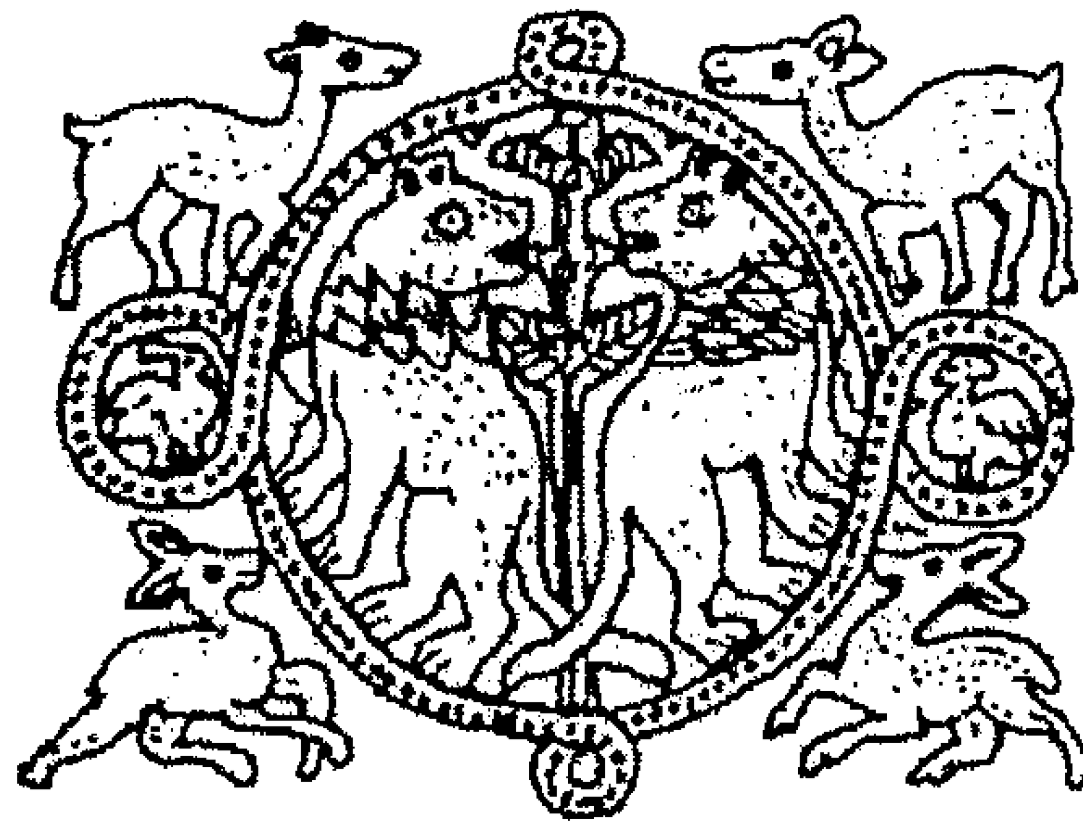
(٥٧) أحمد جلبى بن عبدالغنى: هو أحمد شلبى بن عبدالغنى الحنفى المصرى، توفى عام ١١٥٠ هـ = ١٧٣٧م. والجبرتى يشير هنا إلى أنه من الاجناد، وهو غير صحيح. وللتدليل على ذلك يمكن الرجوع إلى مؤلفه «أوضح الإشارات فيمن ولى القاهرة من الوزراء والباشات» الذى ادعى الجبرتى ضياعه منه بالرغم من انه اعتمد عليه، خاصة فى الفترة من أول الباشات العثمانية حتى سنة ١١٥٠. هـ = ١٧٣٧م. فترة بكير باشا.

(٥٨) يقصد الجبرتى «أول القرن الثانى عشر الهجرى» = السابع عشر الميلادى تقريبا.

(٥٩) السّوَام: الإبل الراعية بنفسها.

(٦٠) طُعْمة : الغذاء.

(٦١) العنقاء: طائر خرافى مصدره الاساطير الفرعونية.



مقدمة

اعلم أن الله تعالي لما خلق الارض ودحاها[١]، وأخرج منها ماءها ومرعاها، وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها، أحوج بعض الناس إلى بعض في ترتيب معايشهم ومآكلهم، وتحصيل ملابسهم ومساكنهم، لأنهم ليسوا كساير الحيوانات التى تُحصّل ما تحتاج إليه بغير صنعة، فإن الله تعالى خلق الإنسان ضعيفاً لا يستقل وحده بامر معاشه لاحتياجه إلى (ص١٣) غذاء ومسكن ولباس وسلاح. فجعلهم الله تعالى يتعاضدون ويتعاونون فى تحصيلها وترتيبها، بأن يزرع هذا لذاك، ويخبز ذلك لهذا. وعلى هذا القياس تتم ساير أمورهم ومصالحهم. وركّز فى نفوسهم الظلم والعدل. ثم مست الحاجة بينهم إلى سايس عدل، وملك عالم، يضع بينهم ميزاناً للعدالة، وقانوناً للسياسة، توزن به حركاتهم وسكناتهم، وترجع إليه طاعتهم ومعاملاتهم، فأنزل الله كتابه بالحق وميزاناً بالعدل، كما قال تعالى: «الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان [٢]». قال علماء التفسير: المراد بالكتاب والميزان العلم والعدل، وكانت مباشرة هذا الأمر من الله بنفسه من غير واسطة وسبب. على خلاف ترتيب المملكة، وقانون الحكمة، فاستخلف فيها من الآدميين خلايف، ووضع فى قلوبهم العلم والعدل، ليحكموا بهما بين الناس، حتى يصدر تدبيرهم عن دين مشروع، وتجتمع كلمتهم على رأى متبوع. ولو تنازعوا فى وضع الشريعة لفسد نظامهم، واختل معاشهم.

* فى معنى الخلافة والعدالة.

فمعنى الخلافة هو أن ينوب أحد مناب آخر فى التصرف، واقفاً على حدود أوامره ونواهيه. وأما معنى العدالة فهى خلق فى النفس، أو صفة فى الذات تقتضى المساواة، لأنها أكمل الفضايل، لشمول اثرها وعموم منفعتها كل شيء، وإنما يسمى الإنسان عادلاً لما وهبه الله قسطا من عدلة، وجعله سبباً وواسطة لإيصال (ص١٤) فيض فضله، واستخلفه فى أرضه بهذه الصفة حتى يحكم بين الناس بالحق والعدل، كما قال

تعـالى: «يا داود إنا جـعلناك خليـفـة فى الارض، فـاحكم بين الناس بـالحـق[٣]». وخـلايف الله هم القايمون بالقسط والعدالة فى طريق الاستقامة، «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه[٤]». والعـدالة تابعـة للعلم بأوساط الأمور، المعبر عنها فى الشريعة بالصراط المستقيم. وقوله تعالى: «إن ربى على صراط مستقيم[٥]» إشارة الى أن العدالة الحقيقية ليست إلا لله تعالى. فهو العادل الحقيقى الذى لا يغرب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السمـاء، ووضع كل شىء على مـقـتـضى علمـه الكامل وعدله الشامل، وقوله صلى الله عليه وسلم: «بالعدل قامت السموات والارض». إشارة إلى عدل الله تعالى الذى جعل لكل شىء قدرا، لو فرض زايدا عليه، أو ناقصاً عنه، لم ينتظم الوجود على هذا النظام بهذا التمام والكمال.

* العدالة تابعة للعلم.

تتمه عليها مدار هذا الباب، والله الهادى إلى طريق الصواب

* أصناف العـدل. ودرجـات القائمين عليه.

اصناف العدل من الخلايق خمسة، رفع ا لله بعضهم بعض درجات، كما قال تعالى: «وهو الذى جعلكم خلايف فى الارض، ورفع بعضكم فوق بعض درجات[٦]»: الأول: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهم أولياء الامة وعمُد الدين، ومعادن حكم الكتاب، وأمناء الله فى خلقه. وهم السـرج[٧] المنيرة على سبل الهدى. وحملة الأمانة عن الله إلى خلقه بالهداية. بعثهم رسلاً (ص١٥) إلى قومهم، وأنزل معهم الكتاب والميزان، ولايتعدون حدود ما أنزل الله إليهم من الأوامر والزواجر، إرشاداً وهداية لهم، حتى يقوم الناس بالقسط والحق، ويخرجونهم من ظلمات الكفر والطغيان إلى نور اليقظة والايمان. وهم سبب نجاتهم من دركات جهنم إلى درجات الجنان، وميزان عدالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين وصاهم الله بإقامته فى قوله تعالى: «شرع لكم من

الدين ما وصّى به نوحا[٨]». فكل أمر من أمور الخلايق دنيا وأخرى، عاجلاً وآجلاً، قولاً وفعلا، حركة وسكونا، جار على نهج العدالة مادام موزونا بهذا الميزان، ومنحرف عنها بقدر انحرافه عنه، ولا تصح الإقامة بالعدالة إلا بالعلم، وهو اتباع أحكام الكتاب والسنة.

الثاني: العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، فهم فهموا مقامات القدوة من الأنبياء، وإن لم يعطوا درجاتهم، واقتدوا بهداهم، واقتفوا آثارهم. إذ هم أحباب الله وصفوته من خلقه، ومشرق نور حكمته. فصدقوا بما أتوا به، وساروا على سبيلهم، وأيدوا دعوتهم، ونشروا حكمتهم، كشفا وفهما، ذوقا وتحقيقا، ايمانا وعلما بكامل المتابعة لهم ظاهرا وباطنا، فلا يزالون مواظبين على تمهيد قواعد العدل، وإظهار الحق، برفع منار الشرع، وإقامة أعلام الهدى والإسلام، وإحكام مبانى التقوى برعاية الأحوط فى الفتوى، تزهداً للرخص، لأنهم أمناء الله فى العالم، وخلاصة بنى آدم، مخلصون فى مقام العبودية، مجتهدون (ص١٦) فى اتباع احكام الشريعة، من باب الحبيب لا يبرحون، ومن خشية ربهم مشفقون، مقبلون إلى الله تعالى بطهارة الأسرار، وطايرون إليه بأجنحة العلم والأنوار. هم أبطال ميادين العظمة، وبلابل بساتين العلم والمكالمة، «اوليك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون[٩]»، وتلذذوا بنعيم المشاهدة، «ولهم عند ربهم ما يشتهون[١٠]». وما ظهر فى هذا الزمان من الاختلال فى حال البعض من حب الجاه والمال والرياسة والمنصب والحسد والعقد، لا يقدح فى حال الجميع. لأنه لا يخلوا الزمان من محقيهم، وإن كثر المبطلون. ولكنهم اخفياء مستورون تحت ثياب الخمول، لا تكشف عن حالهم يد الغيرة الإلهية، والحكمة الأزلية. وهم آحاد الأكوان، وأفراد الزمان، وخلفاء الرحمن. وهم مصابيح الغيوب، مفاتيح أقفال القلوب، وهم خلاصة خاصة الله من خلقه، وما برحوا أبدا فى مقعد صدقه، بهم يهتدى كل حيران، ويرتون كل ظمآن. وذلك أن مطلع شمس مشارق أنوارهم مقتبس من مشكاة

النبوة المصطفوية، ومعدن شجرة اسرارهم، مؤيد بالكتاب والسنة، لا أحصى ثناء عليهم. أفض اللهم علينا مما لديهم.

الثالث: الملوك وولاة الامور، يراعون العدل والإنصاف بين الناس والرعايا، توصلاً إلى نظام المملكة، وتوسلاً إلى قِوام السلطنة، لسلامة الناس (ص١٧) فى أموالهم وأبدانهم وعمارة بلدانهم، لولا قهرهم وسطوتهم لتسلط القوى على الضعيف، والدنى على الشريف. فرأس المملكة واركانها، وثبات أحوال الأمة وبنيانها العدل والإنصاف، سواء كانت الدولة إسلامية أو غير إسلامية. فهما أساس كل مملكة، وبنيان كل سعادة ومكرمة. فإن الله تعالى أمر بالعدل، ولم يكتف به حتى أضاف إليه الإحسان. فقال تعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان[١١]»، لأن بالعدل ثبات الأشياء ودوامها، وبالجور والظلم خرابها وزوالها، فإن الطباع البشرية مجبولة على حب الانتصاف من الخصوم، وعدم الإنصاف لهم. والظلم والجور كامن فى النفوس لا يظهر إلا بالقدرة، كما قيل:

* ثبات أحوال الأمة وبنيانها العدل والانصاف، سواء كانت الدولة إسلامية أو غير إسلامية.

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم[١٢]

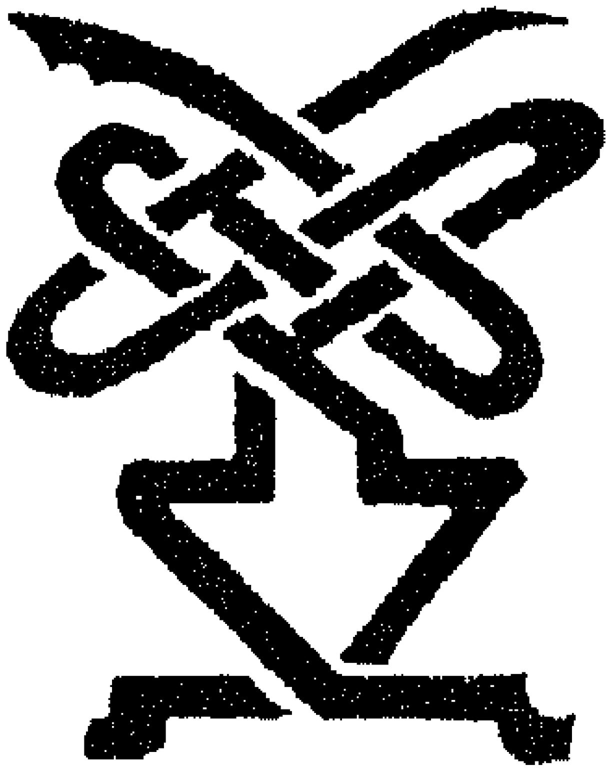
فلولا قانون السياسة وميزان العدالة، لم يقدر مصلى على صلاته، ولا عالم على نشر علمه، ولا تاجر على سفره. ولله در عبد الله بنى المبارك[١٣] حيث قال:

* حدود الملك العادل، العدل بين العباد وتحذر الجور والفساد.

لولا الخلافةُ ماقامت لنا سبلٌ وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

فإن قيل فما حدّ الملك العادل، قلنا هو كما قال العلماء: «بالله من عدل بين العباد، وتحذر عن الجور والفساد»، حسبما ذكره رَضىٌ الصوفى[١٤] فى كتابه المسمى «قلاده الأرواح وسعادة الأفراح». [و] عن أبى هريرة، قال، قال (ص١٨) رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها». وفى

حديث آخر: «والذى نفس محمد بيده، إنه ليُرفع للملك العادل إلى السماء، مثلُ عمل الرعية، وكل صلاة يصليها تعدل سبعين الف صلاة» وكأن الملك العادل قد عبد الله بعبادة كل عابد، وقام له بشكر كل شاكر. فمن لم يعرف قدر هذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى، واشتغل بظلمه وهواه، يخاف عليه بان يجعله الله من جملة أعدائه، وتعرض إلى أشد العذاب، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة، وأقربهم منه إمامٌ عادل، وإن أبغض الناس إى الله تعالى، وأشدهم عذابا يوم القيامة إمام جاير[١٥]». فمن عدل فى حكمه وكف عن ظلمه، نصره الحق وأطاعه الخلق وصفت له النعماء وأقبلت عليه الدنيا، فَتَهنًّا بالعيش، واستغنى عن الجيش، وملك القلوب، وأمن الحروب، وصارت طاعته فرضا وظلت رعيته جندا، لأن الله تعالى ما خلق شيا أحلى مذاقاً من العدل، ولا أروَح إلى القلوب من الإنصاف، ولا أمرّ من الجور، ولا أشنع من الظلم. فالواجب على الملك، وعلى ولاة الامور أن لا يقطع فى باب العدل إلا بالكتاب والسنة، لأنه يتصرف فى مُلك الله، وعباد الله بشريعة نبيه ورسوله، نيابة عن تلك الحضرة، ومُسْتَخْلَفاً عن ذلك الجناب المقدس، ولا يأمن من سطوات ربه (ص١٩) وقهره فيما يخالف امره، فينبغى أن يحْتَرِزْ عن الجور والمخالفة والظلم والجهل، فإنه أحوجُ الناس إلى معرفة العلم، واتباع الكتاب والسنة، وحفظ قانون الشرع والعدالة. فإنه منتصبٌ لمصالح العباد، وإصلاح البلاد، وملتزم فصل خصوماتهم، وقطع النزاع بينهم، وهو حامى الشريعة بالاسلام. فلابد من معرفة أحكامها، والعلم بحلالها وحرامها، ليتوصل بذلك إلى إبراء ذمته، وضبط مملكته، وحفظ رعيته، فيجتمع له مصلحةُ دينه ودنياه، وتمتلىء القلوب بمحبته والدعا له، فيكون ذلك أقوم لعمود ملكه، وأدوم لبقائه. وأبلغُ الأشياء فى حفظ المملكة العدلُ والإنصافُ على الرعية.



وقيل لحكيم «أيما أفضل، العدل أم الشجاعة؟» فقال: «من عدل استغنى عن الشجاعة، لأن العدل أقوى جيش، وأهنأ عيش». وقال الفُضيل بن عياض [١٦]: «النظر إلى وجه الإمام العادل عبادة، وان المقسطين عند الله على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمن».

قال سفيان الثورى[١٧]: «صنفان إذا صلحا صلحت الأمة، وإذا فسدا فسدت الأمة، الملوك والعلماء. والملك العادل هو الذى يقضى بكتاب عزّ وجل، ويشفق على الرعية شفقة الرجل على أهله.



روى ابن يسار عن أبيه، [أنه] قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم،يقول: «أيما والٍ ولى من أمر أمتى شيئا، فلم ينصح لهم، ويجتهد كنصيحته وجَهده لنفسه، كبه الله على وجهه يوم القيامة فى النار».

الرابع: أوساط الناس (ص٢٠) يراعون العدل فى معاملاتهم، وأُروش[١٨] جناياتهم بالانصاف منهم، يكافيؤن الحسنة بالحسنة، والسيئة بمثلها.

الخامس: القايمون بسياسة نفوسهم، وتعديل قواهم، وضبط جوارحهم، وانخراطهم فى سلك العدول*. لأن كل فرد من أفراد الإنسان مسئول عن رعاية رعيته، التى هى جوارحه وقواه، كما ورد «كلكم راع، وكلكم مسيؤل عن رعيته»، وكما قيل: «صاحب الدار مسيؤل عن أهل بيته وحاشيته». ولا تؤثر عدالة الشخص فى غيره، ما لم تؤثر أولاً فى نفسه، إذ التأثير فى البعيد قبل القريب بعيد. وقوله تعالى: «أتأمُرون الناس بالبر وتنسون انفسكم[١٩]؟» دليل على ذلك. والإنسان متصف بالخلافة، لقوله تعالى «ويْستخْلفكم فى الأرض، فينظر كيف تعملون[٢٠]». ولا تصح خلافة الله إلا بطهارة النفس، كما أن أشرف العبادات لا تصح إلا بطهارة الجسم. فما أقبح المرء ان يكون حُسن جسمه باعتبار قبح نفسه». كما قال حكيم لجاهل صبيح الوجه: «أما البيت فحسن، وأما ساكنه فقبيح». وطهارة النفس شرط فى صحة

* العدول هم الشهود فى المحاكم.

* شروط الخليفة.

الخلافة وكمال العبادة، ولا يصح نجس النفس لخلافة الله تعالى، ولا يكمل لعبادته وعمارة أرضه إلا من كان طاهر النفس، قد أزيل رجسه ونجسه، فللنفس نجاسه، كما أن [للبدن] نجاسة، فنجاسة البدن يمكن إدراكها بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك إلا بالبصيرة، كما أشار بقوله تعالى: «إنما المشركون نجس[٢١]». فإن الخلافة هي الطاعة، (ص٢١) والاقتدارَ على قدر طاقة الإنسان في اكتساب الكمالات النفسية والاجتهاد بالإخلاص في العبودية، والتخلق بأخلاق الربوبية. ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر الفعل، فكل إناء بالذى فيه ينضح. ولهذا قيل: «من طابت نفسه طاب عمله، ومن خبثت نفسه خبث عمله». وقيل في قوله عليه الصلاة والسلام «لا تدخل الملايكة بيتاً فيه كلب» أنه أشار بالبيت إلى القلب، وبالكلب إلى النفس الأمارة بالسوء، وإلى الغضب والحرص والحسد وغيرها، من الصفات الذميمة الراسخة في النفس، ونبه بأن نور الله لا يدخل القلب اذا كان فيه ذلك الكلب، كما قيل:



ومن يربُط الكلب العقور ببابه　　فَعَقْرُ جميع الناس من رابط الكلب

والى الطهارتين أشار بقوله تعالى: «وثيابك فطهر، والرُجز فاهجر[٢٢]»، وأما الذى تَطْهُر به النفس حتى تصاح للخلافة، وتستحق به ثوابه، فهو العلم والعبادة الموظفة [اللذان هما] سبب الحياة.

توضيح: أعلم أن الإنسان من حيث الصورة التخطيطية كصورة في جدران، وإنما فضليته بالنطق والعلم.

* فضيلة الإنسان عن الحيوان النطق والعلم.

لهذا قيل «ما الإنسان [لولا اللسان] إلا بهيمة مهملة، أو صورة ممثلة». فبقوة العلم والنطق والفهم [يضارع] الملَكَ، وبقوة الأكل والشرب والشهوة والنكاح والغضب يشبه الحيوان. فمن صرف همته كلّها إلى

تربيـة القـوة الفكرية بالعلم، والعـمل، فـقـد (ص٢٢) لحق بأفق الملَك، فيسمى مَلَكاً وربّانياً[٢٣]. كما قال تعالى «إن هذا إلا مَلَكٌ كريم[٢٤]»، ومن صرف همته كلها إلى تربية القوة الشهوانية باتباع اللذات البدنية، يأكل كما تأكل الأنعام، فحقيق أن يُلحق بالبهايم. إمّا[٢٥] غمراً كثور، أو شرها كخنزير، أو عقوراً ككلب، أو حقوداً كجمل، أو متكبراً كنمر، أو ذا حيلة ومكر كثعلب، أو بجميع ذلك كله فيصير كشيطان مريد. والى ذلك الإشارة بقوله تعالى: «وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت[٢٦]». وقد يكون كثير من الناس فمن صُورَته صورة إنسان وليس في الحقيقة إلا كبعض الحيوان. قال الله تعالى: «ان هم إلا كالأنعام، بل هم أضل[٢٧]».

شعر:

مثل البهايم جهلاً جَلّ خالقهُم   لهُم تَصاويرُ لم يُقْرنْ بهنّ حِجا

وصل: من نصائح الرشاد لصالح العباد.

اعلم أن سبب هلاك الملوك، إطراح ذوى الفضايل، واصطناع ذوى الرذايل، والاستخفاف بعظة الناصح، والأعتزاز بتزكية المادح. من نظر في العواقب، سلم من النوايب. وزوال الدول باصطناع السِّفَل[٢٨]. ومن استغنى بعقله ضل، ومن اكتفى برأيه زلّ. ومن استشار ذوى الألباب، سلك سبيل الصواب. ومن استعان بذوى العقول فاز بدرك المأمول. من عدل في سلطانه، استغنى عن أعوانه. عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان. (ص٢٣) المُلكُ يبقى على الكفر والعدل، ولا يبقى على الجوْر والإيمان. ويقال «حقٌ على من ملَّكَه الله [على] عباده، وحكمه في بلاده ان يكون لنفسه مالكاً، وللهوى تاركاً، وللغيظ كاظما، وللظلم هاضما، وللعدل في حالتي الرضا والغضب مُظهراً،





وللحق فى السر والعلانية مُؤثراً، وإذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته، والقلوب محبته، وأشرق بنور عدله زمانه، وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه. ولقد صدق من قال:

يـأيهـــا المـلـكُ الـذى بصــلاحــه صلُح الجـمـيع
أنت الزمـانُ فـإن عـدلـــ ـــت فكُلـهُ أبداً ربيـع

وقال عمرو بن العاص: «ملك عادل خير من مطر وابل، من كثر ظلمه واعتداؤه، قرب هلاكه وفناؤه».

موعظة: كل محنة إلى زوال، وكل نعمة إلى انتقال. شعر

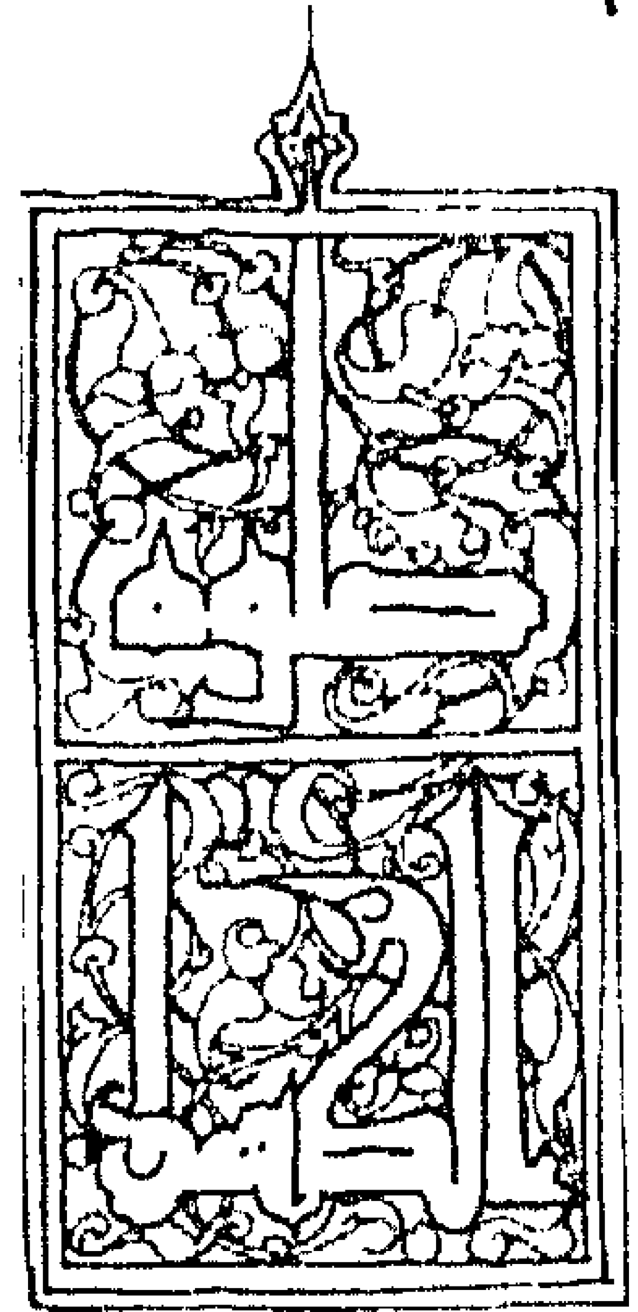
رأيت الدهر مختلفاً يدور فلا حزن يدوم ولا سرور
وشيدت الملوكُ به قصوراً فما بقى الملوكُ ولا القصور

وقال المأمون:

يبقى الثناء وتنْفَدُ الأموالُ ولكل وقت دولةٌ ورجالُ

من كبرت همته كثرت قيمته. لا تثق بالدولة فانها ظل زايل. ولا تعتمد على النعمة فانها ضيف راحل. فإن الدنيا لا تصفوا لشارب، ولا تفى لصاحب.

(ص٢٤) كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصرى[٢٩]: انصحنى. فكتب إليه: «إن الذى يصحبك لا ينصحك، والذى ينصحك لا يصحبك». وسأل معاوية الأحنف بن قيس[٣٠]، وقال له: «كيف الزمان [؟]» فقال: «أنت الزمان، إن صلحت صلح الزمان، وإن



فسدتَ فسد الزمان». آفة الملوك سوء السيرة، وآفة الوزراء خبث السريرة، وآفة الجند مخالفة القادة، وآفة الرعية مخالفة السادة، وآفة الرؤساء ضعف السياسة، وآفة العلماء حب الرياسة، و[آفة القُضاة شدة الطمع، وآفة العدول(٣١) قلة الورع(٣٢)]، وآفة القوى استضعاف الخصم، وآفة الجرىء إضاعة الحزم، وآفة المنعم قبح المن، وآفة المذنب حسن الظن. والخلافة لا يصلحها إلا التقوى، والرعية لا يصلحها إلا العدل. فمن جارت قضيته ضاعت رعيته، ومن ضعفت سياسته بطلت رياسته. ويقال شيئان إذا صلح أحدهما صلح الآخر: السلطان والرعية. ومن كلام بعض البلغاء «خير الملوك من كَفى وكَفَّ، وعفا وعَفّ». وقال الشاعر فى بعض ولاة بنى مروان (٣٣):

اذا ما قضيتم ليلكم بمنامكم ... وأفنيتموُا أيامكم بمُدامِ
فمن ذا الذى يغشاكم فى مُلمةً ... ومن ذا الذى يلقاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بأيسر بُلْغَةٍ(٣٤) ... بلثمْ غلام، أو بشرب مدام
(ص٢٥) ألم تعلمون أن اللسانَ موَكل ... بمدح كرام، أو بذم لئام

قال وهب بنى مُنبه(٣٥): «إذا همَّ الوالى بالجور، أو عمل به، أدخل الله النقص فى اهل مملكته، حتى فى التجارات والزراعات، وفى كل شيء. وإذا همَّ بالخير، أو عمل به، أدخل الله البركة على اهل مملكته حتى فى التجارات والزراعات، وفى كل شيء، ويعم البلاد والعباد.

ولنقبض عنان العبادات النقلية فى أرض الإشارات العقلية المقتطفة من نظم السلوك فى مسامرة الملوك، وغرر الخصايص وعرر النقايص، وهو باب واسع كثير المنافع، وملاك الامر فى ذلك حسن القابلية، وأن تكون مرآة القلب غير صدية(٣٦)، كما قيل:

إذا كان الطباعُ طباعَ سوء ... فليس بنافع أدب الأديب

وقيل: الاخلاق وإن كانت عزيزة، فإنه يمكن تطبعها بالرياضة والتدريب والعادة. والفرق بين الطبع والتطبع، أن الطبع جاذب منفعل، والتطبع مجذوب مفتعل، وتتفق نتايجهما مع التكلف، ويُفترق فى تأثيرهما مع الإسترسال. وقد يكون فى الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة، ولا الأخلاق الجميلة، ونفسه مع ذلك تتشوق إلى المنقْبة(٣٧)، وتتآنف من المثلبة، لكن سلطان طبعه يابى عليه، ويستعصى (ص٢٦) عن تكليف ما أندب إليه. يختار العطل(٣٨) منها على التحلي، ويستبدل الحزن على فواتها بالتسلي. فلا ينفعه التأنيب، ولا يردعه التأديب. وسبب ذلك ما قرره المتكلمون فى الاخلاق من ان الطبع المطبوع املك للنفس، التى هى مَحَلّه، لاستيطانه إياها، وكثرة إعانته لها، والذى يطراء على المحلُ غريب عنه. قال الشاعر(٣٩):

* الفرق بين الطبع والتطبع.

* الطبع المطبوع املك للنفس.

ومن يتّدِع ما ليس من خِيم(٤٠) نفسه ... يَدَعْه، ويَغْلبْه على النفس خِيمها

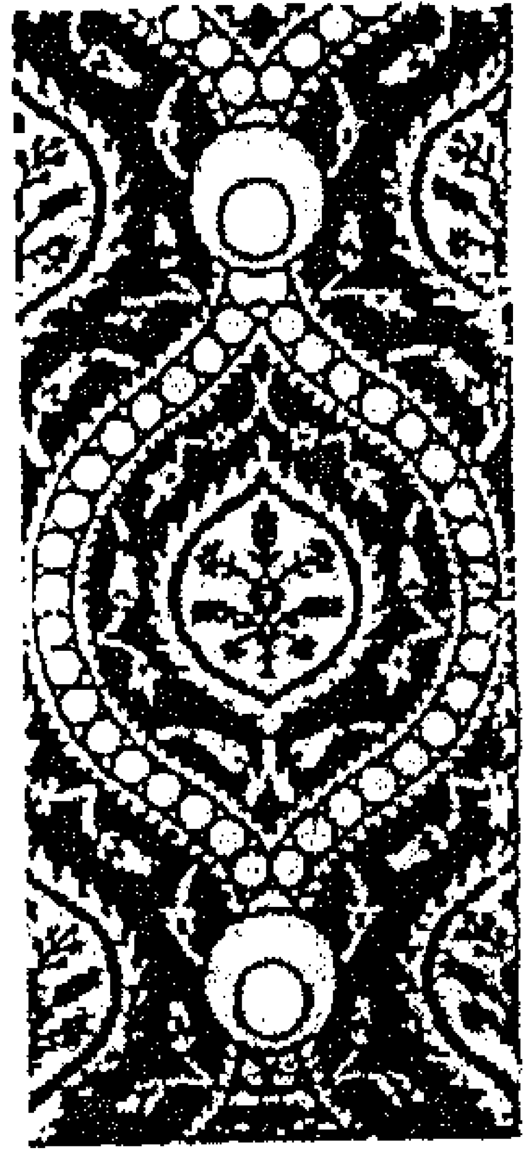
وأما الذى يجمع الفضايل والرذايل فهو الذى تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم، وقد تُكتسبَ الأخلاقُ من معاشرة الأخلاء، إما بالصلاح أو بالفساد، فرب طبعٍ كريم افسدته معاشرة الاشرار، وطبعٍ لئيم أصلحته مصاحبة الاخيار. وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل». وقال على رضى الله عنه لولده الحسن: «الأخ رقعة فى ثوبك، فانظر بم ترقعه». وقال بعض الحكما فى وصية لولده: «احذر مقارنة ذوى الطباع المرذولة، لئلا تسرق طباعُك من طباعهم، وأنت لا تشعر» وأنشده:

واصحب الأخيار، وارغب فيهمُ ... رُبَّ مَنْ صاحبْتَهُ مثل الجرب

وأما إذا كان الخليل كريم الأخلاق، شريف (ص٢٧) الأعراق، حسن السيرة، طاهر السريرة، فبه فى محاسن الشيم يُقتدى، وبنجم رشده فى



طريق المكارم يُهتدى. وإذا كان سيء الاخلاق والاعمال، خبيث الاقوال، كان المغتبط به كذلك. ومع هذا فواجب على العاقل اللبيب، والفطن [الاريب(٤١)] أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهذيب خلايقه، ويكتسى حلل الجمال بدماثه شمايله، وحميد طرايقه. قال عمرو بن العاص: «المرء حيث يجعل نفسه، إن رفعها ارتفعت، وإن وضعها اتوضعت». وقال بعض الحكما: «النفسُ عروفٌ عزُوفٌ، ونفُورُ ألوف، متى ردعتها ارتدعت، ومتى حملتها خملت، وإن أصلحتها صلَحت، وإن أفسدتها فسدت. وقال الشاعر:



وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فان طمحت تاقت وإلا تَسَلّت

وقالوا: من فاته حسبُ نفسه، لم ينفعه حسب أبيه.

والمنهج القويم الموصل إلى الثناء الجميل أن يستعمل الانسان فكره وتمييزه فيما ينتج عن الأخلاق المحمودة والمذمومة منه ومن غيره، فيأخذ نفسه بما استحسن منها واستُملح، ويصرفها عما استهجن منها واستقبح. فقد قيل: «كفاك تأديباً تركُ ما كرههُ الناس من غيرك». وقال الشاعر:

كفى أدبا لنفسك ما تراه لغيرك شائناً بين الأنام

وقال أيضاً:

إذا أعجبتك خلالُ امرىءٍ فكُنْهُ تكُن مثل من يُعجبك(٤٢)
فليس على المجد والمكرُمات إذا جئتها حاجبٌ يحجُبك

وقالوا من نظر في عيوب الناس فأنكرها، ثم رضيها لنفسه، فذلك هو الأحمق بعينه.

قال الشاعر:

لا تلم المرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله
من ذمّ شيئاً وأتى مثله فإنما دلّ على جهله

(١) دحاها: أى مدها وبسطها. ولقد ظل الأيمان بأن الأرض مسطحة عند رجال الدين حتى عصر الجبرتى رغم ثبوت كرويتها منذ عصر الفراعنة.

(٢) سورة الشورى، آية ١٧.

(٣) سورة «صّ»، آية ٢٦.

(٤) سورة الطلاق، الآية الاولى.

(٥) سورة هود، الآية ٥٦.

(٦) سورة الانعام، آية ١٦٥.

(٧) سُرُوج: مفردها سراج، أى قنديل.

(٨) سورة الشورى، آية ١٣.

(٩) سورة المؤمنون، آية ١٠.

(١٠) هكذا وردت الآية فى المخطوط، وصحتها: «لهم ما يشاءون عند ربهم، ذلك جزاء المحسنين». سورة الزمر، آية ٣٤. أو: «لهم ما يشاءون عند ربهم، ذلك هو الفضل الكبير» سورة الشورى، آية ٢٢.

(١١) سورة النحل، آية ٩٠.

(١٢) جاء هذا البيت فى قصيدة للمتنبى أولها:

لهوى النفوس سريرة لا تعلم
عرضا نظرت، وخلت أنى أسلم

وقبله:

لا يخدعنك من عدو دمعة
وأرحم شبابك من عدو تُرحم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم
يؤذى القليل من اللئام بطبعه
من لا يقل كما يقول ويلوم

(١٣) عبد الله بن المبارك: وُلد بمرو من أعمال خُراسات سنة ١١٨هـ = ٧٣٦م. وهو من المتصوفة الذين شاع أمرهم بين العامة فى عهد هارون الرشيد. ورغم تصوفه فإنه لم يكن زاهداً فى المال، فقد كان له أربعون دار للإيجار، ولم يكن على خلاف مع السلطة العباسية بعكس متصوفى عصره.

(١٤) رضىُّ الصوفى: هو محمد بن ابراهيم الصوفى (أبو حمزة) أستاذ البغداديين فى التصوف وأول من تكلم ببغداد فى ما يسمونه «صفاء الذكر، وجمع الهمّ، والمحبة، والعشق والانس». لم يسبقه إلى الكلام بهذا على رؤوس المنابر ببغداد أحد. توفى عام ٢٧٠هـ = ٨٨٣م.

ذكر ملاً كاتب حلبى فى كشف الظنون، فى حرف «القاف» أن كتاب «قلادة الأرواح وسعادة الأفراح» مؤلفه هو الشيخ ابى عبد الله عالم بن محمد الكاشغرى المعروف برحل الصوفى.

(١٥) رواه الترمذى فى باب الاحكام (٤)، والنسائى فى باب الزكاة (٧٧)، وابن حنبل(٣).

(١٦) الفُضيل بن عياض: من المتصوفة الذين ظهروا فى أيام خلافة الرشيد توفى سنة ١٨٧هـ = ٨٠٢م.

(١٧) سفيان الثورى: من رواة الحديث. ولاّه الخليفة العباسى المهدى قضاء الكوفة. توفى سنة ١٦١هـ = ٧٧٧م.

(١٨) أُروش جناياتهم: أى دية الجنايات. وكذلك

المال أو الفلوس التي تدفع كدية للجنايات والجراحات، وقد تكون أصلاً لكلمة «قروش».

(١٩) سورة البقرة، آية ٤٤.

(٢٠) سورة الاعراف، آية ١٢٩.

(٢١) سورة التوبة، آية ٢٨.

(٢٢) سورة المدثر، آية ٥.

(٢٣) لاحظ هنا استخدام لغة الصوفية.

(٢٤) سورة يوسف، آية ٣١.

(٢٥) غمراً: الغمر كالحقد وزناً ومعنى.

(٢٦) سورة المائدة، آية ٦٠.

(٢٧) سورة الفرقان، آية ٤٤.

(٢٨) سفل: جمع، مفرده سِفْلَة، وسَفِلة: المنحطين ومعدومي الكفاءة ممن يسيرون في ركب السلطان ويستشيرهم.

(٢٩) الحسن البصري: هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة. وُلد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي ابن أبي طالب، سكن البصرة. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة. له مع الحجاج بن يوسف مواقف.

(٣٠) الأحنف بن قيس: هو بن قيس بن معاوية بن حُصين التميمي السعدي، واسمه أبو بحر. ادرك النبي ولم يره. ولد بالبصرة. كان معاوية يخشاه. توفي سنة ٦٧هـ = ٦٨٦م. وقيل سنة ٧٢هـ = ٦٩١م. اعتزل الفتنة يوم الجمل، ثم شهد صفين مع عليّ. ثم ولي خراسان في عهد معاوية بعد ان هزم علي. ومن أقواله في تبرير الاستبداد الاموي «لا تعدن شتم الوالي لك شتما، ولا إغلاظه إغلاظاً، فإن ريح العزة يبسط اللسان بالغلظة في غير بأس ولا سخط». انظر تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٣١) العُدول: قوم يتخذهم القاضي للشهادة من الموثوق بذمتهم، وهم تابعين له، يأخذ بشهادتهم في الخصوم، وقد لا يقبلها. وفقا لما يتبين له من ظروف الدعوى لأن العهدة على القاضي من الناحية الشرعية.

(٣٢) العبارة كلها مضافة من المخطوطات الاخرى.

(٣٣) بني مروان: هم الخلفاء الأمويين التاليين لمعاوية بن يزيد بن معاوية (معاوية الثاني)، وكان اولهم مروان بن عبد الحكم.

(٣٤) البُلغَة: الطعام وما يتبلغ به من العيش.

(٣٥) وهب بن مُنبِّه: الابناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله. مؤرخ، عالم بالاساطير ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين. ولد عام ٣٤هـ = ٦٥٤م في صنعاء، وتوفي بها سنة ١١٤ هـ = ٧٣٢م. أصله فارسي وأمه من حمير. كان يقول: «سمعتُ اثنين وتسعين كتابا، كلها أنزلت من السماء». اتهم بالقدر، ويقال ألف فيه كتابا. سجن في كبره وامتحن حتى مات.

(٣٦) صدية: يُقصد بها هنا ان مرآة القلب مغطاة بالصدأ، فلا يرى الناس حقيقة الصور

المنطبعة عليها، ويزيغ عن الحق.

(٣٧) المنْقبـةَ: المفـخـرة، والفـعـل الكريم. والمثْلبـة: المسبة والعيب.

(٣٨) العطل: الخلو من الاخلاق الحميدة.

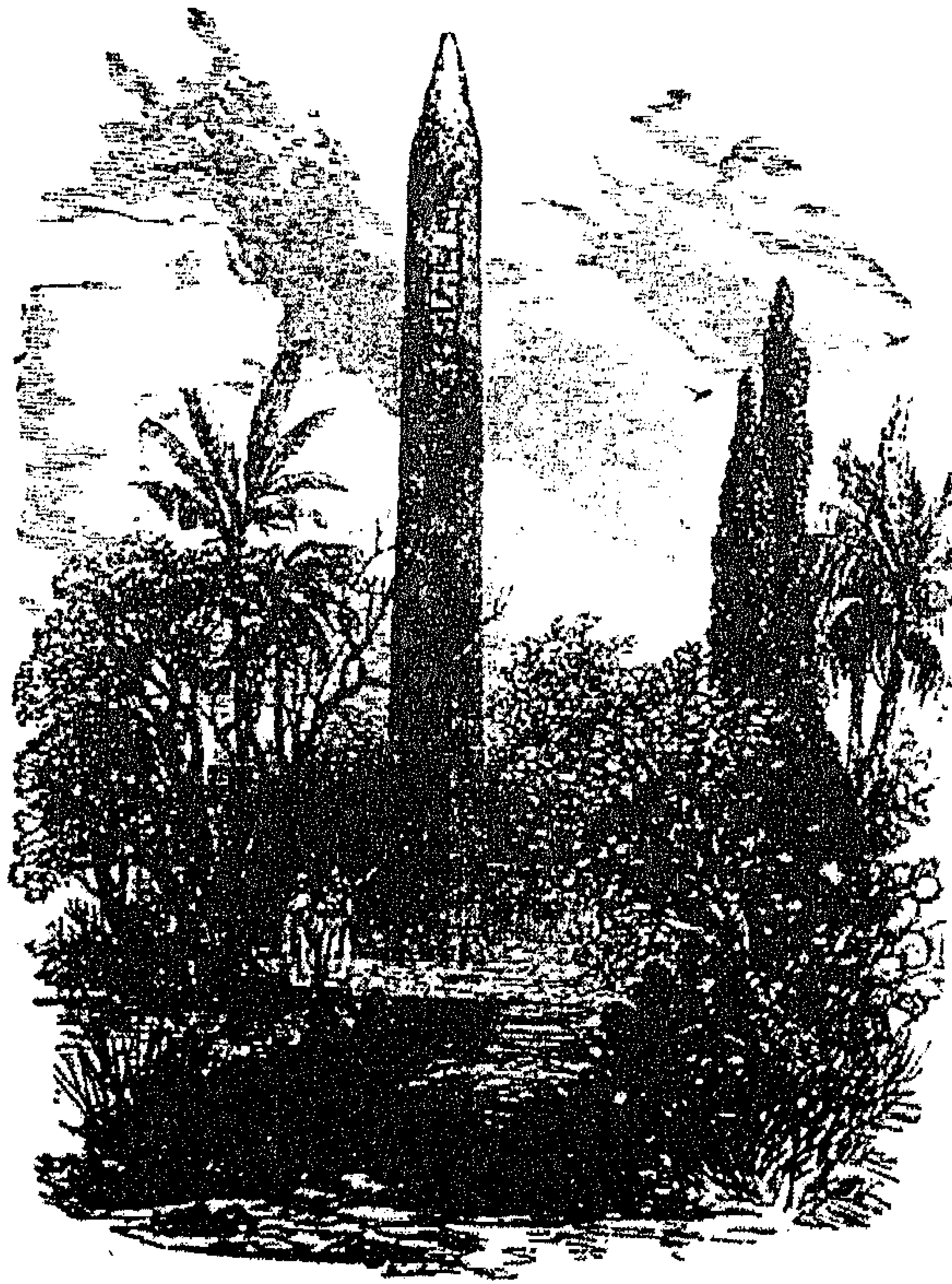
(٣٩) ينسب هذا البيت لكُثيِّر. وقد ورد في كتاب «عيـون الاخبـار» لابن قُتْيبـة الدِّينوريّ المجلد الثاني ص٥ بالصيغة التالية:

ومَنْ يبتدع ما ليس من سُوس نفسه
يدعهُ ويغْلبْهُ على النفس خيمُها

(٤٠) خيم: الطبع والطباع.

(٤١) في المخطوط «الأديب» وصححتها كما أوردتها في المتن.

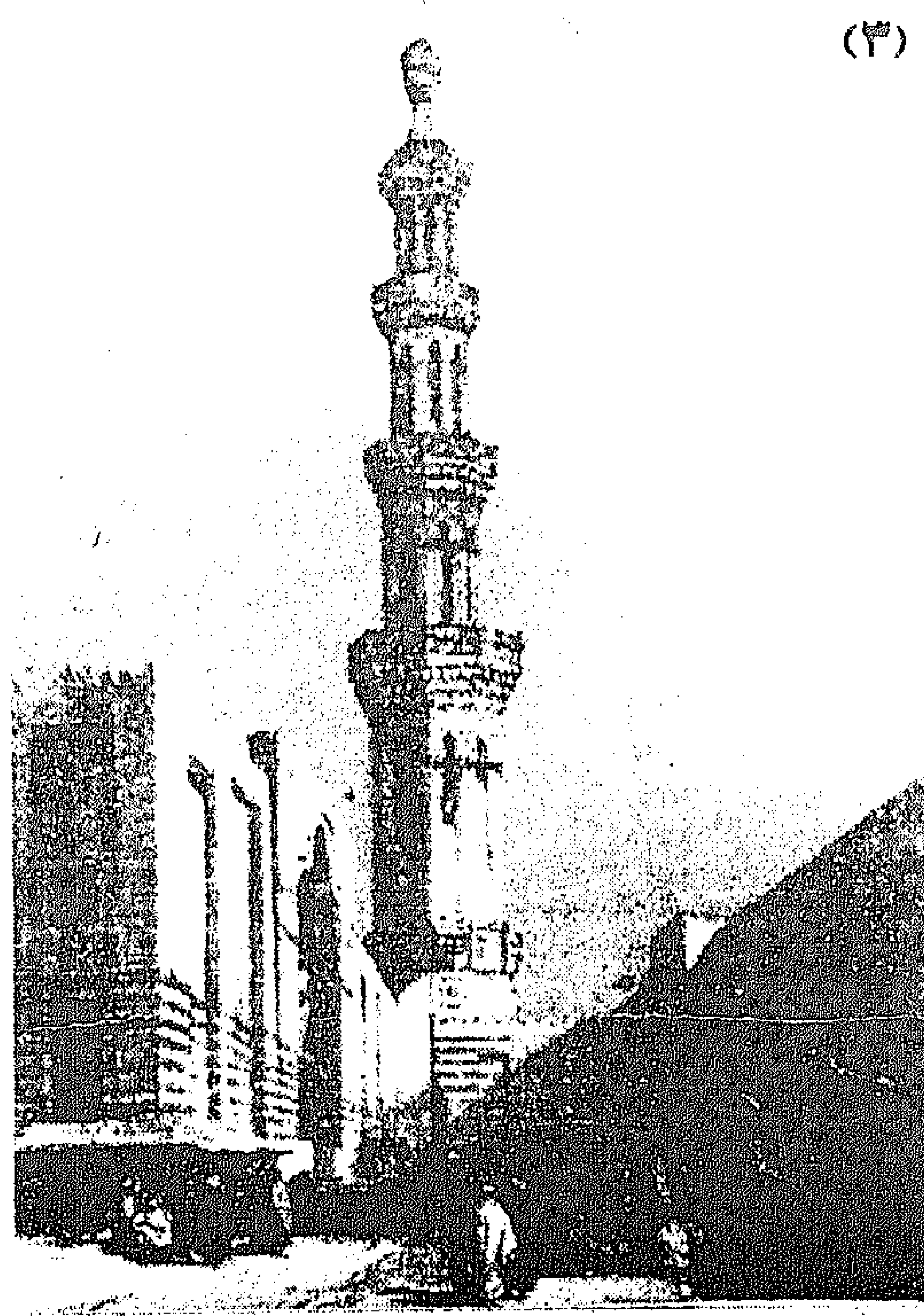
(٤٢) هذا الجزء ساقط من مخطوطتنا واثبتناه من المخطوطات الاخرى.



(١)



(٣)



(٢)

(٥)



١ مقابر المماليك فى سفح المقطم

٢ أحد شوارع القاهرة.

٣ الجامع الرئيسى بأسيوط.

٤ مقبرة فرعونية بالوجه القبلى استخدمت استراحة للمماليك.

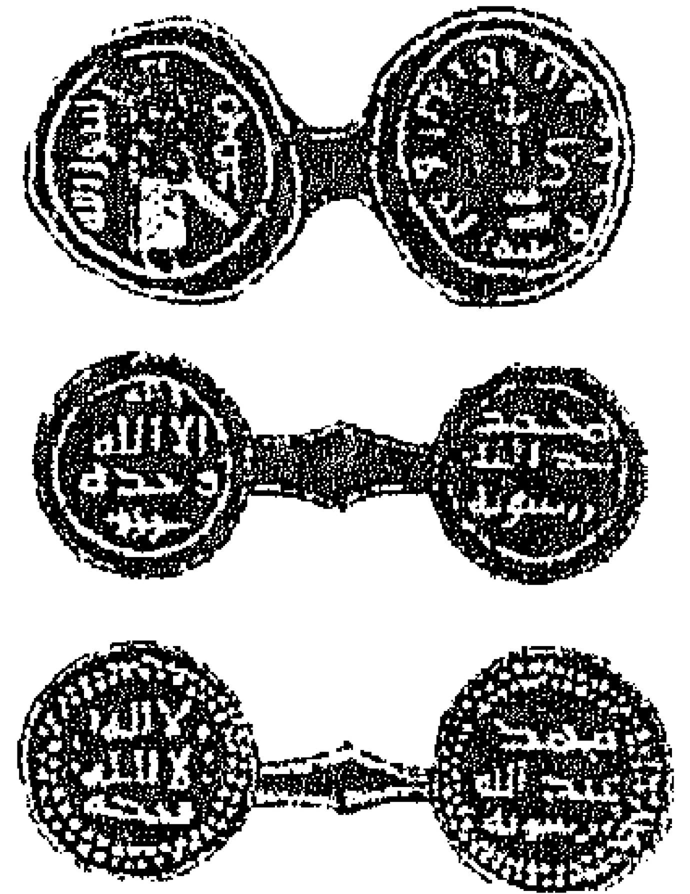
٥ قاضى عثمانى وجندى مسلح.

اللهم بحرمة سيد الأنام، يسر لنا حسن الختام، وأصرف عنا سوء القضاء، وانظر لنا بعين الرضا.

وهذا أوان انشقاق كمايم طلع الشماريخ، عن زهر مجمل التاريخ فتقول:

* أول خليفة فى الأرض آدم.

أول خليفة جعل (ص٢٨) فى الأرض آدم عليه الصلاة والسلام؛ بمصداق قوله تعالى: «إنى جاعل فى الأرض خليفة» [١] ثم توالت الرسل بعده، ولكنها لم تكن عامة الرسالة، بل كل رسول أرسل إلى فرقة. فهؤلاء الرسل عليهم السلام مقررون شرائع الله بين عباده، وملزمون بتوحيده، وامتثال أوامره ونواهيه، ليترتب على ذلك انتظام أمور معاشهم فى الدنيا، وفوزهم بالنعيم السرمدى إذا امتثلوا فى الأخرى، إلى أن جاء ختامهم الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأمره بالصدع والإعلان والتطهير من عبادة الأوثان، وآمن به من آمن من الصحابة رضوان الله عليهم، وعزروه [٢] ونصروه، واتبعوا النور الذى أنزل معه، أوليك هم المفلحون»



* نقود الخلفاء الراشدين

ولم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم، يزيد وينموا ويتعالى ويسمو، حتى تم ميقاته، وقربت من النبى وفاته. وأنزل الله عليه: «اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام [٣] دينا».

* أبو بكر الصديق أول الخلفاء بعد النبى محمد.

ولما قبض صلى الله عليه وسلم، قام بالأمر بعده، ابو بكر الصديق رضى الله عنه، ثم عمر رضى الله عنه، ثم عثمان رضى الله عنه، ثم على كرم الله وجهه. ولم تصفوا له الخلافة بمغالبة معاوية، رضى الله عليهم أجمعين، (ص ٢٩) فى الأمر.

* بموت على تمت مدة الخلافة التى نص عليها النبى.

وبموت على رضى الله عنه تمت مدة الخلافة [٤] التى نص عليها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة،

ثم تكون ملكا عضوضا» (٥).

وبخلافة معاوية كان ابتداء دولة الأمويين (٦)، وانقرضت بظهور أبي مسلم الخراساني (٧) وإظهار دولة بني العباس: فكان أولهم «السفاح»، وظهرت دولتهم الظهور التام، وبلغت القوة الزايدة، والضخامة العظيمة. ثم أخذت في الانحطاط بتغلب الأتراك والديلم (٨).

* بخلافة معاوية كان ابتداء دولة الأمويين وانقرضت بظهور أبو مسلم الخرساني.

* أبو مسلم الخرساني وإظهار دولة بني العباس التي انقرضت بظهور الأتراك والديلم.

ولم تزل منحطة، وليس للخلفاء في آخر الأمر إلاَّ الاسمُ فقط. حتى ظهرت فتنة التاتار التي أبادت العالم، وخرج هولاكخان وملك بغداد وقتل الخليفة المعتصم، وهو آخر الخلفاء بني العباس ببغداد(٩).

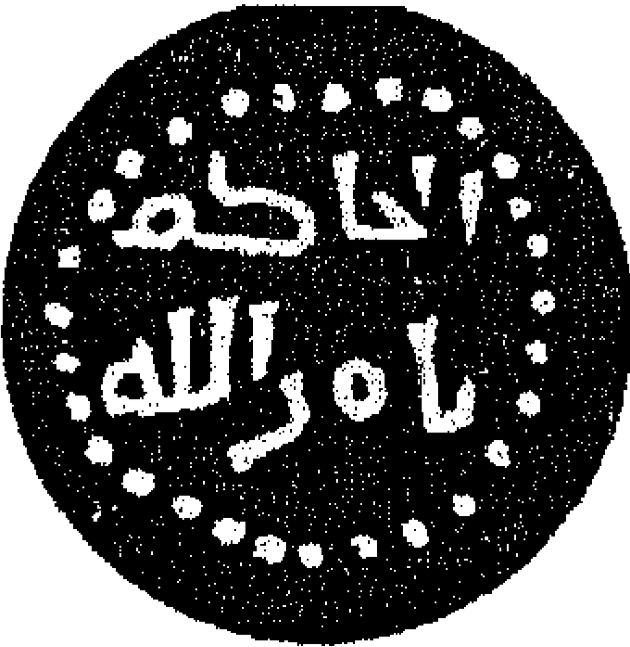
وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، افتتحت الديار المصرية، والبلاد الشامية على يد عمرو بن العاص (١٠). ولم تزل في النيابة (١١) أيام الخلفاء الراشدين، ودولة بني أمية، وبني العباس، إلى أن ضعفت الخلافة العباسية بعد مقتل المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد سنة سبع وأربعين ومايتين(١٢)، تغلب على النواحي كل متملك لها، فانفرد أحمد بن طولون بمملكة مصر والشام (١٣) وكذلك أولاده من بده. ثم دولة الإخشيد (١٤)، وبعده كافور أبو المسك(١٥) ممدوح المتنبي. ولما مات قدم جوهر القائد (١٦) من قبل المعزّ الفاطمي (١٧) من المغرب فملكها (ص٣٠) من غير مانع، وأسس القاهرة، وذلك في سنة إحدى وستين وثلاثماية(١٨). وقدم المعزّ إلى مصر بجنوده وأمواله، ومعه رمم آبائه وأجداده محمولة في توابيت. وسكن بالقصرين (١٩)، وأدعى الخلافة لنفسه دون العباسيين.

* ظلت مصر تابعة للخلافة الأموية والعباسية حتى استقلت في ظل دولة أحمد ابن طولون.

* مصر مقر الخلافة الفاطمية.

* أول ظهور الخلفاء الفاطميين المصريين.

وأول ظهور أمرهم في سنة سبعين ومايتين، فظهر عبد الله بن عبيد الملقب بالمهدي، وهو جد بني عبيد الخلفاء المصريين العبيدين الروافض باليمن.(٢٠) وأقام على ذلك إلى سنة ثمان وسبعين، فحج تلك السنة، واجتمع بقبيلة من كتامة (٢١) فأعجبهم حاله فصحبهم إلى مصر، ورأى منهم طاعة وقوة فصحبهم إلى المغرب، فنما شأنه وشأن أولاده من بعده، إلى أن حضر المعز لدين الله أبو التميم معد بن



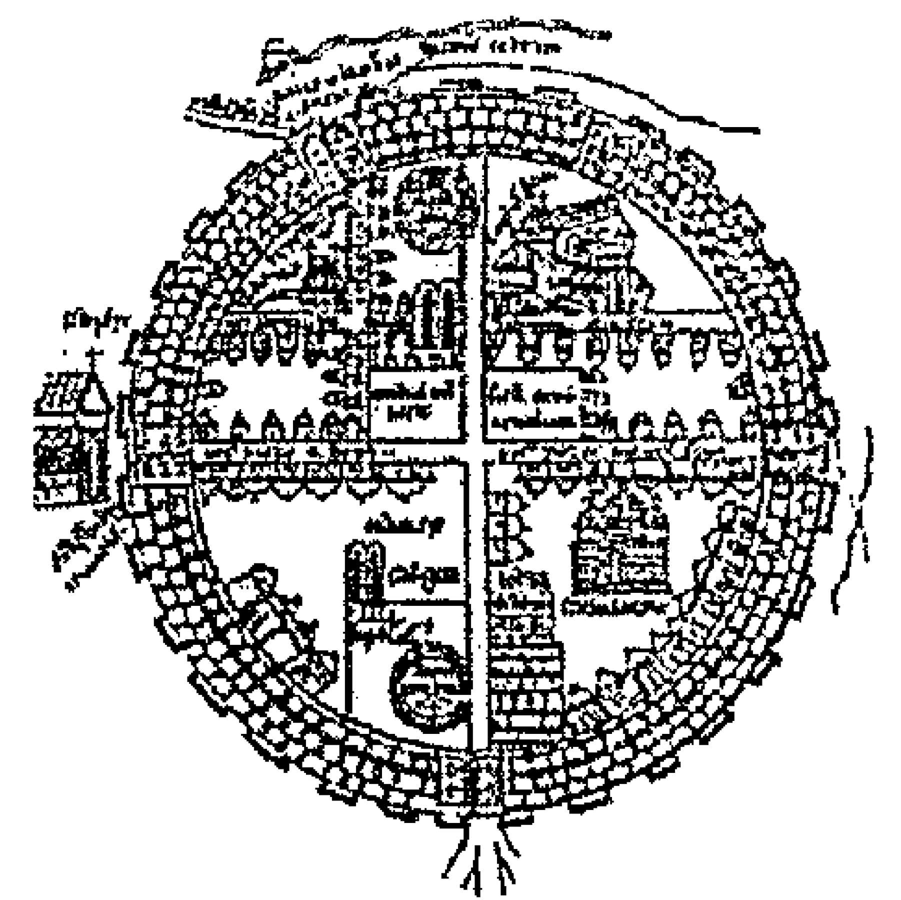
* نقود الحاكم بأمر الله

* سقوط الخلافة الفاطمية المصرية على عهد الخليفة العاضد.

إسماعيل بن القاسم ابن المهدى إلى مصر، وهو أولهم، فملكوا نيفًا ومايتين من السنين، إلى أن ضعف أمرهم فى أيام العاضد [٢٢] وسوء سياسة وزيره شاور [٢٣]، فتملكت الإفرنج بلاد السواحل الشامية[٢٤]. وظهر بالشام نور الدين محمود بن زنكى، فاجتهد فى قتال الإفرنج واستخلاص ما استولوا عليه من بلاد الشام. وجهز أسد الدين شيركوه بعساكر لأخذ مصر، فعاصرها (نحو) شهرين، فاستنجد العاضد بالإفرنج، فحضروا من دمياط، فرحمل أسد الدين إلى الصعيد، فجنى خراجه [٢٥] ورجع إلى الشام. وقصد الإفرنج الديار المصرية فى جيش عظيم (ص ٣١) وملكوا بلبيس [٢٦]، وكانت إذ ذاك مدينة حصينة، ووقعت الحروب بين الفريقين، فكانت الغلبة فيها على المصريين، وأحاطوا بالإقليم براً وبحراً. وضربوا على أهله الضرائب. ثم إن شاور أشار بحرق الفسطاط. فأمر الناس بالجلاء عنها، وأرسل عبيده بالشعل والنفوط، فأوقدوا فيها النار، فاحترقت عن أخرها [٢٧] واستمرت النار بها أربعة وخمسين يومًا، وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين، وبعث إليه بشعور نسايه، فأرسل إليه جنداً كثيفًا، وعليهم أسد الدين شيركوه وأبنى أخيه صلاح الدين يوسف [٢٨]، فارتحل الافرنج عن البلاد، وقبض أسد الدين على الوزير شاور الذى أشار بحرق المدينة، وصلبه. وخلع العاضد على أسد الدين الوزارة، فلم يلبث أن مات بعد خمسة وستين يومًا. فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين، وقلده الأمور، ولقبه الملك الناصر. فبذل له همته، وأعمل حيلته، وأخذ فى إظهار السنَّة [٢٩]، وإخفاء البدعة. فثقل أمره على الخليفة العاضد، فأبطن له فتنة أثارها فى جنده ليتوصل بها إلى هزيمة الأكراد وإخراجهم من بلاده، فتفاقم الأمر، وانشقت العصا، ووقعت حروب بين الفريقين، أبلى فيها الناصر يوسف، وأخوه شمس الدولة بلاء حسنا، وانجلت الحروب عن نصرتهما. فعند ذلك ملك الناصر القصر، وضيق على (ص٣٢) الخليفة وحبس أقاربه، وقتل أعيان دولته، واحتوى كل مافى

* الخليفة العاضد يستنجد بالافرنج لصد غزو أسد الدين شيركوه لمصر

* الخليفة العاضد يستنجد بنور الدين لصد غزو الإفرنج.


القدس

القصور من الذخاير والأموال والنفايس، بحيث استمر البيع فيه عشر سنين، غير ما اصطفاه صلاح الدين لنفسه. وخطب للمستضئ العباسي بمصر، وسير البشارة بذلك إلى بغداد. ومات العاضد قهراً. وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية، وطهر الإقليم من البدع والتشيع والعقائد الفاسدة، وأظهر عقايد أهل السنة والجماعة، وهي عقايد الأشاعرة [٣١] والماتريدية[٣٢] وبعث إليه أبو حامد الغزالي[٣٣] بكتاب ألفه له في العقايد، فحمل الناس على العمل بما فيه، وامحا[!] من الإقليم مستنكرات الشرع، وأظهر الهدى. ولما توفي نور الدين الشهيد انضم إليه مُلك الشام[٣٤]. وواصل الجهاد وأخذ في استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس بعد ما أقام بيد الافرنج نيفًا وإحدى وتسعين سنة، وأزال ما أحدثه الإفرنج من الآثار والكنايس، ولم يهدم القمامة[٣٥] اقتداء بعمر رضي الله عنه عندما افتتح الفتوحات الكثيرة. ثم اتسع ملكه، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي سنة تسع وثمانين وخمسماية [٣٦]، ولم يترك إلا أربعين درهمًا [٣٧]. وهو الذي أنشأ قلعة الجبل [٣٨]، وسور القاهرة العظيم [٣٩]، وكان المشد[٤٠] على عمايره بهاء الدين قراقوش[٤١]. ثم استمر الأمر في أولاده، (ص٣٣) وأولاد أخيه الملك العادل [٤٢].

* عودة مصر إلى الحكم العباسي أسمًا ولصلاح الدين الأيوبي فعلاً.



* نقود صلاح الدين

* الحروب الصليبية على مصر في عهد الملك الكامل عام ٦١٦ هـ = ١٢١٩م.

وحضر الإفرنج أيضًا إلى مصر في أيام الملك [الكامل] بن العادل، وملكوا دمياط[٤٤] وهدموها، فحاربهم شهوراً حتى أجلاهم، وعمرت بعد ذلك دمياط هذه الموجودة في غير مكانها، وكانت تسمى بالمنشية. والكامل هذا هو الذي أنشأ قبة الشافعي [٤٥] رضي الله عنه عندما دَفَن بجواره موتاهم، وأنشأ المدرسة الكاملية بين القصرين المعروفة بدار الحديث.

* الحملة الصليبية على مصر في عهد الملك الصالح، حملة لويس التاسع ٦٤٨هـ = ١٢٥٠م.

وفي أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل[٤٦] حضر الافرنج وملكوا دمياط، وزحفوا إلى فارسكور، واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهرا وهو مريض، وانحصر جهة الشرق، وأنشأ المدينة

المعروفة بالمنصورة، ومات بها سنة سبع وأربعين وستماية [٤٧] والحرب قايم، وأخفت زوجته شجرة الدر [٤٨] موته ، ودبرت الأمور، حتى حضر ابنه توران شاه [٤٩] من حصن كيفا [٥٠] . وانهزمت الإفرنج وأسر ملكهم ريدا[٥١] ، وكانوا طائفة الفرنسيس.

* الملك الصالح أول من اشترى المماليك واتخذهم جنودا، فأسس بذلك المماليك البحرية.

والملك الصالح هذا هو أول من اشترى المماليك واتخذ منهم جندا كثيفا، وبنى لهم قلعة الروضة[٥٢] ، وأسكنهم بها، وسماهم البحرية. ومقدمهم الفارس إقطاى[٥٣] . والملك الصالح هو الذى بنى المدارس الصالحية [٥٤] بين القصرين. ودفن بقبة بنيت له بجانب المدرستين.

* مقتل توران شاه على يد مماليك والده، وتولى شجرة الدر التى تعتبر آخر الحكام الايوبيين.

ولما انهزم الإفرنج ومات الصالح، وتملك ابنه توران شاه، واستوحش (ص ٣٤) من مماليك أبيه، واستوحشوا منه، فتعصبوا عليه وقتلوه بفارسكور [٥٥]، وقلدوا فى السلطنة شجرة الدر ثلاثة أشهر، ثم خلعت[٥٦]. وهى آخر الدولة الأيوبية. ومدة ولايتهم إحدى وثمانون سنة.

* تولى عز الدين ايبك التركمانى السلطنة. وهو أول دولة المماليك.

ثم تولى سلطنة مصر عز الدين أيبك التركمانى الصالحى سنة ثمان وأربعين وستماية [٥٧]، وهو أول الدولة التركية [٥٨] بمصر. ولما قتل ولوا ابنه المظفر على [٥٩]، فلما وقعت حادثة التتار العظمى خلع المظفر لصغره، وتولى الملك المظفر قطز، وخرج بالعساكر المصرية لمحاربة التتار، فظهر عليهم وهوشهم [٦٠]، ولم تقم لهم قايمة بعد ذلك ،بعد أن كانوا ملكوا أغلب المعمور من الأرض، وقهروا الملوك، وقتلوا العباد وأخربوا البلاد.. [ففى] سنة أربعة وخمسين وستماية ملكوا [٦١] (التتار) سائر بلاد الروم [٦٢] بالسيف. فلما فرغوا من ذلك جميعه نزل هلاكو

* هلاكوخان يقضى على الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ = ١٢٥٧م.

خان بن طيلون ابن جنكيز خان على بغداد وذلك سنة ست وخمسين[٦٣] وستمايه، هى إذ ذاك كرسى مملكة الإسلام ودار الخلافة، فملكها، وقتلوا ونهبوا، وأسروا مَن [بها من] [٦٤] جمهور المسلمين والفقهاء والعلماء والأيمة والقراء والمحدثين، وأكابر الأولياء والصالحين، و[فيهم[٦٥]] خليفة رب العالمين وإمام المسلمين، وابن عم سيد

المرسلين، فقتلوه وأهله وأكابر دولته ، وجرى في بغداد ما لم يسمع بمثله في (ص٣٥) الآفاق. ثم أن هلاكوخان أمر بعدّ القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانماية ألف وزيادة.

ثم أن التتار تقدم إلى بلاد الجزيرة واستولوا عليها وعلى حران والرها[٦٦] وديار بكرفي سنة سبع وخمسين وستماية، [ثم جازوا الفرات، ونزلوا على حلب في سنة ثمان وخمسين وستماية [٦٧]] واستولوا عليها، وأحرقوا المساجد، وجرت الدماء في الأزقة، وفعلوا ما لم يتقدم مثله.

* استيلاء التتار على دمشق.

ثم وصلوا إلى دمشق، وسلطانها الناصر يوسف بني أيوب، فخرج هاربا وخرج معه أهل القدرة [٦٨]، ودخل التتار إلى دمشق، وتسلموها بالأمان، ثم غدروا بهم وتعدّوها فوصلوا إلى نابلس [٦٩]، ثم إلى الكرك[٧٠] وبيت المقدس. فخرج سلطان مصر بجيش الترك الذين تهابهم الأسود، وتقلُّ في أعنيهم أعداد الجيوش. فالتقاهم عند عين جالوت[٧١] فكسرهم وشردهم وولوا الإدبار. وطمع الناس فيهم يتخطفونهم، ووصلت البشاير بالنصر، فطار الناس فرحاً.

* هزيمة التتار على يد المصريين في عين جالوت ١٢٦٠م = ٦٥٨ هـ.

ودخل المظفر إلى دمشق مؤيّداً منصورا، وأحبه الخلق محبة عظيمة، وساق بيبرس [٧٢] خلف التتار إلى بلاد حلب وطردهم. وكان السلطان وعده بحلب، ثم رجع عن ذلك، فتأثر بيبرس وأضمر له الغدر، وكذلك السلطان أسر ذلك إلى بعض خواصه، فأطلع بيبرس، فساروا إلى مصر وكل منهم محترس من صاحبه، فاتفق بيبرس مع جماعة من الأمرا على قتل المظفر (ص٣٦) فقتلوه في الطريق. وتسلطن بيبرس ودخل مصر سلطانا، وتلقب بالملك الظاهر، وذلك سنة ثمان وخمسين وستماية، وهو السلطان ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقداري الصالحي النجمي، أحد المماليك البحرية. وعندما ما استقر بالقلعة أبطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات، وجهز الحاج بعد انقطاعه اثنى عشرة سنة بسبب فتنة التتار وقتل الخليفة [٧٣] ومنافقة أمير مكة

* الظاهر بيبرس يقتل السلطان المظفر ويتسلطن محله على مصر.

مع التتار. فلما وصل إلى مكة منعوهم من دخول المحمل، ومن كسوة الكعبة، فقال أمير الحاج لأمير مكة: «اما تخاف من الملك الظاهر بيبرس» فقال: «دعه يأتينى على الخيل البلق[٧٤]». فلما رجع أمير المحمل، وأخبر السلطان بما قاله أمير مكة، جمع له فى السنة الثانية أربعة عشر ألف فرس أبلق، وجهزهم صحبة الأمير الحاج. وخرج بعدهم على ثلاث نوق عُشاريات[٧٥] فوافاهم عند دخول مكة وقد منعهم التتار[٧٦] وأمير مكة، فحاربوهم، فنصرهم الله عليهم، وقتل ملك التتار، وأمير مكة، طعنه السلطان برمح وقال له:

* التتار وأمير مكة يمنعان قافلة الحاج المصرى من دخول مكة.

«أنا الملك الظاهر جيتك على الخيل والبلق» فوقع إلى الأرض وركب السلطان فرسه ودخل مكة وكسى البيت وعاد إلى مصر، واستقر ملكه حتى مات بدمشق سابع عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستماية [٧٧]، ومدته (ص٣٧) سبعة عشر سنة وشهرين وأثنى عشر يوما. وحج سنة سبع وستين وستماية، ولذلك خبر طويل، ذكره العلامة المقريزى فى تواريخه، وفى «الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك[٧٨]» وكان من أعظم الملوك شهامة وصرامة، وانقياد للشرع، وله فتوحات وعمارات مشهورة ومآثر حميدة. ومنها ردّ الخلافة لبنى العباس. وذلك أنه لما جرى ما جرى على بغداد، وقتل الخليفة، وبقيت ممالك الإسلام بلا خلافة ثلاث سنوات فحضر شخص من أولاد الخلفا الفارين فى الواقعة إلى عرب العراق، ومعه عشرة من بنى مهاريش [٧٩]، فركب الظاهر للقائه، ومعه القضاة وأهل الدولة، فأثبت نسبه على يد قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز[٨٠]، ثم بويع بالخلافة فبايعه السلطان وقاضى القضاة والشيخ عز الدين بن عبد السلام[٨١]، ثم الكبار، على مراتبهم، ولقب [بالمستنصر][٨٢]، وركب يوم الجمعة وعليه السواد[٨٣] إلى جامع القلعة، وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بنى العباس. ودعا فيها للسلطان و للمسلمين، ثم صلى بالناس، ورسم [٨٤] بعمل خلعة[٨٥] إلى السلطان وكتب له تقليدا [٨٦]، قرئ بظاهر القاهره

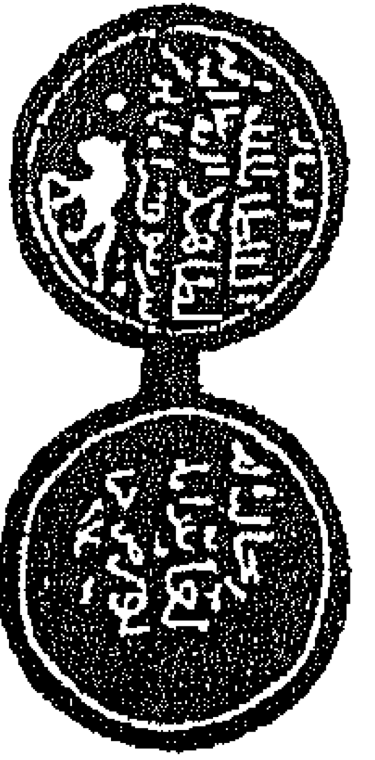
* الظاهر بيبرس يخلص مكة من يد التتار ويكسو الكعبة.

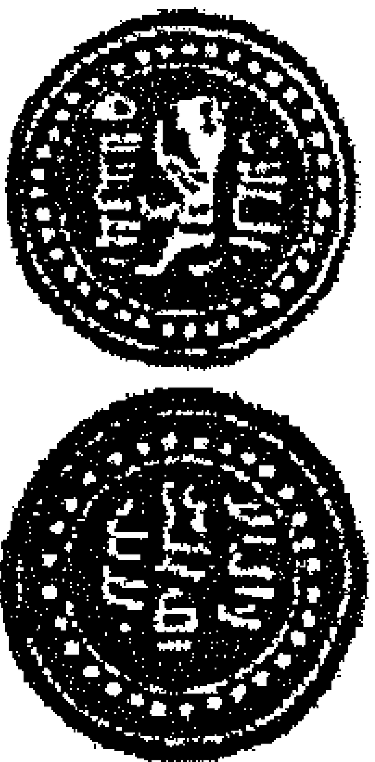
* بعث الخلافة العباسية على يد الظاهر بيبرس وجعل مصر مقرا لها.

بحضرة الجميع والبس الخليفة السلطان الخلعة بيده، وفوضى إليه الأمور، وركب (ص٣٨) السلطان بالخلعة والتقليد محمولا على رأسه، ودخل من باب النصر، (٨٧) [وزينت القاهرة، والأمراء مشاة بين يديه]، ورتب له اتابكيا، و[أستادارا(٩٠)]، وخازندارا(٩١) وحاجبا(٩٢)، وشرابيا(٩٣)، و[كاتبا]، (٩٤)وعين له خزانة، وجملة مماليك، ومابة فرس، وثلاثين بغلا، وعشر قطارات(٩٥) جمال، إلى أمثال ذلك.

ثم إنه عزم على التوجه إلى العراق فخرج معه السلطان وشيعه إلى دمشق، وجهز معه ملوك الشرق: صاحب الموصل وصاحب سنجار والجزيرة(٩٦)، وعزم عليه وعليهم ألف ألف دينار وستين ألف دينار وسافروا حتى تجاوزت هيت(٩٧). فلاقاهم التتار فحاربوهم، فعدم الخليفة ولم يعلم له خبر.







نقود الظاهر بيبرس

وبعد أيام حضر شخص آخر من بنى العباس، وكان أيضا مختفيا عند بنى خفاجة(٩٨)، فتوصل مع العرب إلى دمشق، وأقام عند الأمير عيسى بن مهنا (٩٩)، فأخبر به صاحب دمشق فطلبه. وكاتب السلطان فى شأنه. فأرسل يستدعيه، فأرسله مع جماعة من أمراء العرب. فلما وصل إلى القاهرة وجد [المستنصر(١٠٠)] قد سبقه بثلاثة أيام، فلم ير أن يدخل إليها. فرجع إلى حلب، فبايعه [صاحبها(١٠١)] وروساها، ومنهم عبد الحليم بنى تيمية(١٠٢). وجمع خلقا كثيرا، وقصد [عانة(١٠٣)]، ولقب بالحاكم(١٠٤). فلما خرج [المستنصر] وافاه بعانة، فانقاد له هذا ودخل تحت طاعته وخاصته، فلما عدم [المستنصر] قصد الحاكم الرحبة (١٠٥) (ص٣٩) وجاء إلى عيسى بن مهنا. فكاتب الملك الظاهر فيه، فطلبه، فقدم القاهرة ومعه ولده وجماعته، فأكرمه الملك الظاهر، وبايعوه بالخلافة كما سبق [للمنتصر]، وأنزله بالبرج الكبير بالقلعة. واستمرت الخلافة بمصر، وأقام الحاكم فيها نيفا وأربعون سنة، وهذه من مناقب الملك الظاهر.

* وفاة الملك الظاهر بيبرس وتولى ابنه الملك السعيد.

ولما مات الملك الظاهر تولى بعده ابنه الملك السعيد (١٠٦)، ثم أخوه

* تولي المنصور قلاوون

الملك العـــادل[١٠٧]، وكان صغيرا والأمر لقلاوون، فخلعه واستبد بالملك، ولقب بالملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى النجمى جد الملوك القلوونية، وهو صاحب الخيرات والبيمارستان المنصورى، والمدرسة والقبة التى دفن بها[١٠٨]، وله فتوحات بسواحل البحر الرومى[١٠٩]، ومصافات[١١٠] مع التتار. وغير ذلك، تولى سنة ثمان وسبعين وستماية[١١١]، ومات أواخر سنة تسع وثمانين [وستماية[١١٢]]. وكانت مدته إحدى عشر سنة.

* تولى الأشرف خليل بن قلاوون.

وتولى بعده ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون[١١٣] وكان بطلا شجاعا ذا همة علية ورياسة مرضية، خانه إمراؤه وغدروه وقتلوه بتروجة[١١٤] جهة البحيرة، سنة ثلاث وتسعين وستماية، ونقل لتربته التى أنشأها بالقرب من المشهد النفيسى[١١٥] بجانب مدرسة أخيه الصالح على بن قلاوون. مات فى حياة أبيه، وكان هو أكبر أولاده ومرشحا للسلطنة.

* تولى الناصر محمد بن قلاوون.

(ص٤٠) ولما مات الأشرف تولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفى الصالحى النجمى[١١٦]. أقيم فى السلطنة وعمره تسع سنين. فأقام سنة وخلع بمملوك أبيه زين الدين كتبغا[١١٧] الملك العادل، فثار الأمير حسام لاچين المنصورى[١١٨] نايب السلطنة على العادل، وتسلطن عوضه، ثم ثار عليه (طغجى)، و[كيرجى[١١٩]]، فقتلوه، وقتلا أيضا. واستدعى الناصر من الكرك، فقدم، وأعيد إلى السلطنة مرة ثانية. فأقام عشر سنين وخمسة أشهر محجورا عليه، والقايم بتدبير الدولة الأميران بيبرس الجاشينكير[١٢٠]، وسلار نايب السلطنة. فدبر لنفسه فى سنة ثمان وسبعماية[١٢١]، وأظهر أنه يريد الحج بعياله، فوافقه الإميران على ذلك، وشرعوا فى تجهيزه، وكتب إلى دمشق والكرك برمى الإقامات[١٢٢]، وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير. فلما تهيأ لذلك أحضر الأمراء تقاديمهم[١٢٣] من الخيل والجمال، ثم ركب إلى بركة الحاج[١٢٤]، وتعين معه للسفر جماعة من



* نقود الناصر قلاوون

الامرا. وعاد بيبرس وسلار، من غير أن يترجلا له عند نزوله بالبركة. فرحل من ليلته وخرج إلى الصالحية (١٢٥) وعَيّدَ بها، وتوجه إلى الكرك، فقدمها فى عاشر شوال (١٢٦) ونزل بقلعتها، وصرح بأنه قد ثَنى عزمه عن الحج، واختار الإقامة بالكرك، وترك السلطنة ليستريح. وكتب إلى الامرا بذلك، وسأل أن ينعم عليه بالكرك (ص٤١) والشوبك(١٢٧) وأعاد من كان معه من الأمرا، وسلمهم الهُجن(١٢٨) وأعدتهم خمسماية هجين، والمال والجمال وجميع التقادم. وأمر نائب الكرك بالمسير عنه.





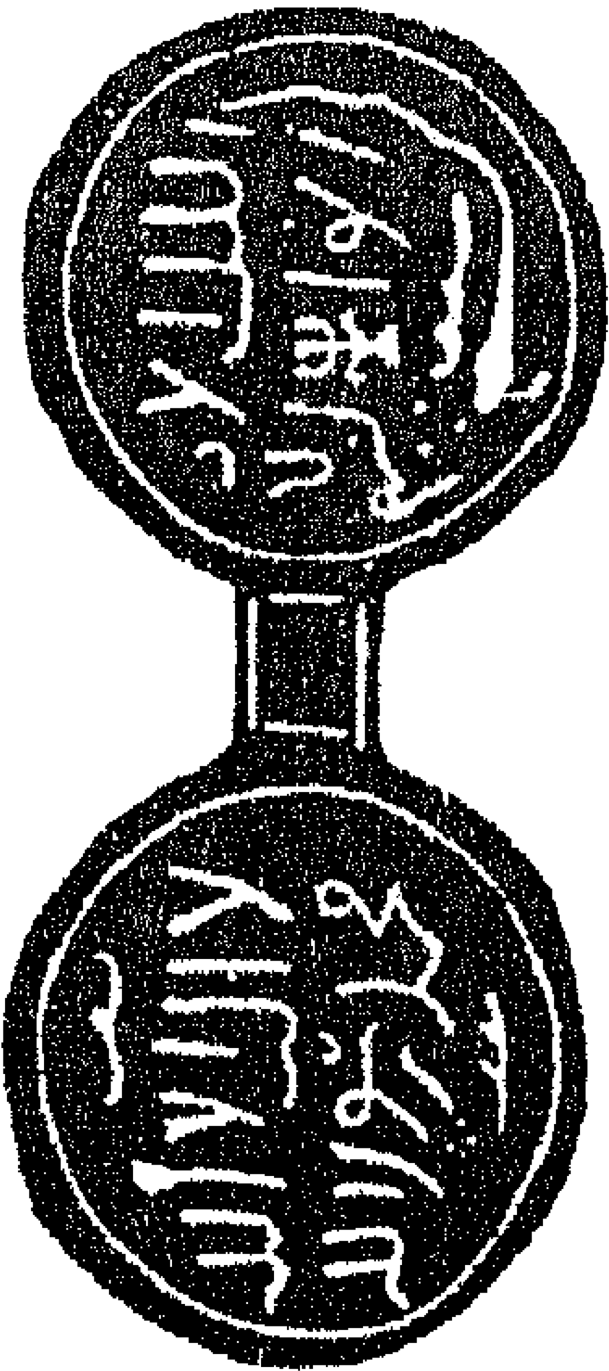
اسم بيبرس على سيفه

* تولى بيبرس الجاشنكير.

وتسلطن بيبرس الجاشنكير، وتلقب بالملك المظفر، وكتب للناصر تقليدا بنيابة الكرك. فعندما وصله التقليد اظهر البشر، وخطب باسم المظفر على منبر الكرك، وانعم على البريد وأعاده. فلم يتركه المظفر وأخذ يناكده، ويطلب منه من [كان] (١٢٩) معه من المماليك الذين اختارهم للإقامة عنده، والخيول التى أخذها من القلعة، والمال الذى أخذه من الكرك، [وهدده(١٣٠)]. فحنق لذلك وكتب إلى نواب الشام يشكو ما هوفيه، فحثوه على القيام لأخذ ملكه، ووعدوه بالنصرة.

* عودة الملك الناصر للسلطنة.

فتحرك لذلك وسار إلى دمشق، وأتت النواب إليه. وقدم إلى مصر، وفرّ بيبرس. وطلع الناصر إلى القلعة يوم عيد الفطر سنة تسع وسبعماية(١٣١)، فأقام فى الملك اثنين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر. ومات فى ليلة الخميس حادى عشرين ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعماية (١٣٢) وعمره سبعة وخمسون سنة وكسور، ومدة سلطنته ثلاث وأربعون سنة وكان ملكا عظيما جليلا كفوء للسلطنة ذا دهاء، محبا للعدل والعمارة، وطالت مدته وشاع ذكره، وطار صيته فى الآفاق، وهابته الأسود، وخطب له فى بلاد بعيدة. ومن محاسنه أنه لما استبد بالملك أسقط جميع المكوس من أعمال الممالك المصرية والشامية (ص٤٢) وراك البلاد(١٣٢)، وهو الرُوك الناصرى المشهور. وأبطل الرشوة وعاقب عليها. فلا يتقلد المناصب إلا مستحقها بعد التروى والامتحان واتفاق الرأى، ولا يقضى إلا بالحق. فكانت أيامه سعيدة، وأفعاله حميدة . وفى أيامه كثرت العماير حتى يقال إن مصر



نقود الناصر قلاوون

* الملك الناصر قلاوون يصد هجوم التتار.

والقاهرة زاد فى أيامه أكثر من النصف، وكذلك القرى بحيث صارت كل بلدة من القرى القبلية والبحرية مدينة على انفرادها. [وله (١٣٤)] ولأمرائه مساجد ومدارس وتكايا مشهورة. وحضر فى أوايل دولته ألقان غازان(١٣٥) بجنوده التتار، فخرج إليهم بعساكر مصر وهزمهم مرتين. وبعض مناقبة تحتاج إلى طول، ونحن لا نذكر إلا لمعا. فمن أراد الاطلاع عليها فعليه بالمطولات. وفى السيرة الناصرية مؤلف مخصوص(١٣٦) مجلدين ضخمين، ينقل عنه المؤرخين، ولم نره. ومما قيل فيه شعر قصيدة طويلة للصفى الحلى(١٣٧):



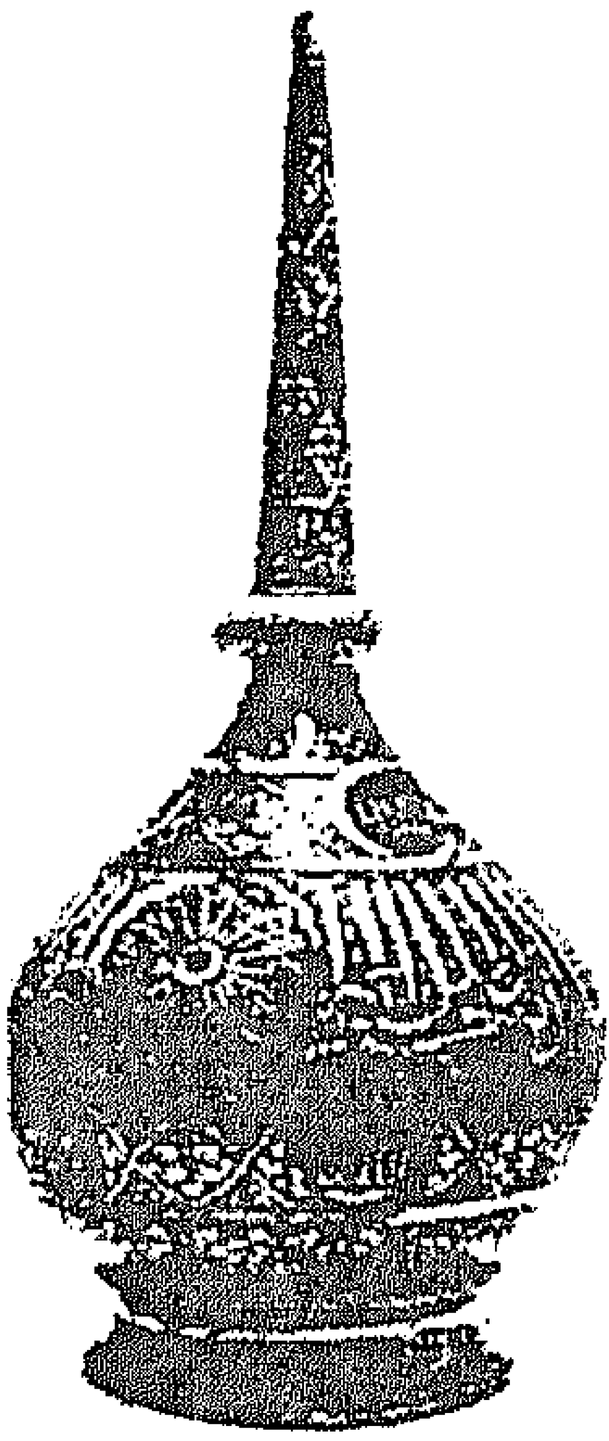
* القان غازان

الناصر السلطان من خضعت له كل الملوك مشارقا ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحة وبعد راحات الفراغ متاعبا
بمكارم تذر السباسب أبحرا وعزايم تذر البحار سباسبا(١٣٨)
لم تخل أرض من سناه وإن خلت من ذكره مليت قنا وقواضبا(١٣٩)
ترجى مكارمه، ويخشى بطشه (ص٤٣) مثل الزمان مسالما ومحاربا
فإذا سطا ملأ القلوب مهابة وإذا سخا ملأ العيون مواهبا
كالغيث يبعث من عطاه وابلا سبطا (١٤٠) ويُرسلُ من سطاه حاصبا
كالليث يحمى غابه بزئيره طورا، وينشب فى القنيص مخالبا
كالسيف يبدى للنواظر منظرا طلقا ويمضى فى الهياج مضاربا
كالسيل تحمد منه عذبا واصلا ويعده قومٌ عذابا واصبا
كالبحر يُهدى للنفوس نفايسا منه، ويبدى للعيون عجايبا
فإذا نظرت ندى يديه ورأيه لم تلف إلا صيِّبا أوصايبا
أبقى قلاوون الفخار لولده إرثا، وفاز بالثناء مكاسبا
قوم إذا سئموا الصوافن سيروا للمجد أخطار الأمور مراكبا
عشقوا الحروب تتيُّما بلقا العدا فكانهم حسبوا العداة حبايبا
وكأنما ظنوا السيوف سوالفا (١٤١) واللُّدْن قدًّا، والقِسيَّ حواجبا
يا أيها الملك العزيز ومن له شرف يجر على النجوم(١٤٢) ذوايبا
(ص٤٤) أصلحت بين المسلمين بهمة تذر الأجانب بالوداد أقاربا
ووهبتهم زمن الأمان فمن رأى ملكا يكون له الزمان مواهبا

إلى آخرها، وهذا ما حضرنى منها.

ومن أحسن ما قيل فى مراثيه هذا البيتان:

قلت لبدر الأفق لما بدا ووجهه منكف باسر[١٤٣]
مالك لا تسفر عن بهجة فقال مات الملك الناصر



وللصفى الحلى فيه مرثية رائية بليغة نحو ستون بيتا. ولما مات دفن [مع[١٤٤]] والده بالقبة المنصورية [بين القصرين[١٤٥]] وتولى من أولاده وأولاد أولاده اثنى عشر سلطانا منهم السلطان حسن[١٤٦] صاحب الجامع بسوق الخيل بالرميلة[١٤٧]، ومن شاهده عرف علو همته بين الملوك. وهو الذى ألف باسمه الشيخ ابن أبى حجلة التلمسانى[١٤٨] كتبه العشرة التى منها «ديوان الصبابة» و«والسكردان»، «وطوق الحمامة[١٤٩]» و«حاطب ليل»و «قرع سن ديك الجن» وغير ذلك.

ومنهم الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد[١٥٠] وهو الذى أمر الإشراف بوضع العلامة الخضراء فى عمايمهم[١٥١].

[وفى ذلك يقول بعضهم:

جعلوا لأبناء النبى علامة إن العلامة شأنُ من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم يُغنى الشريف عن الطراز الأخضر[١٥٢]].

وفى أيام الأشرف هذا قدمت الإفرنج إلى الإسكندرية على حين غفلة، ونهبوا أموالها وأسروا نسائها، ووصل الخبر إلى مصر، فتجهز الأشرف، وسار بعساكره، فوجدهم قد (ص٤٥) ارتحلوا عنها وتركوها.ولهذه الواقعة تاريخ اطلعت عليه فى مجلدين. ويقال إن الفرنساوى الذى يكون فى أذنه قرط أمُهُ أصلها من النساء المأسورات فى تلك الواقعة.

* فتنة المماليك الأجلاب فى عهد الملك الأشرف شعبان.

وفى أيامه كثر عبث المماليك الأجلاب، فأمر باخراجهم من مصر،

فتجمعوا وعصوا ،فحاربهم وقاتلهم فانهزموا، وفقبض على كثير منهم. فقتل منهم طايفة وغرق منهم طايفة، [ونفى منهم طايفة[١٥٣]] ، وبقى بمصر منهم طايفة إلتجوا إلى بعض الأمرا، وهؤلاء المماليك كانوا من مماليك يلبغا العمرى[١٥٤]، مملوك السلطان حسن، وصرغمتش، وأيدمُرالجاى اليوسفى . وهم كثيرون مختلفين الأجناس، ومنهم من جنس الجركس. فلم يزالوا فى اختلاف ومقت وهياج، وحقد للدولة، إلى أن تحيلوا وتراجعوا وتداخلوا فى الدولة، فاستقر أمرهم على أن طايفة منهم سكنوا بالطباق [١٥٥] ودخلوا فى مماليك الأسياد، أى أولاد السلطان، ومنهم من بقى أمير عشرة [١٥٦]لا غير، ومنهم من أنضم إلى المماليك السلطانية، ومماليك الأمرا، وكانوا أرذل مذكور فى الإقليم المصرى.

* مقتل الملك الأشرف شعبان على يد مماليكه.

فلما عزم الأشرف على الحج، وأخذ فى أسباب ذلك، انتهزوا عند ذلك الفرصة . وكتموا أمرهم، ومكروا مكرهم، وتوعدوا مع أصحابهم الذين بصحبة السلطان أنهم يثيرون الفتنة مع السلطان فى العقبة، وكذلك المقيمون بمصر يفعلون فعلهم، حتى ينقضوا نظام الدولة، ويزيلوا السلطان والأمراء.

ولما خرج السلطان (ص٤٦) من مصر خرج فى [أبهة] عظيمة، وتجمُّلٍ زايد بعد ان رتب الأمور ، واستخلف بمصر وثغورها من يثق به. وأخذ بصحبته من [لا] يظن فيه الخيانة، ومنهم جملة من الجلبان[١٥٧] وأبقى منهم، ومن غيرهم بمصر كذلك، ولا ينفع الحذر من القدر. فلما خرج السلطان، وبَعُدَ عن مصر، أثاروا الفتنة بعد أن استمالوا طايفة من المماليك السلطانية، وفعلوا ما فعلوه، ونادوا بموت السلطان وولوا ابنه ووقفوا مستعدين منتظرين فعل أصحابهم الغائبين مع السطان، وثار أيضا أصحابهم على السلطان فى العقبة. فانهزم بعد أمور طالبا المجئ إلى مصر، وصحبته الأمرا الكبار وبعض مماليكه. ونهبت الخزينة والحج. وذهب البعض إلى الشام، والبعض إلى الحجاز،



والبعض إلى مصر صحبته حريم السلطـــان.

وجرى ماهو مسطر في التواريخ من ذبح الأمراء واختفاء السلطان وخنقه. وتمكن هؤلاء الأجلاب من الدولة، ونهبوا بيوت الأموال وذخاير السلطان. واقتسموا محاظيه، وكذلك الأمرا. ووصل كل صعلوك منهم لمواقع الملوك وأزالوا عزّ الدولة القلوونية وأخذوا لأنفسهم الإمارات والمناصب، وأصبح الذين كانوا بالأمس أسفل الناس ملوك الأرض، يجبى إليهم ثمرات كل شيئ.

* ظهور برقوق الجركسي. أول ملوك الجراكسة بمصر وزوال دولة القلوونية.

ثم وقعت فيهم حوادث وحروب أسفرت عن ظهور برقوق الجركسي[١٥٨]، أحد مماليك يلبغا العمرى (ص٤٧) واستقراره أمير كبير. وكان غاية في الدهاء والمكر. فلم يزل يدبر لنفسه، حتى عزل ابن الاشرف، وأخذ السلطنة لنفسه. وهو أول ملوك الجراكسة بمصر. وبالأشرف شعبان، هذا وأولاده زالت دولة القلوونية، وظهرت دولة الجراكسة[١٥٩].

أولهم برقوق، وبعده ابنه فرج [١٦٠]، واستمر الملك فيهم، وفي أولادهم إلى الأشرف قانصوه الغورى [١٦١]. وابتداء دولتهم سنة أربع وثمانين وسبعماية، وانقضاوها ثلاث وعشرين وتسعماية. فتكون مدة دولتهم ماية سنة وتسعة وثلاثون سنة.

* فتنة السلطان سليم بن عثمان والقضاء على دولة الجراكسة في مصر بعد موقعة مرج دابق وموت السلطان الغورى.

وسبب انقضايها فتنة السلطان سليم شاه ابن عثمان [١٦٢]. وقدومه إلى الديار المصرية، فخرج إليه سلطان مصر قانصوه الغورى، فلاقاه عند مرج دابق بحلب، وخامد عليه امراءه، خيربك[١٦٣] والغزالي [١٦٤]، فخذلوه وفقدوه، ولم يزل حتى تملك السلطان سليم الديار المصرية، والبلاد الشامية، وأقام خبريك نائبا بها، كما هو مسطر ومفصل في تواريخ المتقدمين مثل مرج الزهور لابن إياس [١٦٥]، وتاريخ القرماني[١٦٦]، وابن زنبل[١٦٧]، وغيرهم.

(١) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٢) عزّروه: يقصد بالتعزيز هنا، التوقير والتعظيم. وهي من «عزر» من الكلمات الأضداد التي تستخدم في المعنى ونقيضه. فهي تستخدم بمعنى الاحتقار والضرب العنيف، كما تستخدم بمعنى الاحترام والتوقير والتعظيم

(٣) سورة المائدة، آية ٣.

(٤) توجد حاشية على الهامش الايمن للصفحة نصها «أي بإضافة الشهور التي تولاها سيدنا الحسن رضى الله عنه كما هو مذكور».

(٥) رواه بن حنبل.

(٦) بدأت الدولة الأموية بخلافة معاوية بن أبي سفيان، وأنتهت بمروان بن محمد المشهور بالحمار.

(٧) تم ذلك في سنة ١٣٢ هـ: ٧٥٠م بخلافة أبي العباس بن محمد الملقب بالسفاح.

(٨) الديلم أحد العناصر التركية.

(٩) تم ذلك في سنة ٢٥٧ هـ = ٨٧٠م. سنة وفاة الخليفة العباسي المعتمد على الله بن المتوكل.

(١٠) تم هذا الغزو حوالي عام ٢٠ هـ = ٦٤٠م.

(١١) أي لم تزل مصر تحت الحكم العربي حتى قيام الولاة بالاستقلال بها عن الدول العباسية.

(١٢) ٢٤٧ هـ = ٨٦١م.

(١٣) وذلك حوالي عام ٢٥٤ هـ = ٨٦٨م.

(١٤) وذلك حوالي عام ٣٢٣ هـ = ٩٣٤م.

(١٥) وذلك حوالي عام ٣٥٥ هـ = ٩٦٥م.

(١٦) جوهر القائد: هو جوهر الصقلي، نسبة إلى جزيرة صقلية التي أتى منها. واسمه ابو الحسن جوهر بن عبدالله. من أكفأ موالي المعز لدين الله الفاطمي. فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ = ٩٦٨ م.

(١٧) المعز الفاطمي: هو معد أبي تميم الملقب بالمعز لدين الله ابن القائم بأمر الله. وهو أول خلفاء الدولة الفاطمية بمصر. ولد بمدينة المهدية في تونس سنة ٣١٨ هـ = ٩٣٠م، وتوفي سنة ٣٦٥ هـ = ٩٧٥م.

(١٨) ٣٦١ هـ = ٩٧١م.

(١٩) القصرين: عندما بنى جوهر القائد القاهرة، ابتنى فيها قصرين أحدهما اكبر من الآخر عرفا بالقصر الكبير والقصر الصغير جعلهما لإقامة المعز عند قدومه إلى مصر. مكانهما الآن المحل المعروف ببيت القاضي.

(٢٠) انظر في تاريخ الروافض باليمن تاريخ ابن خلكان جـ ١ ص ٢٢٨.

(٢١) كتامة: احد قبائل شمال افريقيا التي احتضنت الدولة العبيدية والدعوة الفاطمية، وقدمت مع جوهر الصقلي عند غزو مصر، وكانت لهم حارة بأسمهم مجاورة لحارة الباطلية (الباطنية) ما زالت تعرف بحارة كتامة.

(٢٢) تولى العاضد بنى يوسف الخلافة الفاطمية في مصر ما بين عامي ٥٥٦/ ٥٦٧ هـ = ١١٦٠/١١٧١م.

(٢٣) شاور. هو الوزير الفاطمي الذى هرب إلى

الشام واستعان بالاتابك نور الدين صاحب دمشق، الذى أرسل معه أسد الدين شيركوه، الذى مكّنه من حكم مصر بعد قتل الوزير ضرغام الذى كان قد استنجد بالفرنج واتفق معهم على حكم مصر.

(٢٤) ظهر الخطر الصليبى واضحا فى عهد الخليفة المستعلى الفاطمى، عندما استولوا على القدس عام ٤٩٢ هـ = ١٠٩٩م بعد مذبحة دامية.

(٢٥) كان هم الغزاة دومًا جمع خراج مصر، خاصة منذ الغزو العربى لمصر وحتى سقوط السلطنة العثمانية.

(٢٦) بلبيس: مدينة حصينة بالشرقية على طريق الغزاة إلى القاهرة، سقطت فى مستهل صفر ٥٦٥ هـ = ١١٦٩م.

(٢٧) كان ذلك بعد سقوط بلبيس بثمانية أيام.

(٢٨) صلاح الدين يوسف: هو صلاح الدين الأيوبى، الملقب بالملك الناصر، وهو كردى وُلد بمدينة «تكريت» بشمال العراق. عمل هو وأبيه «نجم الدين» وعمه «شيركوه» فى خدمة نور الدين محمود صاحب دمشق. توفى سنة ٥٨٩ هـ = ١١٩٣م.

(٢٩) اى قام بمحاربة مذهب الشيعة الفاطمية، وإعلان الشريعة المحمدية (مذهب السنة). وعبارة الجبرتى هذه تحتوى معنى ان الشيعة الفاطمية بدعة وضلالة.

(٣٠) المستضئ العباسى: هو الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفى العباسى أبو محمد، المستضىء بالله المتوفى سنة ٥٧٥ هـ = ١١٨٠م.

(٣١) الأشاعرة: هم اتباع ابو الحسن على بنى اسماعيل الأشعرى [٣٢٤/٢٦٠ هـ = ٩٣٦/٨٧٤م] وكان من الائمة المتكلمين. كان معتزليا، ثم جاهر بخلافهم. ولد فى البصرة وتوفى ببغداد. كان يؤمن بأن كل موجود يصح أن يُرى، والبارى تعالى موجود فيصح أن يرى، وبناء على ذلك قال بأن الله مجسد. وقال: الإيمان هو التصديق بالجنان. وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه، والعقل لا يوجب شيئًا. وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة. ومن أشهر كتبه: «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» و«الإبانة عن أصول الديانة»، و«اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع». ومن أتباعه القاضى أبو بكر الباقلانى، توفى سنة ٤٠٣ هـ = ١٠١٢م، وأمام الحرمين أبا المعالى الجوينى، توفى سنة ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥م. انظر «مناهج الأدلة فى عقائد الملة» لا بن رشد، تحقيق وتقديم: د. محمود قاسم. طبعة ثالثه ١٩٦٩. القاهرة.

(٣٢) الماتُريديّة : هم أتباع محمد، أبو منصور السمرقندى الماتريدى. فقيه حنفى أصولى من أئمة علماء الكلام. توفى سنة ٣٣٣ هـ = ٩٤٤م. ولد وتوفى بسمرقند. وهو أقرب إلى المعتزلة منه إلى الأشاعرة بالرغم من أنه هاجم الفلسفة والفلاسفة، ولذلك كان

موقفه من المعتزلة أكثر تسامحا من الأشاعرة. وقد حاول أن يقرّب ما بين الأشاعرة والمعتزلة. له «شرح الفقه الكبير» و«التوحيد» و«مآخذ الشرائع» فى علم أصول الفقه. ويظن عادة أن الأشعرية والماتريدية يمثلان فريق أهل السنة، كما يظن الجبرتى هنا وغيره من العلماء، ولكن هناك من يرى أنهما مختلفان فى أمور جوهرية مثل الأدلة على وجود الله، والوحدانية، والصفات والذات، والإرادة والعدل والجور، والقضاء والقدر، وإرسال الأنبياء والرسل. انظر المرجع السابق.

(٣٣) أبو حامد الغزالى هو محمد بن محمد الغزالى الطوسى، أبو حامد توفى سنة ٥٠٥ هـ = ١١١١م. كان لقبه «حجة الإسلام» من أئمة علماء الكلام. ولد بالقرب من طوس بخراسان. حارب الفلسفة والفلاسفة حربا شعواء، وهاجم الفيلسوف الكبير «أبن رشد» هجوما عنيفًا فى كتابه «تهافت الفلاسفة» فرد عليه ابن رشد بكتاب «تهافت التهافت». ولعل الكتاب المقصود هنا والذى يشير إليه الجبرتى هو كتاب «احياء علوم الدين».

(٣٤) أى ضمّ مُلك الشام إلى مُلك الناصر صلاح الدين الأيوبى، فصارت مصر والشام سلطنة واحدة تحت حكمه.

(٣٥) القمامة: هى كنيسة القيامة بالقدس. ويعتقد أنها مقامة فى المكان الذى صَلَبَ اليهود فيه المسيح، كما يعتقد أنه سيقوم منها.

(٣٦) ٥٨٩ هـ = ١١٩٣م.

(٣٧) لاحظ أن ذلك يناقض قصته السابقة حول استيلاء صلاح الدين على محتويات قصور الفاطميين.

(٣٨) قلعة الجبل: وهى قلعة صلاح الدين الأيوبى، وتسمى «قلعة القاهرة». بناها الأمير بهاء الدين الأسدى الخصى الصالحى المعروف باسم «قراقوش» (ومعناه «الطير الأسود» ويقصد به «العقاب»)، كان وزيراً لصلاح الدين الأيوبى. وهى الأصل الذى شيدت عليه فيما بعد قلعة محمد على باشا.

(٣٩) سور القاهرة العظيم: بدأ فى بناءه صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٦ هـ = ١١٧٠م، وهو يومئذ على وزارة العاضد. ثم أكمله بهاء الدين قراقوش فى ظل سلطنة صلاح الدين من حجارة الأهرام التى هدمها. وهذه هى المرة الثالثة لبناء سور القاهرة. ففى المرة الأولى بناه جوهر الصقلى، وفى الثانية امير الجيوش بدر الدين الجمالى، وفى الثالثة بهاء الدين قراقوش.

(٤٠) المشد: أى القائم بالإشراف على إنجاز المشاريع العامة للدولة، ويقابله الآن وظيفة وزير الاشغال.

(٤١) قراقوش: انظر هامش (٣٨) أشتهر بقسوته. تنسب إليه حارة بهاء الدين داخل باب الفتوح. ألف فيه الأسعد بن مماتى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م، كتابًا لطيفًا

سماه «الفاشوش فى أحكام قراقوش»، توفى سنة ٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م.

(٤٢) الملك العادل: حكم مصر بين عامى ٥٩٦/٦١٥ هـ = ١٢٠٠/١٢١٨ م. وفى أيامه حدثت المجاعة الشهيرة بمصر عام ٥٩٧ هـ = ١٢٠١م، والتى وصفها عبداللطيف البغدادى فى كتابه «الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر».

(٤٣) الكامل. سقطت من المخطوط، وأضيفت من المخطوطات الأخرى.

(٤٤) كان ذلك فى عام ٦١٦ هـ = ١٢١٩م بعد حصار طويل لدمياط أمتد لحوالى ١٦ شهراً، و٢٢ يوماً.

(٤٥) الإمام الشافعى: هو محمد بن ادريس [١٥٠/٢٠٤ هـ = ٧٦٧/٨٢٠م] مؤسس المذهب الشافعى أحد المذاهب السنية. أسس علم الأصول. ولد فى غزة. سجنه الرشيد مدة، فلما أفرج عنه استوطن القاهرة حتى توفى بها ودفن بسفح المقطم. له كتاب «الأم» فى الفروع، و«الرسالة» فى الأصول. وله فى مصر شأن كبير، ويعتقد فيه اعتقاداً كبيراً من عامة الناس، حتى أنهم نصبوه رئيسًا لمحكمة سُفلية تشبه محكمة أوزير الفرعونية تقوم بالفصل فى المنازعات بين الناس. أنظر «رسائل الإمام الشافعى» د. سيد عويس.

(٤٦) الصالح نجم الدين أيوب: حكم مصر بين عامى ٦٣٧/٦٤٧ هـ = ١٢٤٠/١٢٤٩م. وفى عهده قدمت حملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر، التى حوصرت فى المنصورة، وقضى عليها المصريون عام ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠م. وهو زوج الملكة شجرة الدر.

(٤٧) ٦٤٧ هـ = ١٢٤٩م.

(٤٨) شجرة الدر: زوجة الملك الصالح نجم الدين. تولت الحكم بعد وفاته حتى حضر ابنه توران شاه فحرضت على قتله واستقرت فى الحكم باسم المستعصمة الصالحية. ولكن بسبب ثورة بعض المماليك عليها تنازلت عن الحكم لعز الدين أيبك التركمانى الصالحى سنة ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠م الذى حكم حتى سنة ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧م.

(٤٩) توران شاه: هو ابن الصالح نجم الدين أيوب. احضرته شجرة الدر إلى مصر من الشام أثناء معركة المنصورة. وعندما حاول عزل مماليك أبيه المتوفى من المراكز الهامة بالدولة وتعيين مماليكه القادمين معه من الشام محلهم، تآمروا عليه وقتلوه بمعاونة شجرة الدر. وبموته انتهت الأسرة الأيوبية الحاكمة فى مصر، وقامت بعدها دولة المماليك الأولى المسماة بدولة المماليك البحرية. وسبب تسميتهم بالبحرية راجع إلى أنهم سكنوا قصوراً فى جزيرة الروضة فى قلب بحر النيل العظيم، والتى انتهت فى عام ٧٨٤ هـ = ١٣٨٢م عندما خَلَعَ السلطان برقوق آخر سلاطينهم (السلطان حاجى بن شعبان)،

وتولى الحكم محله باعتباره مؤسس دولة المماليك الثانية المسماة بالمماليك البرجية أو المماليك الجراكسة.

(٥٠) حصن كيفا: على نهر دجلة قرب دياربكر في الشمال بتركيا الحالية. كانت عاصمة للامراء الأرتقيين (١١٠٢/١٢٦٠م) المنسوبين لداود بن سُقمان بن أرتق.

(٥١) ريدا: تحريف لكلمة [روا Roi] بمعنى ملك بالفرنسية. والمقصود به هنا لويس التاسع ملك فرنسا قائد الحملة الصليبية الفاشلة على المنصورة والتى أسره فيها المصريون.

(٥٢) قلعة الروضة : وهى التى أقامها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى جزيرة الروضة بالنيل لمماليكه بعد أن تحول عن قلعة الجبل [قلعة صلاح الدين].

(٥٣) أقطاى: يقال أنه هو الذى قتل الملك توران شاه سنة ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠م فى فارسكور. وقد دخل فى منافسة شديدة مع السلطان عز الدين ايبك الجاشنكير على السلطة فى مصر، فغدر به ايبك وقتله، ثم تآمرت شجرة الدرة على زوجها ايبك وقتلته سنة ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧م.

(٥٤) المدارس الصالحية: دكّ أساسها سنة ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ م، فلما كملت رتب فيها الملك الصالح نجم الدين أيوب دروسًا أربعة لفقهاء المذاهب الأربعة فى سنة ٦٤١ هـ = ١٢٤٣م.

(٥٥) فارسكور: تقع بين المنصورة ودمياط، وقعت بها عدة معارك بين جيوش المصريين وحملة لويس التاسع. وقتل بها توران شاه على يد الأمير اقطاى.

(٥٦) خُلعت شجرة الدر بعد زواجها من عز الدين ايبك، الذى تولى الحكم بدلا منها.

(٥٧) ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠م.

(٥٨) الدولة التركية: المقصود بالدولة التركية هنا دولة المماليك الأولى فى مصر المسماة بدولة المماليك البحرية والتى حكمت حتى عام ٧٨٤ هـ = ١٣٨٢م.

(٥٩) المظفر على: هو نور الدين على تولى الحكم ١٥ عاما ولقب بالملك المنصور. كان نائبه سيف الدين قطز. وفى سنة ٦٥٧ هـ = ١٢٥٩ م هجم هولاكوخان على بغداد مقر الخلافة العباسية وقَتَل الخليفة المستعصم بالله وزحف نحو الشام ومصر. فقام سيف الدين قطز بقتل المظفر على، وتولى قيادة الجيش المصرى ضد جيوش التتار وهزمهم فى عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠م.

(٦٠) هوشهم: أى بدد شملهم فلم تقم لهم قائمة.

(٦١) ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦م. الجبرتى فى الفقرة هذه وما بعدها يعيد سرد هجوم جحافل التتار على بغداد والشام حتى هزيمتهم على يد الجيش المصرى فى عين جالوت.

(٦٢) بلاد الروم: يقصد بها بلاد الروم السلاجقة فى شبه جزيرة الأناضول.

(٦٣) ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨م.

(٦٤) إضافة ليستقيم المعنى.

(٦٥) فى المخطوط [فيها].
(٦٦) حران، الرها، ديار بكر: فى شمال سوريا والعراق.
(٦٧) أضيفت من المخطوطات الأخرى. وسنة ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠م.
(٦٨) أهل القُدْرةِ : أى أهل اليسار والسلطة.
(٦٩) نابلس : بوسط فلسطين.
(٧٠) الكرك: بالأردن، على طريق الحج الشامى. عُرفت قديماً باسم «كير مؤاب. كانت حصناً مسورا للمؤابيين. احتلها الصليبيين عام ١١١٧م، ثم استولى عليها صلاح الدين الأيوبى.
(٧١) عين جالوت: أو عين جالود، أو عين هارود. تقع بين بيسان وأفولا، سحق فيها الأمير بيبرس البندقدارى المغول والصليبيين المتحالفين معهم سنة ١٢٦٠ م = ٦٥٨ هـ.
(٧٢) بيبرس البندقدارى: تولى سلطنة مصر بين عام ٦٧٦/٦٥٨ هـ = ١٢٧٧/١٢٦٠م بعد قتله للسلطان سيف الدين قطز.
(٧٣) قتل الخليفة: أى قتل هولاكوخان للخليفة العباسى المستعصم بعد استيلائه على بغداد والقضاء على الخلافة العباسية سنة ٦٥٧ هـ = ١٢٥٩م.
(٧٤) الخيل البلق : أى اجتمع فيها اللونين الأبيض والأسود.
(٧٥) نوق عشاريات: وهى النوق التى أتى عليها فى الحمل عشرة أشهر، ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع.
(٧٦) ظلت المواجهة بين الظاهر بيبرس والتتار فى الحجاز والشام والعراق سجالاً بسبب سيطرتهم على هذه البلاد وأماكن الحج فى مكة والمدينة ما بين عامى ٦٧٦/٦٥٨ هـ = ١٢٧٧/١٢٦٠م.
(٧٧) ٦٧٦ هـ = ١٢٧٧ م.
(٧٨) ورد اسم مؤلف المقريزى هكذا فى المخطوط، وصحته «التبر المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك».
(٧٩) بنى مهاريش: أحد القبائل العربية فى بادية الشام الواقعة بين العراق وسوريا.
(٨٠) تاج الدين ابن بنت الأعز : هو عبدالرحمن ابن عبدالوهاب بن خليفة العلامى المصرى الشافعى. ولى الوزارة مع القضاء فى مصر. توفى سنة ٦٩٥ هـ = ١٢٩٦م.
(٨١) الشيخ عز الدين بن عبدالسلام: هو عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعى. تولى الخطابة بالجامع الأموى. وعندما سلم الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة [صفد] للفرنج اختياراً انكر عليه ابن عبدالسلام ذلك، ولم يدعُ له فى الخطبة، وهرب إلى مصر، فولاه الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة. توفى بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ = ١٢٦١م.
(٨٢) فى المخطوط [المنتصر] وصحتها كما أثبتناه أعلاه.
(٨٣) عليه السواد: كان السواد هو اللون المميز

لأعلام وملابس العباسيين منذ نشأتهم.

(٨٤) رسم: أصدر مرسوماً أو قراراً.

(٨٥) خلعة: الخلعة هنا هي الزىّ أو الملبس الذى يمنح من الخليفة لمن يعينه سلطانا.

(٨٦) تقليد: التقليد هو مرسوم التعيين للسلطان.

(٨٧) باب النصر : بجوار جامع الحاكم.

(٨٨) إضافة من المخطوطات الأخرى.

(٨٩) أتابك : كلمة فارسية مكونة من مقطعين : «أتا» بمعنى والد، و«بك» وتعنى أمير. وحامل هذا اللقب هو الشخص التالى للسلطان، كما يطلق على أمير الجيوش، ويكتب أحيانا [أطابك].

(٩٠) استادار: فى المخطوط [سدار]. وهو الموظف المسئول عن بيوت السلطان، من مطابخ وشراب وخانات، وإليه أمر الغلمان والحاشية. وهو الذى يسلمهم رواتبهم وكل ما يحتاجون إليه لعملهم أو لأنفسهم. فى أيام الظاهر برقوق عظمت أهمية هذه الوظيفة حتى صار صاحبها منوطا به تدبير أموال المملكة. وهذا اللقب مكون من لفظتين فارستين، احداهما «إسْتذْ» ومعناها الأخذ، والثانية «دار» ومعناها الممسك، فادغمت الذال فى اللفظة الأولى مع الدال فى اللفظة الثانية، فصار استدار بمعنى المتولى للأخذ لأنه يتولى قبض المال. والبعض يكتبه [ستدار]، أو [أستاذ دار]. وهو من امراء المئين فى العصر المملوكى، ويدخل الجاشكير فى جملة هؤلاء الخدم من حيث خضوعه ماليا للاستدار، مع ان الجاشنكير من امراء الألوف. وكان فى قصر السلطان أربعة من الاستدارية، أكبرهم أمير مائه، والثلاثة الباقون من أمراء الطبلخانات.

(٩١) خازندار: ومهمته النظر فى حسابات خزاين أموال السلطان أو الخليفة.

(٩٢) حاجب : وظيفة جليلة فى الدولة المملوكية على خلاف ما كانت عليه قبل ذلك [أى وظيفة حجب مجلس الخليفة عن الناس]. فإن الظاهر بيبرس جدد هذه الوظيفة حتى عظمت مكانتها فى عهد الناصر محمد بن قلاوون. كان يطلق عليها فى عهد السلاجقة اسم [الدويدار] من الكلمة العربية «دواه» ومن اللاحقة الفارسية «دار» بمعنى الممسك والصاحب. وكانت وظيفته فى الدولة العثمانية رئيس للكتاب.

(٩٣) شرابيا: الشرابيى هو المسئول عن تقديم المشروبات للسلطان أو الخليفة.

(٩٤) كاتبا: إضافة من المخطوطات الأخرى.

(٩٥) القطار: القافلة من الدواب، وفى التركية القطار هو البغل من الدواب، وكانت تستخدم فى الجيوش العثمانية لقوة تحملها. وكان قائد قطار البغال يسمى [القاطرجى].

(٩٦) الموصل: شمال العراق، لقبت [بالحدباء]، على نهر دجلة، بالقرب من [نينوى] القديمة. ازدهرت زمن السلاجقة، وكان صاحبها عماد الدين زنكى. اما سنجار، فهى بشمال العراق سكانها من الأكراد الزيدين،

يمر بها نهر الخابور. والجزيرة بلاد بين دجلة والفرات شمال العراق.

(٩٧) هيت: في وسط العراق، تقع على الطريق التجارى بين بغداد وحلب، اشتهرت بالتمر والقمح والخمور.

(٩٨) بنى خفاجة: من القبائل البدوية في بادية الشام بين العراق والشام.

(٩٩) الأمير عيسى بن مهنا: هو أحد شيوخ القبائل البدوية في بادية الشام.

(١٠٠) فى كل المخطوط وردت المنتصر.

(١٠١) من المخطوطات الأخرى.

(١٠٢) عبدالحليم بن تيمية: هو تقى الدين أبو العباس أحمد بن المفتى شهاب الدين عبدالحليم. الفقيه المجتهد المفسر صاحب الأحاديث. ولد سنة ٦٦١ هـ = ١٢٦٢م، وتوفى سنة ٧٢٨ هـ = ١٣٢٧م.

(١٠٣) عانة: بلدة بشمال العراق. وردت فى المخطوط إعانته.

(١٠٤) كان لقبة [الحاكم بأمر الله].

(١٠٥) الرحبة: تقع على الفرات الأوسط، تعرف أيضا برحبة مالك، نسبة إلى مالك التغلبى الذى أسسها فى خلافة المأمون.

(١٠٦) الملك السعيد: هو بركه خان بن بيبرس. لقب بالملك السعيد عندما تولى السلطنة عام ٦٧٦ هـ = ١٢٧٧م، وظل بالسلطنة حتى عام ٦٧٨ هـ = ١٢٧٩ م عندما خلعه أمرائه بعد فتنة طويلة.

(١٠٧) هو سلامش بن بيبرس. تولى السلطنة شهوراً قليلة بعد أخيه، ثم عزله الأمير سيف الدين قلاوون الألفى، وتولى مكانه سنة ٦٧٨ هـ = ١٢٧٩ م. وظل فى الحكم حتى سنة ٦٨٩ هـ = ١٢٩٠م.

(١٠٨) هذه القبة داخل نفس مجموعة قلاوون الموجودة فى شارع بين القصرين بالأزهر.

(١٠٩) البحر الرومى: هو البحر المتوسط.

(١١٠) مصافات : أى معارك حربية. وهى كذلك الحرب فى صفوف متراصة فى مواجهة العدو بطريقة الحرب عند النبى محمد. والصُّفَفُ ثياب تلبس تحت الدروع وقت الحرب.

(١١١) ٦٧٨ هـ = ١٢٧٩ م.

(١١٢) أضيفت للإيضاح، ٦٨٩ هـ = ١٢٩٠م.

(١١٣) الأشرف خليل بن قلاوون: هو صلاح الدين خليل، لُقب بالملك الأشرف عندما تولى السلطنة سنة ٦٨٩ هـ . قضى على آخر الصليبيين فى الشام بعد أن استولى على عكا سنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١م. قتله أمراءه عام ٦٩٣ هـ = ١٢٩٣م، فتولى بعده الأمير بيدار ولُقب بالملك القاهر، إلا أنه لم يحكم سوى يوماً واحداً ثم قتل.

(١١٤) تروجة : من المدن المندرسة. وردت فى معجم البلدان لياقوت الحموى بأنها قرية بمصر من كُور البحيرة من أعمال الأسكندرية. أكثر ما زرع بها الكمون. وقيل اسمها تروجه. وردت فى التحفة [تروجه] من اعمال البحيرة. وقد اندثرت

هذه القرية ومكانها اليوم [كوم تروجه] ناحية زاوية صقر بمركز ابو المطامير القبلية بالبحيرة.

(١١٥) المشهد النفيسي بُني أول ما بني على يد ابن السرى بن الحكم والى مصر الذى مات سنة ٢٠٤ هـ = ٨١٩ م اى قبل وفاة السيدة نفيسة بأربع سنوات. والقبة التى على الضريح جددها الخليفة الحافظ لدين الله عبدالمجيد العلوى سنة ٥٣٢ هـ = ١١٣٧م. وقد جدد المشهد مرارا بعد ذلك، أحدها على يد الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٠ هـ = ١٣١٠م، وأخرى في عام ١١٧٣ هـ = ١٧٥٩م حين جددَ رحابه الأمير عبد الرحمن كتخدا. وأقيم بناؤه الحالى فى عام ١٣١٢ هـ = ١٨٩٤ م.

(١١٦) الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفى الصالحى النجمى: تولى السلطنة صغير السن، فقام زين الدين كتبغا المنصورى بعزله ونفاه إلى حصن الكرك.

(١١٧) زين الدين كتبغا: تسلطن بدلاً من الملك الناصر، وسُمى بالملك العادل، وهو اللقب الذى عرفه به قبله سلامش بن بيبرس. جنّد قبيلة من المغول غير المسلمين فى جيشه مما أدى إلى فتن انتهت بخلعه فى سنة ٦٩٦ هـ = ١٢٩٦ هـ.

(١١٨) الأمير حسام لاجين المنصورى: تولى سلطنة مصر عام ٦٩٦ هـ، ولُقب بالملك المنصور لاجين. ظل يحكم مصر حتى قتل عام ٦٩٨ هـ = ١٢٩٩ م، وتولى بعده الأمير سيف الدين طغجى، ولقب بالملك القاهر، كما لُقب بيدار قبله بنفس اللقب وقتل كذلك بعد يوم واحد من تولى السلطنة.

(١١٩) طُغْجى وكَرْجى: طغجى: هو سيف الدين طغجى بن عبدالله الأشرفى. وكرجى: هو سيف الدين كرجى. وقد ورد الاسمان فى المخطوط «طغى» و«كبرى».

(١٢٠) بيبرس الجاشنكير: وهو بيبرس الثانى، تولى سلطنة مصر ما بين عام ٧٠٩/٧٠٨ هـ= ١٣٠٩/١٣٠٨م، بعد تنازل الناصر قلاوون عن الملك. ولكن قلاوون عاد إلى المطالبة بالسلطنة، فهرب بيبرس إلى الصعيد، وتولى قلاوون حكم مصر للمرة الثانية بين عامى ٧٤١/٧٠٩ هـ = ١٣٤١/١٣٠٩م وقام بقتل سلار سنة ٧١٠ هـ = ١٣١٠م.

(١٢١) ٧٠٨ هـ = ١٣٠٨ م.

(١٢٢) رمى الإقامات: هى الاستعدادات والاستراحات التى تقام على طريق الحاج لإقامة السلطان.

(١٢٣) تَقَادُمَهُم: أى ما قدموه على سبيل الهدايا والإعارة.

(١٢٤) بركة الحاج : اسمها القديم «جب عميرة» كما وردت فى كتاب البلدان لليعقوبى، ويقال لها بركة الجب أو بركة الحجاج. وتكلم عنها المقريزى فى خططه، فقال

بركة الجب وهى بركة الحجاج من ضواحى القاهرة. وتسميها العامة بركة الحاج لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة، ونزولهم بها عند العودة.

(١٢٥) الصالحية : أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٤ هـ = ١٢٤٥م بالشرقية لتكون منزلة للعساكر عند ذهابهم للشام.

(١٢٦) العاشر من شوال عام ٧٠٨ هـ = ١٣٠٨م.

(١٢٧) الشَّوْبَك: قلعة حصينة بين دمشق وعَمَّان قرب حصن الكرك.

(١٢٨) الهُجْن: جمال القتال والحج.

(١٢٩) إضافة ليستقيم المعنى.

(١٣٠) إضافة من المخطوطات الأخرى.

(١٣١) ٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م.

(١٣٢) ٧٤١ هـ = ١٣٤٠ م.

(١٣٣) راك البلاد: الرُّوك كلمة قبطية تعنى مسح الأرض وحصرها فى الدفاتر والسجلات، وتقدير قيمتها من حيث درجة الخصوبة وسهولة الرى، وما زاد منها كطرح للنهر، وذلك بهدف تقدير الخراج عليها.

(١٣٤) إضافة من المخطوطات الأخرى.

(١٣٥) القان غازان: هو غازان خان محمود بن أرغون، ويطلق عليه [غازان قا آن]، و[قا آن] لقب من ألقاب ملوك الصين، يكتبه الجبرتى هنا [الفان]، وغازان هو سابع ملوك المغول فى فارس بعد سقوط بغداد والدولة العباسية بها. حكم غازان بين عامى ٧٠٣/٦٩٤ هـ = ١٢٩٤/ ١٣٠٣ م. وهو معاصر للناصر محمد بن قلاوون الذين تولى حكم مصر سنة ٦٦٩٣ هـ = ١٢٩٣م.

(١٣٦) لعله كتاب [نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر] لمؤلفه موسى بن محمد بن يحى اليوسفى عماد الدين «٧٥٩/٦٩٦ هـ = ١٣٥٨/١٢٩٦م» مولده ووفاته بالقاهرة. عارف بعلوم الحرب وآلاتها، له كتاب «كشف الكروب فى معرفة الحروب»، ألفه للملك الظاهر جمقمق فى فن الحرب ونظام الجند.

(١٣٧) صفى الدين الحلى: ولد بالحلة من مدن الفرات عام ٦٧٧ هـ = ١٢٧٨م، وتوفى سنة ٧٥٠ هـ = ١٣٤٩ م. كان شاعر الدولة الأرتقية فى ماردين بشمال بلاد الشام. رحل إلى القاهرة فى عهد السلطان الناصر بن قلاوون سنة ٧٢٦ هـ = ١٣٢٥م، ومدحه بهذه القصيدة.

(١٣٨) السباسب : الأرض السهلة العبور.

(١٣٩) القنا: الرماح، مفردها قناة. القواضب: مفردها قاضب، وهو السيف البتار.

(١٤٠) سبط: يقال فلان سَبْطَ اليدين أى سخى العطاء، وهذا هو المقصود هنا، والسبط واحدُ الأسباط، وهم ولدُ الولد.

(١٤١) سوالف جمع سَالِفَة : وهى صفحة العنق.

(١٤٢) ذوائب: جمع ذُؤابة، وهى طرف العمامة. والمعنى المقصود هنا، أنه يغطى على النجوم.

(١٤٣) باسر: عابس مُقَطِّبٌ الوجه.

(١٤٤) في الأصل [على].

(١٤٥) إضافة من المخطوطات الأخرى.

(١٤٦) السلطان حسن: تولى سلطنة مصر بعد أن ذُبح أخوه السلطان السابق، زين الدين حاجى الملقب بالملك المظفر على يد مماليكه عام ٧٤٨ هـ = ١٣٤٧م. وكان لقبه الملك الناصر، ولكن سرعان ما عُزل وسجن بالقلعة سنة ٧٥٢ هـ = ١٣٥١م. ولكنه دَبّر مؤامرة من داخل سجنه، أدت لعزل الملك الصالح سنة ٧٥٥ هـ = ١٣٥٤ م، وتولى السلطنة مرة أخرى لمدة ستة سنوات وسبعة أشهر. وفى عام ٧٦٢ هـ = ١٣٦٠م. قُتل بمكيدة على يد مملوكه [يلبغا]. من آثاره جامع السلطان حسن بميدان القلعة، وهو من أجمل جوامع مصر، بنى بحجارة من الاهرامات.

(١٤٧) الرميلة: موقعة ميدان القلعة الآن.

(١٤٨) أبن أبى حجلة التلمسانى: ٧٧٦/٧٢٥ هـ = ١٣٧٥/١٣٢٥م. هو أحمد بن يحى بن أبى بكر التلمسانى، عالم بالأدب، شاعر. من أهل تلمسان. سكن دمشق، ثم ولى مشيخة الصوفية بصهريج منجك بالقاهرة، ومات فيها بالطاعون. هاجم المؤمنين بوحدة الوجود من أمثال الصوفى الكبير عمر بن الفارضى. من مؤلفاته «السجع الجليل فيما جرى فى النيل». و«سكردان السلطان» و«ديوان الصبابة»، وغيرهم. وفى عبارة الجبرتى خطأ، حيث يذكر أن كتاب «طوق الحمامة» للتلمسانى.

(١٤٩) ذكر الجبرتى هنا خطأ أن «طوق الحمامة» للتلمسانى، بينما هو لابن حزم الاندلسى (على ابن أحمد بن سعيد).

(١٥٠) الأشرف شعبان: أو الأشرف الثانى، ٧٧٨/٧٥٤ هـ = ١٣٧٧/١٣٥٣م، تولى السلطنة بعد خلع ابن عمه «محمد بن حاجى» سنة ٧٦٤ هـ = ١٣٦٢م، وقام بأمور الدولة فى أيامه أتابك العسكر الأمير يلبغا (قاتل عمه الناصر الثالث، وخالع ابن عمه محمد المنصور ابن حاجىّ) وفى أيامه (سنة ٧٦٧ هـ = ١٣٦٥م) أغار الأفرنج بقيادة صاحب قبرص على الإسكندرية، فى سبعين مركبًا، ونهبوها لمدة أسبوع، ثم تركوها ولم يلحق بهم احد. خرج عليه يلبغا، فقبض عليه الأشرف شعبان وقتله سنة ٧٦٧ هـ. ثم اثار عليه مماليكه أثناء ذهابه للحج سنة ٧٧٨ هـ = ١٣٧٧م وقبضوا عليه، واصعدوه للقلعة حيث خنقه الأمير «اينبك البدرى».

(١٥١) العلامة الخضراء فى عمايم الأشراف: كانت هذه الأوامر تصدر دومًا فى سياق التكريس للفروق الدينية والاجتماعية وتفتيت وحدة المجتمع المصرى.

(١٥٢) إضافة من المخطوطات الأخرى.

(١٥٣) إضافة من المخطوطات الأخرى.

(١٥٤) يلبغا العمرى: كان نائبا للملك الأشرف شعبان. قتل على يد مماليكه. وهو الذى اشترى برقوق الذى صار بعد ذلك سلطانا ومؤسسا لدولة المماليك الثانية (المماليك البرجية أو الشراكسه).

(١٥٥) الطباق: أى الثكنات حيث يقيم الجند المماليك بشكل ثابت ومستمر، خاصة جند السلطان وكان موقعها بجزيرة الروضة.

(١٥٦) أمير عشرة: أى قائد لعشرة من الجند. وكانت الرتب فى الجيش المملوكى تتحدّد بحسب عدد الجند الخاضعين للرتبة، فهذا أمير عشرة، وذاك أمير مائة، وهذا أمير ألف (وهو المشهور بالألفى).

(١٥٧) الجلبان: هم المماليك المجلوبين من قبائل وسط آسيا. وفى تفسير اخر أن [الجَلَبَة] تشبه الجراب الذى يوضع فيه السيف مغمودا، ويطرح الفارس فيه سوطه وأدواته، فيكون هؤلاء الفرسان هم الجلبان. وهذا لا يعارض كونهم مشترون من تجار العبيد، وهو المقصود هنا. ومفرد جلبان يكون «جلبى».

(١٥٨) برقوق الجركسي: برقوق اسم مُركّب من [بار] و[قوق]، ومعناهما معا [مزهر]. وهو الملك الظاهر برقوق بن أنس، أول ملوك الجراكسة بمصر، حكمها ما بين عامى ٧٩١/٧٨٤ هـ = ١٣٨٩/١٣٨٢م. وتوفى عام ٨٠١ هـ = ١٣٩٨ م بداء الصرع.

(١٥٩) دولة الجراكسة: استمر حكم المماليك الجراكسة بين سنتى ٧٨٤/ ٩٢٣ هـ = ١٥١٧/١٣٨٢م. كان أولهم الملك الظاهر برقوق، وآخرهم الملك الأشرف طومان باى، وهو ابن أخ السلطان قنصوه الغورى. ناب عن عمه الغورى فى حكم مصر عندما خرج الأخير لمحاربة العثمانيين بقيادة سليم الأول. ولكن بهزيمة جيوش الغورى أمام جيوش سليم الأول قام طومان باى بعدة محاولات لمقاومة الغزو العثمانى ولكنه فشل بسبب الأسلحة الحديثة التى كان يتسلح بها الجيش العثمانى وخاصة الأسلحة النارية، والتى كان لا يستخدمها المماليك، وكانت هزيمة طومان باى أمام السلطان سليم عام ٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م، وعندما قبض عليه سليم الأول قام بشنقه على باب زويله.

(١٦٠) فرج بن برقوق: حكم مصر بين سنتى ٨٠٨/٨٠١ هـ = ١٤٠٥/١٣٩٨م. ولكنه منذ عام ٨٠٤ هـ حكم مصر بصفته نائب لتيمور لنك، بسبب عدم قدرته على مقاومته. ذلك أن تيمور لنك فى هذه الفترة كان قد استولى على كل بلاد العراق والشام وآسيا الصغرى وأسر السلطان بايزيد سلطان الأناضول فى موقعه انقره عام ٨٠٤ هـ = ١٤٠١م. وقد تم عزله عام ٨٠٨ هـ واختفى لمدة شهرين، عاد بعدهما وحكم مصر مرة

أخـــرى بين عـــامى ٨١٥/٨٠٩ هـ = ١٤١٢/١٤٠٥ م حـــيث قُـــتل على يد مماليكه.

(١٦١) قـانصـوه الغـورى: حكم مـصـر بين سنتى ٩٢٢/٩٠٦ هـ = ١٥١٦/١٥٠١م. وبعد أن حكم خمسة عشر سنة قتل فى موقعة مرج دابق قرب حلب التى خاضها ضد السلطان سليم العثمانى.

(١٦٢) السلطان سليم شـاه: هو ابن بايزيد خـان وليس ابن عثمان كما أورد الجبرتى هنا. توفى سنة ٩٢٦ هـ = ١٥٢٠م.

(١٦٣) خير بك: كان من امراء السلطان الغورى، ولكنه طمع فى حكم مصر فخانه واتصل بعدوه السلطان سليم واتفق مع العثمانيين على خذلان السلطان الغورى فى الحرب والانضمام إليهم فى مقابل ان يتولى حكم مصر. وقد تم له ما أراد، وحكم مصر نيابة عن السلطان سليم العثمانى، فكان أول من تولى مصر من الباشات، ومكث فى مصر باشه خمسة أعوام وثلاثة أشهر، وكـان تولاها سنة ٩٢٣ هـ = ١٥١٧م وتوفى سنة ٩٢٨ هـ = ١٥٢٢م. دفن بجامعة بباب الوزير.

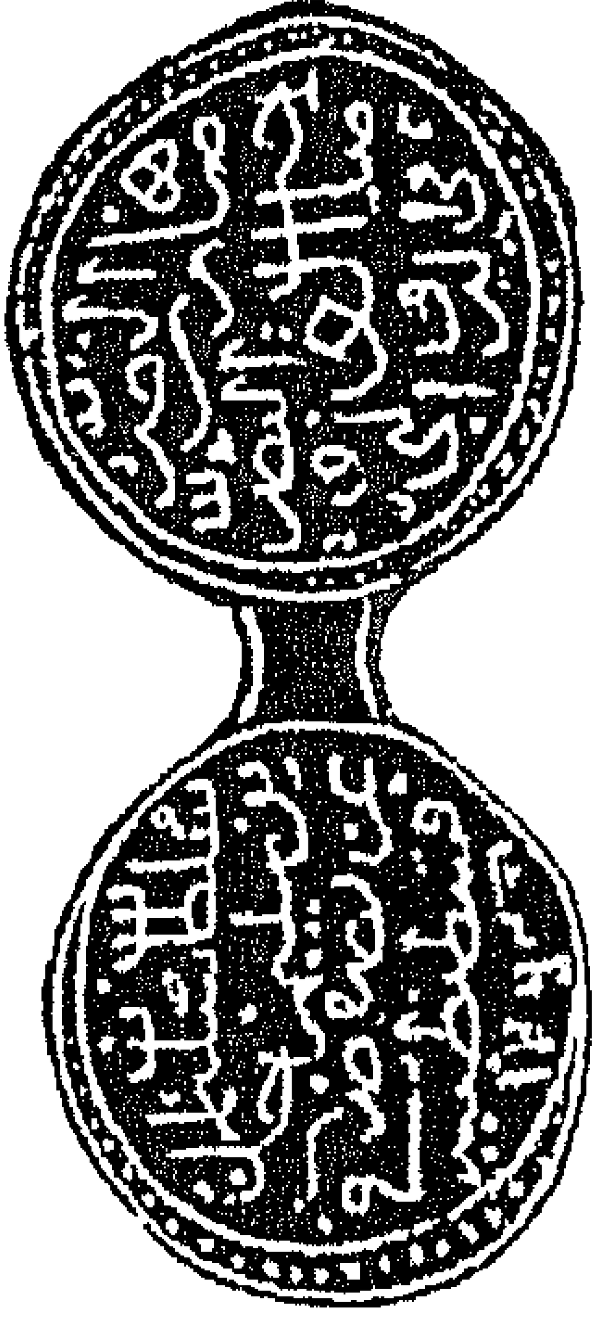
(١٦٤) الغـــزالى: كان من امراء السلطان الغورى بالشام. ولكنـــه خـانه وانضم للسلطان سليم شـاه فى مـوقعـه مـرج دابق، وهو يعـــرف باسم «جان برد الغزالى».

(١٦٥) ابن إياس هو: محمد بن أحمد بن إياس الحنفى. كـان جـده من مماليك الظاهر برقوق. وكان صديقاً وتلميذا لجلال الدين السيوطى. من كتبه [عقود الجمان فى وقائع الأزمان]، و[مرج الزهور] و[نزهة الأمم فى العـــجـائب والحكم]. ولد سنة ٨٥٢ هـ = ١٤٤٨م وتوفى سنة ٩٣٠ هـ = ١٥٢٤م.

(١٦٦) تاريخ القرمانى: لعل الجبرتى يقصد به مـؤلف [أخـبـار الدول وآثار الأول] وهو تاريخ عـام للبلاد الإسلامية فى المشرق والمغرب، مع مقدمة فى التاريخ القديم، والقرمانى هو: أبو العباس أحمد بن سنان بن يوسف بن أحمد الدمشقى القرمانى. عمل رئيسًا لديوان الأوقاف بدمشق حيث ولد سنة ٩٣٩ هـ = ١٥٣٢م.

(١٦٧) ابن زنبـــل: هو أحمد بن على بن أحمد بن زنبل: كـان يتعاطى النظر فى الرمل والنجامة فقيل له [الرمال]. من أهم مـؤلفاته [واقعة السلطان سليم مع السلطـــان قانصـوه الغورى]، و[المقالات فى السحـــر والرمل]. توفى عـام ٩٨٠ هـ = ١٥٧٢م.

عودة مصر إلى الحكم الاجنبى بعد الغزو العثمانى[١]



* نقـود المغـازى سليمـان (القانوني)

* المغازى سليمان يتولى السلطنة عام ٩٢٦ هـ = ١٥١٧ م.

وعادت مصر إلى النيابة [٢] كما كانت فى صدر الاسلام.

ولما خلص له [اى السلطان سليم] أمر مصر عفى عن من بقى من الجراكسة وابناءهم، ولم يتعرض لأوقاف السلاطين المصرية، بل قرر مرتبات الأوقاف والخيرات والعلوفات، وغلال الحرمين والأنبار، ورتب للأيتام والمشايخ والمتقاعدين (ص٤٨) ومصارف القلاع والمرابطين، وأبطل المظالم والمكوس والمغارم، ثم رجع إلى بلاده، وأخذ معه الخليفة العباسى وانقطعت الخلافة والمبايعة[٣]، واخذ معه ما انتقاه من أرباب الصنايع التى لم توجد فى بلاده، بحيث انه فقد من مصر نيف وخمسين صنعه[٤].

ولما توفى تولى بعده المغازى سليمان[٥] عليه الرحمة والرضوان. فأسس القواعد، وتمم المقاصد، ونظم الممالك، وأنار الحوالك، ورفع منار الدين، وأخمد نيران الكافرين. وسيرته الجميلة أغنت عن التعريف، وتراجمه مشحونة بها التصانيف. ولم تزل البلاد منتظمة فى سلكهم ومنقادة تحت حكمهم من ذلك الأوان الذى استولوا علينا فيه إلى هذا الوقت الذى نحن فيه، وولاة مصر نوّابهم، وحكامها أمراؤهم.

وكانوا [العثمانيون] فى صدر دولتهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفاء المهديين[٦] وأشد من ذبّ عن الدين، وأعظم من جاهد فى المشركين، فلذلك اتسعت ممالكهم بما فتح الله على أيديهم، وأيدى نوابهم. وملكوا أحسن المعمور من الارض، ودانت لهم الممالك فى الطول والعرض. هذا مع عدم إغفالهم الأمور، وحفظ النواحى والثغور، وإقامة الشعاير الإسلامية والسنن المحمدية، وتعظيم العلما وأهل الدين وخدمة الحرمين الشريفين، والتمسك فى الأحكام والوقايع بالقوانين والشرايع. فتحصنت دولتهم، وطالت مدتهم، وهابتهم الملوك، وانقاد لهم (ص٤٩) المالك والمملوك.



* سليمان المغازى/ القانونى

ومما يحسن [ايراده هنا(٧)] ما حكاه الاسحاقى فى تاريخه(٨): أنه لما تولى السلطان سليم ابن السلطان سليمان المذكور [كان(٩)] لوالده مصاحب يدعى شمسى باشا العجمى، ولا يخفى [ما بين(٩)] آل عثمان والعجم من العداوة المحكمة الأساس. فأقر السلطان سليم شمسى باشا العجمى مصاحبا على ما كان عليه أيام والده. وكان شمسى باشا المذكور له مداخل عجيبة، وحيل غريبة، يلقيها فى قالب مرضى، ومصاحبة يسحر بها العقول. فقصد أن يدخل شياءً منكرا يكون سببا لخلخلة دولة ال عثمان وهو قبول الرُشا(١٠) من أرباب الولاة والعمال، فلما تمكن من مصاحبة السلطان، قال له على سبيل العرض [اى المصادفة(١١)] عبدكم فلان المعزول من منصب كذا، وليس بيده منصب الآن، وقصده من فيض [فضلكم(١٢)] إنعامكم عليه بالمنصب الفلانى، ويدفع إلى الخزينة كذا وكذا. فلما سمع السلطان سليم ما أبداه شمسى باشا، علم أنها مكيدة منه، وقصده إدخال السو، بيت آل عثمان، فتغير مزاجه وقال له: يا رافضى(١٣)، تريد أن تدخل الرشوة بيت السلطنة حتى يكون ذلك سبباً لإزالتها. وأمر بقتله، فتلطف به، وقال له: يا باد شاه(١٤)، لا تعجل هذه وصيدة والدك لى. فإنه قال لى إن السلطان سليم صغير السن، وربما يكون عنده ميل للدنيا، فاعرض عليه هذا الأمر. فإن جنح إليه فامنعه بلطف، فإن امتنع فقل له هذه (ص٥٠) وصية والدك فدم عليها، ودعى له بالثبات. وخلص من القتل.

فانظر يا أخى، وتأمل فيما تضمنته هذه الحكاية من المعانى.وأقول بعد ذلك، يضيق صدرى ولا ينطق لسانى وليس الحال بمجهول حتى يفصح عنه اللسان بالقول شعر:

وقد أخر سنى العجز أن أفتح فما ... أفغير الله أبتغى حكما.

وكانوا قديما على صحة ... فقد داخلتْهُم حروفُ العِلل

* ٩٢٦ هـ/ ١٢٣٦ ق
١٥١٩ م.
غاية الفيضان:
١٨ ذراع، ٥ قيراط
فى صفر ٢٢ يناير ١٥٢٠ ساح مجلان أول سياحة حول الدنيا، ومكث لغاية سنة ١٥٢٢م □ فيها توفي رفائيل الرسيم الإيطاليانى الشهير □ فيها كان افتتاح مكسيكو لفرنندكورتز، وقيل فى سنة ٩٢٥ هجرية □ فيها اكتشف مجلان جزر «تيرادلفويجو».
فى ٢٤ بشنس (جماد ثان) ١٩ مايو وقف النيل عن الوفاء ثمانية أيام متوالية فاضطربت الناس من ذلك.
□ ١ تسوت ١٢٣٧ = ٢٩ اغسطس ١٥٢٠ = الأربع ١٥ رمضان سنة ٩٢٦.
□ فى ٩ شوال ١٤ سبتمبر توفى السلطان سليم خان، وعمره: ٥١ سنة، ومدة حكمه ٨ سنين وتسعة أشهر، وتسلطن بعده ولده السلطان سليمان خان.
□ فيها ضرب السلطان سليمان نقودا بالقسطنطينية.
٩٢٧ هـ.
١٢٣٧ ق.
١٥٢٠ م.
غاية الفيضان
١٩ ذراع ٢٣ قيراط
□ ١ يناير ١٥٢١ = ٦ طوبه ١٢٣٧ = الثلاث ٢١ محرم سنة ٩٢٧.
□ فى صفر / يناير افتتح السلطان سليمان الثانى بلغراد.
□ انشا خير بك جامع خير بك بالخير بكية بباب الوزير.
□ فى ربيع ثانى / مارس اكتشف مجلان جزائر

وفى اثناء الدولة العثمانية ونوابهم، وأمرايهم المصرية، ظهر فى عسكر مصر سُنة جاهلية، وبدعة شيطانية زرعت فيهم النفاق، وأسست فيما بينهم الشقاق، ووافقوا فيها أهل الحوف[١٥] اليام فى قولهم سعد وحرام. وهوان الجند باجمعهم اقتسموا قسمين، واحتزبوا بأسرهم حزبين، فرقة يقال لها فقارية وفرقة يقال لها قاسمية[١٦]. ولذلك أصل مذكور، وفى بعض سير المتأخرين مسطور، لا باس بايراده فى المسامرة، تتميما للغرض فى مناسبة المذاكرة.

وهو أن السلطان سليم شاه لما بلغ من مُلك الديار المصرية مناه، وقتل من قتل من الجراكسة، وسامهم فى سوق المواكسة، قال يوما لبعض جلسايه وخاصته وأصدقائه: يا هل ترى هل بقى أحد من الجراكسة لم نره؟، وسؤال من جنس ذلك (ص٥١) ومعناه. فقال له خيربك: نعم ايها الملك العظيم هنا رجل منّا قديم يسمى بسودون الأمير، طاعن فى السن كبير، رزقه الله تعالى بولدين شهمين بطلين لا يضاهيهما أحد فى الميدان، ولا يناظرهما فارس من الفرسان، فلما حصلت هذه القضية تنحى عن المقارشة بالكلية، وحبس ولديه بالدار وسدّ أبوابه بالأحجار، وخالف العادة، واعتكف على العبادة. وهو إلى الآن مستمر على حالته، مقيم فى بيته وراحته. فقال السلطان: هذا والله رجال عاقل، خبير كامل ينبغى لنا أن نذهب لزيارته، ونقتبس من بركته وإشارته[١٧]. قوموا بنا جملة تذهب إليه على غفلة لكى نحقق المقال، ونشاهده على اى حال هو من الاحوال. ثم ركب فى الحال ببعض الرجال إلى أن توصل إليه ودخل عليه فوجده جالسا على مسطبة الإيوان، وبين يديه المصحف، وهو يقرأ القرآن. وعنده خدم وأتباع، وعبيد ومماليك أنواع. فعندما عرف انه السلطان بادر لمقابلته بغير توان، وسلم عليه، ومثل بين يديه. فأمره بالجلوس، ولاطفه بالكلام المأنوس، إلى أن اطمأنّ خاطره، وسكنت ضمايره. فساله عن سبب عزلته، وعدم اجتماعه بخلطته وعشيرته. فأجابه: أنه لما رأى فى دولتهم انحلال الأمور وترادف الظلم

الفليبية وجزائر لادرون
□ فى جماد أول/ إبريل نودى فى القاهرة بأن الأشرفى الذهب يصرف بخمسة وأربعين نصفا، وقيل بخمسة وأربعين عثمانيا، وفى البيع والشراء بخمسة وأربعين نصفا، فسكن الاضطراب
□ ١ تسوت ١٢٣٨ = ٢٩ اغسطس ١٥٢١ = الخميس ٢٥ رمضان سنة ٩٢٧

* أصل ظهور القاسمية والفقارية عام ١٠٥٠ هـ = ١٦٤٠ م
* قصة الأمير سودون وانقسام مصر إلى قاسمية وفقارية

□ ٩٢٨ هـ
١٢٣٨ ق
١٥٢١ م
□ غاية الفيضان
١٨ ذراع ٢١ قيراط
□ فيها أمرت التجار أن لا تتعامل إلا بالدراع العثمانى، وابطلوا الذراع الهاشمى
□ ١ يناير سنة ١٥٢٢ = ٦ طوبه سنة ١٢٣٨ = الأربع ٢ صفر سنة ٩٢٨
□ فى أول ربيع أول / ٢٩ يناير افتتح سليمان الثانى جزيرة رودس.
ونودى فى القاهرة بأن الدينار السليمى شاهي يصرف بأربعين نصفا فضة من الفضة العتيقة، والدينار السليمانى بخمسة وستين نصفا فضة □ فيها توفى خيير بك باشا، بمرض جلدى، ودفن فى المدرسة التى تدعى الخيربكية التى كان بناها فى القاهرة بشارع درب الوزير، تحت القلعة.

والجور، وأن سلطانهم مستقل برأيه، فلم يصغ إلى وزير، ولا عاقل مشير، وأقصى كبار دولته، وقتل (ص٥٢) اكثرهم بما أمكنه من حيلته، وقلد مماليكه الصغار مناصب الأمرا الكبار. ورخّص لهم بما يفعلون، وتركهم وما يفترون. فسعوا بالفساد، وظلموا العباد، وتعدوا على الرعية حتى فى المواريث الشرعية. فانحرفت عنه القلوب، وابتهلوا إلى علام الغيوب. فعلمت أن أمره فى إدبار، ولابد لدولته من الدمار. فتنحيت عن حال الغرور، وتباعدت عن نار الشرور، ومنعت ولدى من التداخل فى الأهوال، وحبستهما عن مباشرة القتال خوفا عليهما، بما أعلمه [فيهما[١٨]] من الأقدام، فيصيبهما كغيرهم من البلاء العام. فإن عموم البلاء منصوصٌ، واتقاء الفتن بالرحمة مخصوصٌ. ثم أحضر ولديه المشار إليهما، وأخرجهما من محبسهما. فنظر إليهما السلطان، فرأى فيهما مخايل الفرسان الشجعان. وخاطبهما، فأجاباه بعبارة رقيقة، وألفاظ رشيقة، ولم يخطينا فى كل ما سالهما فيه، ولم يتعديا فى الجواب فضل التشبيه والتنبيه. ثم أحضروا ما يناسب المقام، من موايد الطعام. فأكل وشرب، ولذّ وطرب، وحصل له مزيد الإنشراح، وكمال الإرتياح. وقدّم الأمير سودون إلى السلطان تقادم وهدايا، وتفضل عليه الخان أيضا بالإنعام والعطايا، وأمر بالتوقيع لهم حسب مطالبهم، ورفع درجة منازلهم ومراتبهم. ولما فرغ من تكرُّمه وإحسانه، ركب عايدا إلى مكانه، وأصبح (ص٥٣) ثانى يوم ركب السلطان مع القوم، وخرج إلى الخلا، بجمع من الملا، وجلس ببعض القصور، ونبه على جميع أصناف العساكر بالحضور. فلم يتأخر منهم أميرُ ولا كبير ولا صغير. وطلب الأمير سودون وولديه، فحضروا بين يديه، فقال لهم: اتدرون لم طلبتكم، وفى هذا المكان جمعتكم؟ فقالوا لا يعلم ما فى القلوب، إلا علامُ الغيوب. فقال: إريد أن يركب قاسم وأخوه ذو الفقار، ويترامحا ويتسابقا بالخيل فى هذا النهار. فامتثلا أمره المطاع، لأنهما صارا من الجند والأتباع، فنزلا وركبا ورمحا ولعبا، وأظهرا من أنواع الفروسية

□ ١ تسوت ١٢٣٩ = ٢٩ اغسطس ١٥٢٢ = الجمعة ٦ شوال ٩٢٨.
□ فى ذى القعدة ٢٢ سبتمبر كانت البضائع تباع بسعرين، سعر بالفضة الجديدة وسعر بالفضة العتيقة.
□ فى ذى الحجة ٢٢ أكتوبر تولى مصر مصطفى باشا، ولم يمكث كثيرا.

□ ٩٢٩ هـ / ١٢٣٩ ق/ ١٥٢٢ م.
□ ١ يناير ١٥٢٣ = ٦ طوبة ١٢٣٩ = الخميس ١٣ صفر ٩٢٩.
□ فى أول ربيع أول ١٨ يناير ١٥٢٣ أبدل والى مصر مصطفى باشا بأحمد باشا، الذى كان صدرا عظيمًا للسلطان سليم، فلما تولى ولده السلطان سليمان جعل فى الصدارة إبراهيم باشا ونقل أحمد باشا إلى ولاية مصر، وكانا أعداء لبعضهما.
□ فى جماد ثان ١٧ إبريل استولت الفرنساوية على كندا.
□ ١ تسوت ١٢٤٠ = ٣٠ أغسطس ١٥٢٣ = الأحد ١٨ شوال ٩٢٩.

□ ٩٣٠ هـ/ ١٢٤٠ ق. ١٥٢٣ م.
□ ١ يناير ١٥٢٤ = ٥ طوبه ١٢٤٠ = الجمعة ٢٣ صفر سنة ٩٣٠.
□ فى ربيع اول ٨ يناير ١٥٢٤ أسر الصدر الأعظم لأمراء القاهرة بقتل أحمد باشا الوالى، فقبض على التحارير قبل أن تصل لأصحابها، ثم استدعاهم وأخبرهم أنها أوامر

الفنون، حتى شخصت فيهما العيون، وتعجب منهما الاتراك لأنهم ليس لهم في ذلك الوقت إدراك، ثم اشار إليهما فنزلا عن فرسيهما، وصعدا إلى اعلا المكان، فخلع عليهما السلطان وقلدهما إمارتان، ونوه بذكرهما بين الاقران، وتقيدا بالركاب، ولازماه في الذهاب والإياب. ثم خرج في اليوم الثاني، وحضر الأمراء والعسكر المتواني، فأمرهم أن ينقسموا بأجمعهم قسمين، وينحازوا بأسرهم فريقين، قسم يكون رئيسهم ذو الفقار، والثاني قاسم الكرار، وأضاف إلى الفقار أكثر العثمانين، وإلى قاسم اكثر الشجعان المصريين[١٩]، ومَيز الفقارية بلبس الأبيض من الثياب، وأمر القاسمية أن يتميزوا بالاحمر في الملبس والركاب. وأمرهم أن يركبون في الميدان على هيئة المتحاربين، وصورة المتنابذين (ص٥٤) المتخاصمين، فأذعنوا بالانقياد، وعلوا على ظهر الجياد، وأنحدروا كالسيل، وانعطفوا متسابقين، ورمحوا متلاحقين، وتناوبوا في النزال، واندفعوا كالجبال، وساقوا في الفجاج، وأثاروا العجاج، ولعبوا بالرماح،، وتقابلوا بالصفاح، وارتفعت الأصوات، وكثرت الصيحات، وزادت الهيازع[٢٠]، وكثرت الزعازع، وكاد الخرق يتسع على الراقع، وقرب أن يقع القتل والقتال، فنودى فيهم عند ذلك بالانفصال. فمن ذلك اليوم افترقوا أمرا مصر وعساكرها فرقتين، واقتسموا بهذه الملعبة حزبين، واستمر كلٌّ منهم على محبة اللون الذى ظهروا فيه، وكره اللون الآخر في كل ما يتقلبون فيه، حتى أواني المتناولات والمأكولات والمشروبات. والفقارية يميلون إلى نصف سعد والعثمانيين. والقاسمية لا يألفون إلا نصف حرام والمصريين. وصار فيهم قاعدة لا يتطرقها اختلال، ولا يمكن الانحراف عنها بحال من الأحوال. ولم يزل الأمر يفشو ويزيد، ويتوارثه السادة والعبيد، حتى تجسم ونما، وأهرقت فيه الدما. فكم خرِّبت بلاد، وقتلت أمجاد، وهدمت دور، وأحرقت قصور، وسبيت أحرار، وقهرت أخيار.

ولـرُبَّ لـذةِ سـاعـة قـد أورثت حـزنا[٢١] طـويـلا

من السلطان قاضية بقتلهم ثم صرح باستقلاله وأمر أن يخطب له وأن تضرب النقود باسمه، فثارت الأفكار عليه.
□ في ٦ رجب ولادة السلطان سليم الثاني، ابن السلطان سليمان خان
□ في أول شعبان كان أحمد باشا في الحمام فجاءه أميران، كان أمر بسجنهما وخرجا رافعين العلم السلطاني، ففر الباشا من السطح والتجأ إلى أحد مشايخ عربان الشرقية، واسمه ابن بقر، فتعقبوه وقطعوا رأسه وعلقوها على باب زويلة □ فيها أرسل السلطان قاسم باشا واليا على مصر، بدلا من أحمد باشا.
□ ١ توت سنة ١٢٤١ = ٢٩ أغسطس ١٥٢٤ = الاثنين ٢٨ شوال سنة ٩٣٠.

□ ١٩٣١ هـ/ ١٢٤١ ق. ١٥٢٤ م.
□ في محرم ٢٩ أكتوبر كان انهزام الفرنساوية في إيطاليا.
□ في صفر ٢٨ نوفمبر ارسلت رأس أحمد باشا إلى الاستانة.
□ ١ يناير ١٥٢٥ = ٦ طوبة ١٢٤١ = الأحد ٦ ربيع أول سنة ٩٣١.
□ بعد تسعة أشهر و١٤ يومًا استبدل السلطان قاسم باشا بالصدر الأعظم إبراهيم باشا، وكان نشيطًا محبا للاصلاح.
□ في ١٤ جمساد ثان ٢٦ مارس حصل صلح كراكو في بين البروسيا وبولونيا.
□ ١ توت ١٢٤٢ = ٢٩ اغسطس ١٥٢٥ = الثلاث ١٠ ذو القعدة سنة ٩٣١.

وقيل [غير(٢٢)] ذلك، وإن أصل القاسمية ينسبون إلى قاسم بك الفتردار تابع مصطفى بك (ص٥٥) والفقارية نسبة إلى ذى الفقار بك الكبير. وأول ظهور ذلك من سنة خمسين والف، والله أعلم بالحقايق، [فقد(٢٣)] اتفق أن قاسم بك المذكور أنشأ فى بيته قاعة جلوس، وتأنق فى تحسينها، وعمل فيها ضيافة لذى الفقار بيك امير الحاج المذكور، فأتى اليه وتغدى عنده بطايفة قليلة، ثم قال له ذو الفقار بيك، وأنت أيضا تضيفنى فى غد. وجمع ذو الفقار مماليكه فى ذلك اليوم، صناجق(٢٤) وأمراء واختيارية فى الوجاقات(٢٥) وحضر قاسم بك بعشرة من طايفته واثنين خواسك(٢٦) خلفه، والسعاة والسراج(٢٧)، فدخل عنده فى البيت، وأوصى ذو الفقار أن لا أحد يدخل عليهما إلا بطلب. إلى أن فرشوا السماط، وجلس صحبته على السماط، فقال قاسم بيك، حتى يقعدوا الصناجق والاختيارية. فقال ذو الفقار: إنهم يأكلوا بعدنا، هولا جميعهم مماليكى، عندما أموت يترحمون علىّ ويدعون لى، وأنت قاعتك تدعوا لك بالرحمة لكونك ضيعت المال فى الماء والطين. فعند ذلك تنبه قاسم بك، وشرع ينشى إشراقات(٢٨) كذلك.

وكانت الفقارية موصوفة بالكثرة والكرم، والقاسمية بكثرة المال والبخل، وكان الذى يتميز به أحد الفريقين من الآخر إذا ركبوا فى المواكب أن يكون (٢٩) بيرق الفقارى أبيض، ومزاريقه(٣٠) برمانه(٣١)، وبيرق القاسمية أحمر، ومزاريقه بجلبة(٣٢). ولم يزل الحال على ذلك [حتى استهل القرن الثانى عشر(٣٣)].

وقايع القرن الثانى عشر الهجرى(٣٤)

(ص٥٦) واستهل القرن الثانى عشر، وأمراء مصر [فريقين(٣٥)]، فقارية وقاسمية. فالفقارية: ذو الفقار بيك (٣٦)، وابراهيم بيك امير

□ ٩٣٢ هـ/ ١٢٤٢ ق. ١٥٢٥ م.
□ ١ يناير ١٥٢٦ = ٦ طوبة ١٢٤٢ = الاثنين ١٧ ربيع أول سنة ٩٣٢.
□ ربيع ثانى ١٥ يناير ١٥٢٦ حصل صلح مدريد بين فرانسو الأول وشارلكان.
□ فى جماد أول ١٣ فبراير انتصر السلطان سليمان الثانى على المجر فى موهاكتر.
□ فى جماد ثانى ١٥ مارس افتتح سيزار بلاد بيرو.
□ فى ٨ شعبان ١٣ مايو معاهدات كونياك بين فرانسو الأول وأقاليم إيطاليا ضد شارلكان.
□ ١ تسوت ١٢٤٣ = ٢٩ أغسطس ١٥٢٦ = الأربع ٢١ ذو القعدة سنة ٩٣٢.

□ ٩٣٤ هـ/١٢٤٤ ق. ١٥٢٧ م.
□ ١ يناير ١٥٢٨ = ٥ طوبه ١٢٤٤ = الأربع ٨ ربيع الثانى سنة ٩٣٤.
□ فى جماد أول ٢٣ يناير ١٥٢٨ كانت تجريدة الفرنساوية وحملتها على نابولى.
□ فى جماد ثانى ٢٢ فبراير قاس فرنيل قوسا من الخط الجنوبى.
□ فى رجب ٢٢ مارس اكتشف اندريه فيداثينا، الاسبانيولى، بلاد غينا الجديدة.
□ ١ تسوت ١٢٤٥ = ٢٩ اغسطس ١٥٢٨ السبت ١٣ ذو الحجة سنة ٩٣٤.

□ ٩٣٥ هـ/ ١٢٤٥ ق. ١٥٢٨م.

الحـاج[٣٧]، ودرويش بيك[٣٨]، واسماعيل بيك[٣٩]، ومـصطفى بيك قـزلار[٤٠]، وأحمدبيك قزلار بجدة، [ويوسف بك القرد[٤١]]، وسليـمان بيـك بـارم ديلـه[٤٢]، ومرجان جوز بيك كـان اصله قهوجى السلطان مـحـمـد[٤٣]، عملوه صنجقا فقارى بمصر. الجميع تسعة وامير الحاج منهـم. والقـاسـمـيـة: مراد بيك الدفتـردار[٤٤] ومملوكـه أبو ظبـيك، وابراهيم أبو شنب[٤٥]، وقـانصـوه بيك[٤٦]، واحمـد بيك منوفية[٤٧]، وعبد الله[٤٨].

ونواب مصر من طرف السلطان سليمان بنى عثمان[٤٩] فـى أوايـل القرن، حسن باشا السلحدار سنة تسعة وتسعين والف [حتى[٥٠]] سنة ماية وواحد بعد الألف، والسلطان فى ذلك الوقت السلطان سليمان بن ابراهيم خـان[٥١]. وتقلد ابراهيم بيك أبو شنب إمارة الحاج، وإسماعيل بيك دفتردار، وذلك سنة تسع وتسعين.

وفى اواخر الحجة سنة تسع وتسعين والف حصلت واقعة عظيمة بين ابراهيم بيك ابن ذو الفـقـار وبين العـرب الـحـجـازيين خلف جـبل الجـيـوش[٥٢]، وقتلوا كثيراً من العرب، ونهبوا أرزاقهم ومواشيهم، وأحضر منهم أسرى كثيرة. ووقفت العرب فى طريق الحج تلك السنة بالشرقية (ص٥٧) فقتل من الحاج خلقا كثيرا، وأخذوا نحو الف جمل بأحمـالها، وقتلوا خليل كَتْخُداى الحج. فعين عليهم خمسة أمراء صناجق، فوصلوا إى العقبة[٥٣]، وهرب العربان.

وفى ايامـه [٥٤] سافر الفان شخص من العسكر، والبسوا عليهم[٥٥] مصطفى بيك طكوزجلان، وسافروا إلى أدرنه [٥٦]فى غـرة جـمـادى الاول سنة مابة والف [١٦٨٨م.].

وفى رابع جمادى الثانى خنق الباشا كتخداه بعد أن أرسله إلى دير الـطـين[٥٧] على أنه يتوجه إلى جرجا لتحصيل الغلال، وذلك لذنب نقمة عليه.

وفى شعبان نقب المحابيس العرقانه[٥٨]، وهرب المسجونين منها.

□ ١ يناير ١٥٢٩ = ٦ طوبه ١٢٤٥ = الجمعة ٢٠ ربيع الثانى ٩٣٥.

□ فى جمـاد أول ١١ يناير ١٥٢٩ عاد السلطان سليمان إلى بلاد المجر وتوغل حتى دخل بلاد النمسا وحاصر مدينة فينا فجبرته مقاومة المحصورين على الانصراف والرجعة.

□ فى جماد ثانى ١٠ فبراير أقامت مسيحو الاصلاح الحجة على مقاوميهم، واطلاق لقب البروتستانت عليهم.

□ ٢٩ القعدة ٩ مايو كانت معاهدة كامبرى، المسماة بصلح السيدات، لأنها تمت بواسطة لويزة، سيدة سافاوا ومرجريته، سيدة أوستريا، وهى بين فرانسوا الأول وشارلكان، مصدقة على صلح ٩٣٢.

□ ١ تسوت ١٢٤٦ = ٢٩ اغسطس ١٥٢٩ = الأحد ٢٤ ذو الحجة سنة ٩٣٥.

٧٣ نيابة حسن باشا السلحدار. مدته ١٢ ربيع ثان ٥/١٠٩٩ ذى الحجة ١١٠٠ هـ = ١٥ فبراير ٢٠/١٦٨٨ سبتمبر ١٦٨٩م.

* غارات البدو الحجازيين عام ١٠٩٩ هـ. ونهب الحجاج.

٩٣٦ هـ
١٢٤٦ ق.
١٥٢٩ م.
□ فى محرم / سبتمبر كان ثمن الجمال، التى تشترى لسفر الحجاز، كل جمل ٢٨٠ نصفًا فضة، وكانت عدة الجمال المعدة لذلك ٦٦٤ جملاً.
□ ١ يناير ١٥٣٠ = ٦ طوبة ١٢٤٦ = السبت غرة جماد أول سنة ٩٣٦.
□ فى جمال أول/ يناير كان تأسيس المدرسة والمطبعة الملوكية بفرنسا.
□ فى جماد ثان/ يناير كان استيلاء كافاليرة رودس على مالطة.

وفى أيامه غلت الأسعار مع زيادة النيل وطلوعه فى أوانه على العادة.

* ١١٠٠ هـ = ١٦٨٨ م.

* عزل حسن باشا

ثم عُزل حسن باشا ونزل إلى بيت محمد بيك حاكم جرجا المقتول(٥٩)، وتولى قيطاس بيك قايم مقام(٦٠). فكانت مدته هذه المرة سنة واحدة وتسعة أشهر.

٧٤ نيابة أحمد باشا : مدته ١٦ محرم ١١٠١/ ١٢ جماد ثان ١١٠٢ هـ = ٢٠ أكتوبر ١٦٨٩/ ١٣ مارس ١٦٩٠ م.

ثم تولى أحمد باشا(٦١)، وكان سابقا كتخدا ابراهيم باشا(٦٢) الذى مات بمصر، وحضر أحمد باشا عن طريق البر، وطلع إلى القلعة(٦٣) فى سادس عشر المحرم سنة احدى ومايه وألف. ووصل أغا(٦٤) بطلب الفين عسكرى، وعليهم صنجقا يكون عليهم سردارا(٦٥)، فعينوا مصطفى بيك حاكم جرجا سابقا، وسافر فى منتصف جمادى [الآخرة(٦٦)]. وفى هذا التاريخ سافرت تجريدة (٦٧) عظيمة إلى ولاية البحيرة والبهنسا(٦٨) وعليهم صنجقان. وتوجهوا فى ثانى عشر جمادى الآخر (ص٥٨) وسافر أيضا خلفهم اسماعيل بيك، وجميع الكشاف(٦٩)، ،كتخدا الباشا، واغوات البلكات(٧٠) وكتخدا الجاويشية وبعض اختيارية، وحاربوا ابن وافى وعربانه(٧١) مراراً. ثم وقعت بينهم وقعة كبيرة، فهُزِم فيها الأحزاب(٧٢)، وولوا منهزمين نحو الغرق(٧٣). وأما قيطاس بيك وحسن أغا بلفيا(٧٤)، وكتخدا الباشا فإنهم صادفوا جمعا من العرب فى طريقهم فأخذوهم، ونهبوا مالهم، وقطعوا منهم رءوس، ثم حضروا إلى مصر(٧٥).

وفى ايامهم كانت وقعة ابن غالب [شريف(٧٦)] مكة، ومحاربته بها مع محمد بيك حاكم جدة، فكانت الهزيمة على الشريف. وتولى السيد محسن ابن حسين بن زيد إمارة مكة، ونودى بالأمان بعد حروب كثيرة، وزينت مكة ثلاثة أيام بلياليها وذلك فى منتصف رجب. ومرض احمد باشا وتوفى ثانى عشر جمادى الآخر سنة اثنين وماية والف ودفن بالقرافة. فكانت مدته سنة واحدة وستة اشهر.

* وفاة أحمد باشا. ١١٠٢ هـ = ١٦٩٠ م.

ومن مآثره ترميم الجامع المؤيدى(٧٧)، وقد كان تداعى إلى السقوط، فأمر بالكشف عليه، وعمره ورمّه.

* وفاة قيطاس بك الدفتردار.

وفى رابع عشر رجب توفى قيطاس بيك الدفتردار(٧٨).

وفى ثانى يوم حضر قانصوه بيك [٧٩] تابع المتوفى من سفره بالخزينة[٨٠]، مكان كتخدا الباشا المتولى قائمقام بعد موت سيده. فألبس قانصوه بك دفتردار. ثم ورد مرسوم بولاية على كتخدا الباشا[٨١] قائمقام، وأذن بالتصرف (ص٥٩) إلى آخر مسرى[٨٢]. فكانت مدة تصرفه أربعة وتسعين يوما.

٧٥ نيابة على باشا مدته ١٢ رمضان ١١٠٢ / ٨ محرم ١١٠٧ هـ = ٢٨ مايو ١٦٩١ / ١٩ أغسطس ١٦٩٥ م.

ثم تولى على باشا، وحضر من البحر إلى القلعة فى ثانى عشر رمضان سنة اثنتين ومائة والف، وحضر صحبته تترخان، وأقام بمصر إلى أن توجه إلى الحج، ورجع على طريق الشام.

وفى ثانى عشر القعدة حضر قرا سليمان من الديار الرومية[٨٣]، ومعه مرسوم مضمونه الخبر بجلوس السلطان أحمد ابن السلطان ابراهيم [٨٤]. فزينت مصر ثلاثة أيام، وضربت مدافع من القلعة.

* جلوس السلطان أحمد بن السلطان إبراهيم.
١١٠٣ هـ.
١٤٠٨ ق.
١٦٩١ م.

□ فى محرم / سبتمبر كان انتهاء الحرب فى ارلانده وتسليم ليمرك للملك ويليم □ فيها رصد لامستدان ميل الكسوفية وقال إنه ٢٣ درجة و٢٨ دقيقة و٣٢. ثانية □ فيها اكتشف كاسينى تبطيط المشترى.
□ ١ ينساير ١٦٩٢ = ٢٥ كيهك ١٤٠٨ = الثلاث ١١ ربيع الثانى ١١٠٤.
□ فى جماد أول / يناير نودى بشوارع مصر أن القنطار الصابون بأربعمائة نصف فضة، وأن الشريفى المحمدى يصرف بخمسة وتسعين نصفا بالديوانى، والريال بخمسة وخمسين نصفا، والشريفى البندقى بمائة نصف.
□ ١ توت سنة ١٤٠٩ = ٨ سبتمبر ١٦٩٢ = الاثنين ٢٦ ذو الحجة ١١٠٣.

وفى ثالث عشر صفر سنة ثلاث ومائة والف، ورد نجاب[٨٥] من مكة، وأخبر بأن الشريف سعد تغلب على محسن، وتولى إمارة مكة، فأرسل الباشا عرضا[٨٦] إلى السلطنة بذلك.

وفى ثامن [عشر] ربيع أول، ورد مرسوم مضمونه ولاية نظر الدشايش والحرمين [٨٧] لأربعة من الصناجق، فتولى إبراهيم بك ابن ذى الفقار أمير الحاج حالاً عوضاً عن أغات مستحفظان، ومراد بك الدفتردار على المحمدية عوضاً عن كتخدا مستحفظان، وعبد الله بك على وقف الخاصكية عوضا عن كتخدا الغرب، واسماعيلل بيك على أوقاف الحرمين عوضاً عن باش جاويش مستحفظان، فألبسهم على باشا قفاطين على ذلك.

وفى مستهل رمضان من السنة حضر من الديار الرومية الشريف سعد بن زيد بولاية مكة، وتوجه إلى الحجاز.

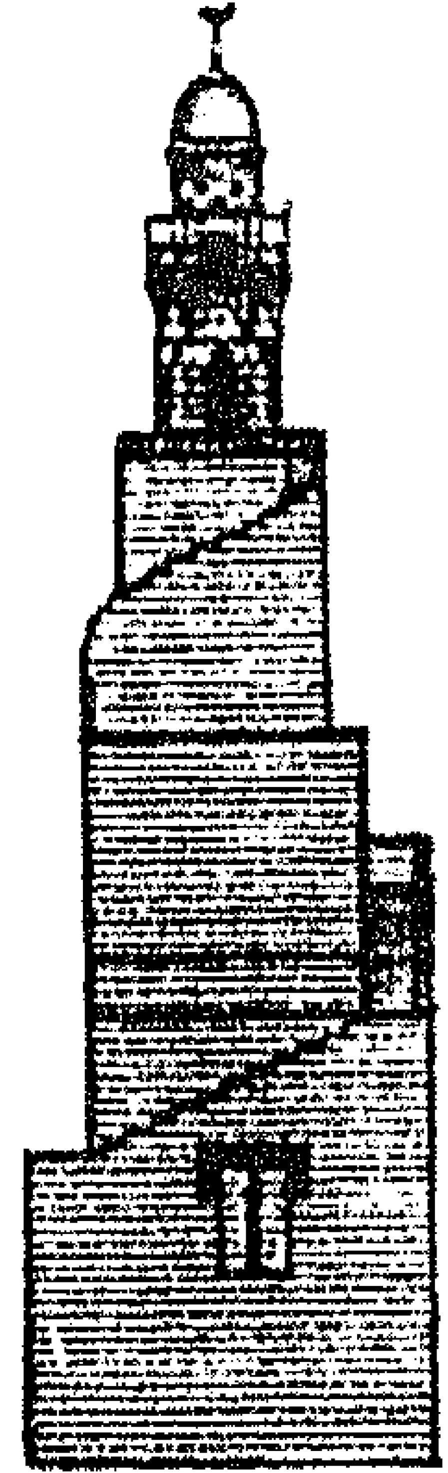
وفى شهر شوال سافر على كتخدا أحمد باشا (ص٦٠) المتوفى إلى الروم. وفى تاريخه تقلد إسماعيل بك الدفتردارية عوضاً عن مراد بيك. وفى ثالث عشر شوال، قتل جلب خليل كتخدا مستحفظان

* فتنة كـجك محمد.

ببـابهم[٨٨]. وحصلت في بابهم فتنة أثارها كجك محمد، وأخرجوا سليم افندى من بلكهم، ورجب كتخدا، وألبسوهما الصنجقية في ثالث عشرينه.

وأبطل كجك محمد[٨٩] الحمايات[٩٠] من مصر باتفاق السبع بلكات، وأبطلوا جميع ما يتعلق بالعزب والانكشارية من الحمايات بالثغور وغيرها، وكتب بذلك بيورلدى[٩١]، ونادوا به في الشوارع.

وفي غرة القعدة قبض الباشا على سليم أفندى وخنقه بالقلعة، ونزل إلى بيته محمولاً في تابوت. وتغيب رجب كتخدا، ثم استعفى من الصنجقية، فرفعوها عنه وسافر إلى المدينة.



منارة ابن طولون

وفي ثامن عشر ربيع الاول ورد مرسوم بتزيين الأسواق بمصر وضواحيها بمولودين توأمين رزقهما السلطان أحمد سُمّي أحدهما: سليمان والآخر إبراهيم.

وفي ثاني عشر شعبان سافر حسين بك أبو يدك[٩٢] بالف نفر من العسكر لاحقاً بإبراهيم بك أبى شنب. وقد كان سافر في اواخر ربيع الاول لقلعة كريد[٩٣].

* ١١٠٥ هـ = ١٦٩٣م.

وفي ثاني عشر رمضان سنة خمس ومائة والف، الموافق لحادى عشر بشنس، هبت ريح شديدة وتراب أظلم منه الجو، وكان الناس في صلاة الجمعة، فظن الناس أنها القيامة، وسقطت المركب[٩٤] التي على منارة (ص٦١) جامع طولون، وهدمت دور كثيرة.

واستهلت سنة ست [ومائة والف]

* ١١٠٦ هـ = ١٦٩٤م.

* وقـوع الغـلاء بسـبب انخفاض الفيضان وحدوث الـ...

وقصر مد النيل تلك السنة وهبط بسرعة فشرقت الأراضى، ووقع الغلاء والفناء. وفي شهر الحجة سافر أناس من مكة إلى دار السلطنة، وشكوا من ظلم الشريف سعد، فعين إليه محمد بك نايب جدة، واسماعيل باشا نايب الشام[٩٥]، فوردا بصحبة الحاج، فتحاربوا معه،

ونزعوه، ونهب العسكر منزله، وولوا الشريف عبد الله بن هاشم على مكة. ثم بعد عود الحجاج رجع سعد وتغلب، وطرد عبد الله بن هاشم. وفى هذه السنة وقعت مصالحات فى المال الميرى بسبب الرى والشراقى[٩٦].

* جلوس السلطان مصطفى ابن محمد عام ١١٠٧ هـ = ١٦٩٥م.

وفى ثانى عشر رجب سنة ست ومائة والف ورد الخبر بجلوس السلطان مصطفى ابن محمد[٩٧].

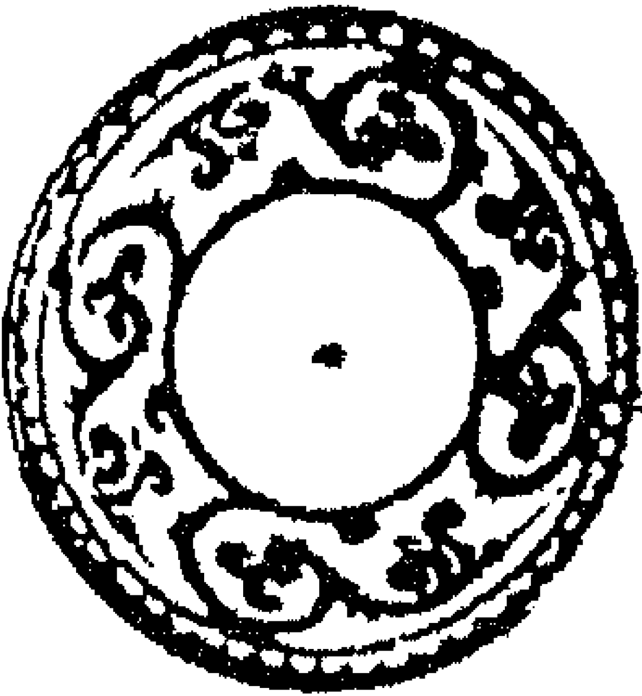
وفى ثانى عشر شعبان طلع أحمد بك بموكب مسافراً باشى على ألف عسكر [ى] إلى انكروس[٩٨]، وطلع بعده أيضاً فى سابع عشرينه إسماعيل بك بألف عسكرى لمحافظة رودس بموكب إلى بولاق. فأقام بها ثلاثة أيام ثم سافر إلى الاسكندرية.

وفى رابع شعبان ورد مرسوم بضبط اموال نذير أغا، وإسماعيل إغا الطواشيه[٩٩]، فسجنوهما بباب مستحفظان[١٠٠]، وضبطوا أموالهما وختموها.

* أرباب الأوقاف والعلماء والمجاورون بالأزهر يتظاهرون بسبب تأخر خراج الأوقاف والرزق المرصود عليهم والغلاء.

وفى خامس شوال أنهى أرباب الأوقاف والعلما والمجاورون بالأزهر إلى على باشا امتناع الملتزمين من دفع خراج (ص٦٢) الأوقاف، وخراج الرزق المرصدة على المساجد، وما يلزم من تعطيل الشعائر، فأمر الملتزمين بدفع ما عليهم من غير توقف فامتثلوا.

وفى شوال أرسل الباشا إلى مراد بك الدفترداد يعمل جمعية[١٠١] فى بيته بسبب غلال الأنبار، فاجتمعوا وتشاوروا فى ذلك. فوقع التوافق أن البلاد الشراقى تبقى غلالها إلى العام القابل. وأما الرى فيدفع ملتزموها ما عليم، وأخذوا أوراقا بيعت بالثمن، اشتراها الملتزمون من أرباب الاستحقاق عن الجراية ماية وخمسون نصفاً. وغلَق[١٠٢] الملتزمون ما عليهم بشراء الوصولات.



وفى ثانى عشر شوال ورد الخبر من منفلوط بأن الشريف فارس بن اسماعيل التيتلاوى قتل عبد الله بن وافى شيخ عرب المغاربة.

وفى حادى عشر القعدة، ورد أغا بمرسوم بجمع متاع نذير أغا

واسماعيل أغا المعتقلين وضبط أثمانها، ماعدا الجواهر والذخاير التى اختلسوها من السرايا، فانها تبقى بأعيانها، وأن يفحص عن أموالهما، وأماناتهما، وأن يسجنا فى قلعة الينكجرية (١٠٣). ففعل بهم ذلك، وبلغ أثمان المبيعات الفاً واربعماية كيس، خلاف الجواهر والذخاير، فإنها جهزت مع الأموال صحبة الخزينة على يد سليمان بك كاشف ولاية المنوفية.

[واستهلت سنة سبع ومابة والف]

* ١١٠٧ هـ = ١٦٩٥م.

وفى [غرة] المحرم سنة سبع ومائة والف(١٠٤)، اجتمع الفقرا والشحاذون رجالاً ومن نسا وصبيان (ص٦٣) وطلعوا إلى القلعة، ووقفوا بحوش الديوان، وصاحوا من الجوع، فلم يجبهم أحد، فرجموا بالأحجار. فركب الوالى وطردهم، فنزلوا إلى الرُميْلة، ونهبوا حواصل الغلة التى بها، ووكالة القمح، وحاصل كتخدا الباشا، ،كان ملآنا بالشعير والفول، وكانت هذه الحادثة ابتدا الغلا حتى بيع الاردب القمح بستماية نصف فضه، والشعير بثلثماية، والفول باربعماية وخمسين. والارز بثمانماية نصف فضه. وأما العدس فلا يوجد. وحصل شدة عظيمة بمصر وأقاليمها، وحضرت أهالى القرى والأرياف، حتى امتلآت منهم الأزقة. واشتد الكرب، حتى أكل الناس الجيف، ومات الكثير من الجوع، وخلت القرى من أهاليهما، وخطف الفقراء الخبز من الاسواق، ومن الأفران، ومن على روس الخبازين. ويذهب الرجلان والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطف، وبأيديهم العصى، حتى يخبزوه بالفرن، ثم يعودون به. واستمر الأمر على ذلك إلى أن عزل على باشا فى ثامن عشر المحرم سنة سبع ومائة والف (١٠٥).

* تظاهرات العامة والفقراء وتوجهها إلى الديوان بسبب الغلاء ونهب الحواصل.

* ارتفاع الأسعار:
اردب القمح ٦٠٠ نصف فضة.
اردب الشعير ٣٠٠ نصف فضة.
اردب الفول ٤٥٠ نصف فضة.
أردب الأرز ٨٠٠ نصف فضة.
أردب العدس انعدم من السوق.

* الناس تأكل الجيف والقرى تخلو من الفلاحين

* عزل على باشا

ورود مسلم إسماعيل باشا(١٠٦) من الشام، وجعل إبراهيم بك أبا شنب قايم مقام، ونزل على باشا إلى منزل أحمد كتخدا العزب المطل على

٧٦ نيابة اسماعيل باشا مدته ١٧ صفر ١١٠٧/ ١٩ صفر ١١٠٩ هـ = ٢٧ سبتمبر ٦/١٦٩٥ سبتمبر ١٦٩٧م.

بركـة الفـيل[١٠٧]. فكانت مدته أربع سنوات وثلاثة أشهر وأياما، ثم تولى إسماعيل باشا، وحضر من البر، وطلع إلى القلعة بالموكب على العادة فى يوم الخميس سابع عشر صفر. فلما استقر فى الولاية (ص٦٤) ورأى ما فيه الناس من الكرب والغلا، أمر بجمع الفقرا والشحاذين بقراميدان. فلما اجتمعوا أمر بتوزيعهم على الأمرا والأعيان، كل انسان على قدر حاله وقدرته. وأخذ لنفسه جانباً، ولأعيان دولته جانباً، وعين لهم ما يكفيهم من الخبز والطعام صباحاً ومسا، إلى أن انقضى الغلا، وأعقب ذلك فناء عظيم، فأمر الباشا بيت المال أن يُكفّن الفقرا والغربا، فصاروا يحملون الموتى من الطرقات ويذهبون بهم إلى مَغْسل السلطان عند سبيل المؤمنين[١٠٨]، إلى أن انقض أمـــر الـوبـاء[١٠٩]، وذلك خلاف من كفّنه الأغنيا وأهل الخير من الأمرا والتجار وغيرهم، وانقضى ذلك فى آخر شوال. وتوفى فيه الشيخ زين العـابدين البكرى[١١٠]، وإبراهيم بك ابن ذى الفقار أمير الحاج وغيرهما. ولما انقضى ذلك عمل الباشا مُهماً[١١١] عظيما لختان ولده إبراهيم بك، وختَنَ معه ألفين وثلثماية وستة وثلاثى غلاماً من أولاد الفقرا، ورسم لكل غلام بكسوة كاملة ودينار.

* الفناء العظيم. (طاعون) ١١٠٧ هـ = ١٦٩٥م.

* وفاة الشيخ زين العابدين البكرى وابراهيم بك بن ذى الفقار فى هذا الطاعون.

* الباشا يختن ولده إبراهيم فى احتفال كبير.

وورد مرسوم بمحاسبة على باشا المنفصل فحوسب، فطلع عليه ستماية كيس، فختموا منزله وباعوا موجوداته، حتى غَلَق[١١٢] ذلك.

[وورد أمر بالزينة بسبب نصرة، فزينت المدينة وضواحيها ثلاثة أيام]

[وفى رجب] ورد مرسوم بطلب الفين من العسكر واميرهم مراد بك، فلبس الخلع هو وأرباب المناصب، وسافروا فى حادى عشر شعبان.

(ص٦٥) وفى عاشر رجب سنة سبع ومائة وألف، تقلد قيطاس بـك[١١٣]، تابع أمير الحاج ذى الفقار بك الصنجقية عوضاً عن ابن سيده ابراهيم بك.

وورد الإفراج عن نذير أغا، ورتب له خمسماية عثمانى وخمس جرايات وعشر علايف فى ديوان مصر، واستمر رفيقه إسماعيل أغا بالسجن.

وفى رابع رجب ورد احمد بك من السفر[١١٤]. وفى سابعه تقلد ايوب بك إمارة الحج.



وفي ثاني شعبان ورد اسماعيل بك راجعاً من السفر(115).

* ١١٠٨ هـ = ١٦٩٦م.

وفي ثالث عشر ربيع الاول سنة ثمان ومائة والف، ورد أمر بتزيين [اسواق] مصر سروراً بمولد للسلطان وسمى محمود. وورد أيضاً الخبر باستشهاد مراد بك.

* حرق ياسف اليهودى ملتزم دار الضرب، ١٣ رمضان ١١٠٨ هـ

وفي ثالث عشر رمضان من السنة قامت العساكر على ياسف اليهودى وقتلوه وجروه من رجله وطرحوه في الرميلة، وقامت الرعايا فجمعوا حطباً وحرقوه وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة. وسبب ذلك أنه كان ملتزماً بدار الضرب (116) في دولة على باشا المنفصل، ثم طُلب إلى اسلامبول، وسيل [سئل] عن أحوال مصر فاملى امورا، والتزم بتحصيل الخزينة زيادة عن المعتاد، وحسّن بمكره إحداث مُحدثات. ولما حضر مصر تلقته اليهود من بولاق وأطلعوه إلى الديوان، وقُريت الأوامر التى حضر بها، ووافقه الباشا على اجرايها [إجرائها] وتنفيذها، وأشهر الندا بذلك في شوارع مصر، فاغتمّ (ص٦٦) الناس، وتوجه التجار واعيان البلد إلى الامرا، وراجعهم فى ذلك. فركب الامرا، والصناجق، وطلعوا إلى القلعة وفاوضوا الباشا، فجاوبهم بما لا يرضيهم. فقاموا عليه قومةً واحدة، وسالوه أن يسلمهم اليهودى فامتنع من تسليمه، فأغلظوا عليه، وصمموا على أخذه منه فأمرهم بوضعه فى العرقانه ولا يشوشوا عليه حتى ينظروا في امره، ففعلوا به كما امرهم. فقامت الجند على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودى المذكور ليقتلوه فامتنع، فمضوا إلى السجن وأخرجوه وفعلوا به ما ذكر. وفي ذلك يقول الشيخ حسن البدرى الحجازى(117) رحمه الله:

بمصر حل يهودى	قضى عليه الاله
فظ غليظ عنيف	سوء كريه لقاه
بعشر صوم أتانا	له جواد علاه
والناس تشتد سعيا	امامه ووراه
ومعه أمر وفيه	ما قاده لرداه

١١٠٨هـ
١٤١٢ق.
١٦٩٦م.
- في ٤ أغسطس كانت ولادة السلطان محمود الأول ابن السلطان مصطفى الثاني.
- ١ تسوت ١٤١٣ = ٨ سبتمبر ١٦٩٦ = السبت ١٠ صفر سنة ١١٠٨.
- في ربيع أول / سبتمبر كانت وقعة زنته. انتصر فيها البرنس اوجين على العثمانيين.
- ١ يناير ١٦٩٧ = ٢٦ كيهك ١٤١٣ = الثلاث ٧ جمادى الثاني ١١٠٨.
- في جماد ثان / ديسمبر ضرب فى مصر زرمحبوب، وسمى محبوبا، وكان يسمى بالقسطنطينية أشرفي السلطون، أو زراسلانبول، وظهرت النصفية والربعية والفندقلي والبندقي - وفيها بيع الأردب القمح بستمائة نصف فضة. واشتد الغلاء

من ان دينار مصر يفيرون حلاه
والقرش يبدل نقش فيه بنقش سواه
ليأخذ المال قهرا بالنقص مما حواه
فحين قصّ عليهم ما قص قصوا قفاه
بصارم ذى مقال ازال عنه عناه
وبعد ذا احرقوه والعالمون تراه
حتى استحال رمادا فيه الهباء حكاه
يا بيئس ذاك اليهودى يا بئس ما قد نحاه
يا نعم ما فعلوه به على ما جناه
يا نعم قوما عليه غاروا وحلوا عراه
لو افتلوه علانا واجتاحنا بوباه
وكان ثالث عشر من صومنا ما دهاه
بجمعة عطلوها فى قلعة من بلاه
وموته أرّخوه قد ذاق ما قد بناه
وقال ذا حسن من إلى الحجاز انتماه

وفي تاريخه أحضر الباشا الشيخ محمد الزرقاني احد شهود المحكمة، بسبب أنه كتب حجة وقف منزل آل إلى بيت المال، فأمر بحلق لحيته وتشهيره على جمل في الاسواق والمنادى ينادى عليه، هذا جزا [ء] من يكتب الحجج الزور، ثم أمر بنفيه إلى جزيرة الطينه[١١٨].

وفي صفر وردت سكة دينار عليها طُرّة[١١٩]. فجمع الباشا الامرا، وأحضر أمين الضربخانة وسلمها له، وأمره أن يطبع بها، وأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطا، والوزن كل مائة شريفي[١٢٠]ماية وخمسة عشر درهما، وسعر الابوطرة[١٢١] ماية وخمسة عشر نصفا.

وفي ذلك الشهر لبس[١٢٢] عبد الرحمن بك [واليا] على ولاية جرجا وتوجه إليها.

حتى أكل الناس الجيف، ومات كثير من الجوع، ثم عقب ذلك فناء عظيم فأمر الوالي بتكفين الفقراء والغرباء من بيت المال، فصاروا يحملون الموتى من الطرقات ويذهبون بهم إلى مغسل السلطان عند سبيل المؤمنين إلى انتهاء الوباء.

١١٠٩هـ
١٤١٣ق.
١٦٩٧م.
غاية الفيضان/ ١٤ ذراع
- ١ توت سنة ١٤١٤ = ٨ سبتمبر ١٦٩٧ = الأحد ٢١ صفر سنة ١١٠٩.
- في صفر/ أغسطس كانت معاهدة تقسيم أسبانيا.
- في ربيع أول/ سبتمبر حضر أمر شريف بإرسال الخزينة كلها شريفية وفضة ديوانية عيار الذهب ٢٠ قيراطا والوزن كل ١٠٠ شريفي ١١٠ درهم بالاسلامبولي، فتكون بالمصرى ١١٥ وخلاف ذلك فالبندقي بسعر ١٠٠ نصف فضة والأندلسي والمغربي مثله والمحمدى ٩٠ نصفا والريال ٥٠ فتوقف الحال. أما المعاملة بين الأهالي فبقيت على ماكانت عليه بأسعار أعلى من ذلك.

* عزل إسماعيل باشا.

77 نيابة حسين باشا: ومدته ١٥ رجب ١١٠٩/ ٣ ربيع أول ١١١١ هـ = ٢٨ يناير ١٦٩٨/ أوائل ١٦٩٩م.

- ١ ينايـر ١٦٩٨ = ٢٦ كيهك ١٤١٤ = الأربع ١٨ جماد الثاني ١١٠٩.

- في رجب / يناير كان إنشاء جامع يوسف الفرغلي الكائن بشارع الزرايب - فيها تولى مصر حسين باشا، بعد عزل إسماعيل واليها السابق - فيها صار عمل جشني العملة الذهب فوجدوا في المائة شريفي الثلث فضة والثلثين ذهب - فيها تشكت العلماء والمشايخ والصناجق للحضرة السلطانية بقول أن على باشا، المعزول، أخذ عن ثمن غلال الحرمين الشريفين وجرايات العساكر وعلائق الخيول وغيرهم من كل أردب شريفين قيمتها ١٩٠ نصفا فضة.

١١١٠هـ.
١٤١٤ق.
١٦٩٨م.

- في محرم / يوليو كانت ولادة السلطان خان الثالث ابن السلطان مصطفى الثاني.

وفي ثاني عشر ربيع الاول قامت العسكر المصرية وعزلوا الباشا، فكانت مدة اسماعيل باشا سنتين، وتقلد مصطفى بك قايم مقام مصر إلى أن حضر حسين [١٢٣] باشا من صيدا، وطلع إلى القلعة في موكب عظيم، في منتصف رجب (ص٦٨) سنة تسع وماية والف. وورد مرسوم بطلب تجهيز ألفى نفر من العسكر [١٢٤] وعليهم يوسف بك المسلماني، فقضى أشغاله وسافر في تاسع عشر رمضان.

وفي منتصف شهر ذي الحجة، خرج إسماعيل باشا إلى العادلية[١٢٥] ليسافر، وكان قد حاسبه حسين باشا، فتأخر عليه خمسون ألف اردب، دفع عنها خمسين كيسا[١٢٦]، وباع منزله وبلاد البدرشين التي كان قد وقفها وتوجه إلى بغداد.

وفي سنة عشر وماية وألف، أخذ أرباب الاستحقاقات الجراية والعلايف بثمن، عن كل اردب قمح خمسة وعشرون نصفا فضة، وكل اردب شعير ستة عشر نصفا.

وفي آخر جمادى الثانية ظهر رجل من أهل الفيوم يدعى بالعليمي، قدم إلى القاهرة وأقام بظهر القهوة المواجهة لسبيل المؤمن، فاجتمع عليه كثير من العوام، وادعوا فيه الولاية، وأقبلت عليه الناس من كل جهة، واختلط النساء بالرجال، وكان يحصل بسببه مفاسد عظيمة، فقامت عليه العسكر، وقتلوه بالقلعة، ودفن بناحية مشهد[١٢٧] السيدة نفيسة رضى الله عنها. وفي ذلك يقول الشيخ حسن الحجازي، عفا الله عنه:

جاء دجال بمصر ... وادعى ما يدعيه
هرع الناس إليه ... من وضيع ووجيه
وعليه قد اكبُّوا ... يرتجون الخير فيه
وله يُدلى صريعٌ ... ليرى ما يعتريه
فيرى فيه انعكاسا ... خاب من يسعى إليه
جاءه أهل نفاق ... وقفوا مما يليه

عـقـدوا مـجلس ذكـر بينمـا رقص وتيـه
ونبـاح وصـياح وصـراخ كـالعـتيـه
ونسـاء مع رجـال جـالسـات بالبـديه
طول ليل ونهـار اجل فسق يبتغيـه
سلط الله عليـه بعد هذا حاكـميـه
لثـلاث بعـد عشر من جمـاد الثـانى فيـه
قـتـلـوه مع ثـلاث بحـسام صـالتيـه
وكـفى الله البـرايا شـره مع تابعـيـه
قـتلُهُ قـد أرخُـوه قُـتل الشـر لديه
قـاله البدر الحـجازى حـسنُ فـانظر إليـه
ربنـا منـك بلطـف واسـع مع والـديـه
وصـلاة وسـلام للنبى طه النبيـه
وعلى آل وصـحب ثم قـومٍ وارثيـه

وفى رابع عشر شوال، كانت واقعة المغاربه من اهل تونس وفاس، وذلك أن من عادتهم أن يحملوا كسوة الكعبة(١٢٨) التى تُحمل كل سنة للبيت الحرام، ويمرون بما فى وسط القاهرة، ويحملون المغاربة جانبا منها للتبرك بها، ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان(١٢٩) فى طريق مرورهم. فرأوا رجلا من أتباع مصطفى كتخدا القزدغلى فكسروا انبوبته (١٣٠)، وتشاجروا معه وشجوا رأسه، وكان (ص٧٠) فى مقدمتهم طايفة منهم متسلحون. وزاد التشاجر واتسعت القضية وقام عليهم أهل السوق. وحضر أوضباشه(١٣١) البوابه فقبض على أكثرهم، ووضعهم فى الحديد، وطلع بهم إلى الباشا واخبروه بالقضية، فأمر بسجنهم بالعرقانة. فاستمروا حتى سافر الحج من مصر، ومات منهم جماعة فى السجن، ثم أفرج عن باقيهم.

ثم تولى قره محمد(١٣٢) باشا. حضر إلى مصر منتصف ربيع الثانى

ـ ١ تـوت ١٤١٥ = ٨ سبتمبر سنة ١٦٩٨ = الاثنين ٢ ربيع أول سنة ١١١٠.
ـ ١ ينـاير ١٦٩٩ = ٢٦ كيهك ١٤١٥ = الخميس ٢٨ جماد الثانى ١١١٠.
ـ في شعبان / فبراير أنشأ الأمير مصطفى چوربجى مرزه جامع مرزة ببولاق.
ـ فى ١٢ محرم ١٠ يوليو تولى مصر محمد ـ (وقيل أحمد) ـ قره محمد باشا، بدلا عن واليها حسين باشا، الذى عزل.
ـ ١ تـوت ١٤١٦ = ٩ سبتمبر ١٦٩٩ = الأربع ١٤ ربيع اول سنة ١١١١.
ـ ١ يناير سنة ١٧٠٠ = ٢٥ كيـهك سنة ١٤١٦ = الجمعة ١٠ رجب ١١١١.
ـ فى رمضان / فبراير كانت توصية كارلوس الثانى ملك أسبانيا بملكه إلى فيليب دى انجو. حفيد لويس الرابع عشر ملك فرانسا، ووقوع الحروب المعروفة بحروب الوراثة الأسبانيولية.

٧٨ نيابة قره محمد باشا: مدته ١٤ ربيع ثان ١١١١/ غرة رجب ١١١٦ هـ = ٩ أكتوبر ١٦٩٩/ ٣٠ أكتوبر ١٧٠٤ م.

سنة احدى عشر وماية والف. وهو كتخدا اسماعيل باشا المتقدم ذكره.
وفي ايامه سنة أربعة عشر حصلت حادثة الفضة المقصوصة[١٣٣] والتسعيرة. وسياتي خبر ذلك في ترجمة على اغا مستحفظان.
وفي سنة خمسة عشر وردت اخبار بوفاة السلطان مصطفى، وجلوس السلطان احمد بن محمد[١٣٤] خان في سابع عشر ربيع الآخر منها.
وأمر الباشا بقطع السقايف والدكاكين لأجل توسعة الطريق والاسواق[١٣٥]، ثم أمر بقطع الارض وتمهيدها، فحفروا نحو ذراع أو أكثر من الاسواق، ففعل ذلك. ثم أمر بقطع الارض إلى أن كشفت الجدران.

ومكث محمد باشا واليا على مصر خمس سنوات إلى ان عزل في شهر رجب سنة ست عشر وماية والف. ومن ماثره تعمير الاربعين[١٣٦] الذى بجوار باب قراميدان، وأنشأ فيه جامعا (ص٧١) بخطبة[١٣٧]، وتكية لفقرا الخلوتية[١٣٨] من الاروام، واسكنهم بها، وأنشأ تجاهها مطبخا ودار ضيافة للفقرا، وفي علوها مطبخا ومكتبا للاطفال يقراون (يقرأون) فيه القران، ورتب لهم ما يكفيهم، وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف بالغورى حماما فسيحة مفروشة بالرخام الملون. وجدد بستان الغورى وغرست فيه الاشجار. ورمم قاعة الغورى[١٣٩] التى بالبستان. وعمر بجوار المنزل سكن أمير أخور. وبنى مسطبة[١٤٠] عظيمة برسم إلباس القفاطين وتسليم المحمل لأمير الحاج وأرباب المناصب. وعمر مسطبة يرمى عليها النشاب[١٤١]. وأنشا الحمام البديع بقراميدان، ونقل إليه من القلعة حوض رخام صحن قطعة واحدة، أنزلوه من السبع حدرات وعملوا به فسقية في وسط المسبح[١٤٢].
وعمر بالقرافة مقام سيدى عيسى بن سيدى عبد القادر الجيلانى[١٤٣]، وجعل به فقرا مجاورين، ورتب لهم ما يكفيهم. وأنشا صهريجا[١٤٤] بداخل القلعة بجوار نوبة الجاويشية، ورتب فيها خمسة عشر نفرا يقراون القران كل يوم بعد [طلوع[١٤٥]] الشمس.

١١١٥هـ
١٤١٩ق.
١٧٠٣م
غاية الفيضان
١٩ ذراع/٢٣ قيراط
- في محرم/ مايو كانت وفاة السلطان مصطفى خان الثاني ابن السلطان محمد الرابع، وله من العمر ٤٠ سنة، حكم منها ٨ سنين و٨ أشهر. وتسلطن بعده السلطان أحمد الثالث بن السلطان محمد الرابع وذلك في ٢ ربيع الثاني وضرب نقودا جديدة بالقاهرة.
- ١ توت سنة ١٤٢٠ = ١٠ سبتمبر ١٧٠٣ = الاثنين ٢٨ ربيع الثاني ١١١٥.
- في جمادى اول/ سبتمبر ضرب في القاهرة فندقلي مجوز قيمته وقت ضربه ٢٦٨ نصف فضة، وفي سنة ١٢١٣ كانت قيمته ٦٠٠ نصفة فضة، وهذا يعدل ١٥ و ٢١ فرنك. ووزنه درهمان وسدس درهم تقريبا.
- ١ يناير سنة ١٧٠٤ = ٢٤ كيهك سنة ١٤٢٠ = الثلاث ٢٣ شعبان سنة ١١١٥.
- في رمضان/ يناير أسس بطرس الأكبر مدينة سانبتر

وهو الذى تسبب فى قتل عبد الرحمن بك حاكم جرجا[١٤٦] لحزازة معه من أجل مخدومه إسماعيل باشا، وسيأتى تتمه ذلك فى خبره عند ذكر ترجمته.

وتولى رامى محمد باشا[١٤٧]، وكان تولى الوزارة فى زمن السلطان (ص٧٢) مصطفى وانفصل عنهما، وجُعل محافظا بجزيرة قبرس، ثم حضر منها واليا على مصر، فطلع إلى القلعة فى يوم الاثنين سادس شعبان سنة ست عشرة وماية والف.

وفى سبعة عشر تقلد قيطاس[١٤٨] بك إمارة الحج عوضا عن أيوب بك.

وفى تلك السنة توقف النيل عن الزيادة، فضج الناس، وابتهلوا بالدعا وطلب الاستسقا، واجتمعوا على جبل الجيوشى وغيره من الاماكن المعروفة بإجابة الدعا، فاستجاب الله لهم فى حادى عشر توت[١٤٩]، وشدّ ذلك من النوازل.

وقد ارخه بعضهم فقال:

النيل فى مصر وافى ... فى توت حادى وعاشر
والناس قد أرخوه ... لله جبر الخواطر

وفى ذلك يقول الشيخ حسن الحجازى:

لاهل مصر نكيرُ ... ما فوقه قط نُكرُ
نفاقهم ليس يحصى ... وكذبهم ذاك سحر
تعطل النيل عاما ... وكاد لم يات جبر(١٥٠).
فعند ذا الكذب منهم ... قد فاض ما فيه حصر
لكل يوم وفاء ... صبح وظهر وعصر
ويحلفون على ذا ... يرون ما فيه وزر
للبحر كل نهار ... يغدون يرقب جسر

سبورج. عاصمة الروسيا - فيها كان استيلاء الأميرال روك، الانجليزى، على جبل طارق.
- فيها كان انتصار الدول المتحدة على فرانسا بواسطة ملبروك الشهير فى حرب بلينهم

٧٩ نيابة رامى باشا: مدته ٦ شعبان ١١١٦/ ٦ رجب ١١١٨ هـ = ٤ ديسمبر ١٧٠٤/ ١٤ أكتوبر ١٧٠٦م.

* النيل يتوقف عن الزيادة عام ١١١٦ هـ = ١٧٠٤م.

١١١٦هـ.
١٤٢٠ق.
١٧٠٤م.
غاية الفيضان
٢٠ ذراع / ٢٠ قيراط
- فى صفر / مايو استولت الاوستوريا على مدينة مونيخ.
- فيها عزل محمد قره محمد باشا من ولاية مصر، وتولى بدله محمد رامى باشا، فكانت ولاية محمد قره محمد باشا خمس سنين.
- ١ توت ١٤٢١ = ٩ سبتمبر ١٧٠٤ = الثلاث ٩ جماد اول سنة ١١١٦.
- فى جماد ثان / أكتوبر استولى بطرس الأكبر على نارفًا.
- ١ يناير سنة ١٧٠٥ = ٢٥ كيهك ١٤٢١ = الخميس ٥ رمضان ١١١٦.

١١١٨هـ
١٤٢٢ق.
١٧٠٦م.
ـ في محرم / إبريل عزل محمد رامي باشا. بعد أن حكم مصر سنتين، وتولى بدله على مسلم باشا.
ـ في ١٠ ربيع ثان/ ٢٣ يوليو، صار التوقيع على معاهدة توحيد انكلتره واستكوتلانده.
ـ ١ توت سنة ١٤٢٣ = ٩ سبتمبر سنة ١٧٠٦ = الخميس ٣٠ جماد اول ١١١٨.

يروون أخبار شتى — عنها التحقق يعرو
علا على الناس ضج — فكاد يحصل كفر
ليأسهم واستمروا — يدعون لم يستقروا
حتى أتى من قدير — قد جل فتح ونصر
(ص٧٣) النيل أوفاه فضلا — وزال بالكسر كسر
في حادى عشر بتوت — ذاك الوفاءُ المسر
وسبع عشر ذراع — قد كان ذاك ونزر
فلم يعم الاراضى — وزاد في القوت يسعر
وعند ذاك الحجازى — حسن تغشاه يُسر
العام ذلك أرخ — وجب فى توت بحر

فروى بعض البلاد وهبط سريعا، فحصل الغلا، وبلغ سعر الاردب القمح مايتين واربعين [نصف] فضة، والفول كذلك، والعدس مايتين [نصف] فضه، والشعير ماية نصف فضه، والارز أربعماية نصف فضه. وبيع اللحم الضانى كل رطل بتلاتة انصاف فضة، والجاموسى والبقرى بنصفين. والسمن القنطار بستماية نصف فضه، والزيت بثلاثماية وخمسين. والدجاجة بثمانية انصاف، وعلى هذا فَقِس. والبيض كل ثلاث بيضات بنصف. والرطل الشمع الدهن بثمانية انصاف. وكثر الشحاذون في الازقة.

* غلاء الأسعار:

أردب القمح	٢٤٠ نصف.
أردب الفول	٢٤٠ نصف.
أردب العدس	٢٠٠ نصف.
أردب الشعير	١٠٠ نصف.
أردب الأرز	٤٠٠ نصف.
اللحم الضانى	٣ نصف.
اللحم الجاموسى	٢ نصف.
اللحم البقرى	٢ نصف.
السمن	٦٠٠ نصف.
الزيت	٣٥٠ نصف
الدجاجة	٨ نصف.

وفي سنة ثمانية عشر لم يأت من اليمن ولا من الهند مراكب، فشح القماش الهندى وغلا البن حتى بلغ القنطار الفين وسبعماية وخمسين فضة، وغلا الشاش(١٥١)، فبيع الفرحات خان بأربعماية نصف فضه، والخنكارى بسبعماية نصف.

٨٠ نيابة على باشا: مدته ٢٢ شعبان ١١١٨/ ٢٢ جماد ثان ١١١٩هـ = ٢٩ نوفمبر ١٧٠٦/ ٢٠ سبتمبر ١٧٠٧م.

وفي سادس رجب عزل محمد باشا، وحضر مُسلِّم على(١٥٢) باشا. وفي تاسعه نزل محمد باشا من القلعة في موكب عظيم، وسكن (ص٧٤) بمنزل أحمد كتخدا العزب سابقا المطل على بركة الفيل

بالقرب من حمام السكران.

وصل على باشا من طريق البحر، وذهبت إليه الملاقات[١٥٣] على العادة، وأرسى بساحل بولاق يوم الاثنين تاسع شعبان وهو فى نحو الف ومايتين نفس خلاف الاتباع. وفى ثانى عشر شعبان سنة ثمانية عشر ركب بالموكب وطلع إلى القلعة، وضربوا المدافع لقدومه.

وفى اواخر هذا الشهر وقعت فتنة بين العزب والمتفرقة[١٥٤]، سببها أن شخصاً من بلك العزب يسمى محمد أفندى كاتب صغير سابقا، ثم بعد عزله تولى خليفة فى ديوان المقابلة[١٥٥]، وحصل له تهمة عُزل بها من المقابلة، ثم عمل سردار[١٥٦] بالاسكندرية على طايفة العزب، وعمل كتخداى القبودان[١٥٧]، وركب فى المراكب وأشيع أنه غرق فى البحر، فحلوا اسمه[١٥٨] وماله من التعلقات فى بابه وغيره. وبعد مدة حضر إلى مصر وطلع إلى الديوان، وصحح اسمه الذى فى العزب وجراياته وتعلقاته، وبقى له بعض تعلقات لم يقدر على خلاصها، ولم يساعده أهل بابه، وأهملوا أمره، فتغير خاطره منهم وذهب إلى بُلك المتفرقة وانضم إليهم، وسألهم أن يخرجوه من العزب ويدخلوه فيهم، وجعل يركب معهم كل يوم للديوان، ويمر على باب العزب. فبينما هو ذات يوم طالع إلى الديوان إذ وقف له جماعة من العزب، وقبضوا (ص٧٥) على لجام فرسه وانزلوه من على فرسه وحبسوه فى بابهم. وبلغ الخبر المتفرقة وهم فى الديوان، وحضر محمد أمين بيت المال فى العزب، وكان فى ذلك اليوم نايباً عن باش جاويش[١٥٩] لتمرّضه، فعاتبه جماعة المتفرقة على ما فعله جماعته، فأغلظ عليهم فى الجواب، فقبضوا عليه من أطواقه وأرادوا ضربه، فدخل بينهم المصلحون وخلصوه من ايديهم. فنزل إلى باب العزب، وأخبرهم بما فعله المتفرقة، فاجتمعت طائفة العزب ووقفوا على بابهم. فلما مرّ عليهم اثنان من جماعة المتفرقة نازلين إلى منازلهم، وهم محمد الأبدال، وصارى على، فلما حاذوهم هجموا عليهم طايفة العزب هجمة واحدة، وضربوهما

ـ فى رجب / اكتوبر كان انهزام الفرنساوية فى ايطاليا.

* سبب فتنة العزب والمتفرقة فى آخر شعبان ١١٨ هـ = نوفمبر ١٧٠٦م.

ـ ١ يناير ١٧٠٧ = ٢٥ كيهك ١٤٢٣ = السبت ٢٦ رمضان سنة ١١١٨.
فيها كان انتصار الفرنساويين والاسبانيولين على الدولة المتحدة.

ـ فى ذى القعدة / فبراير كان انضمام اسكوتلاندة إلى انكلتره.

١١١٩هـ
١٤٢٣ ق.
١٧٠٧م.
غاية الفيضان
٢٢ ذراع/ ٢٢ قيراط.

ـ فى ربيع اول/ يونيو عزل على مسلم باشا بعد أن حكم مصر سنة واحدة وتولى بعده حسين باشا كتخدا.

ـ فيها كان على القاهرة قاسم ايواظ بك بصفة شيخ بلد.

ـ ١ تسوت ١٤٢٤ = ١٠ سبتمبر ١٧٠٧ = السبت ١٢ جماد الثانى سنة ١١١٩.

ضربا مؤلما، وانزلوهما عن الخيل وشجوهما ونهبوا ما على الخيل من العُدد، وأخذوا ما عليهم من الملبوس. فلما وصل الخبر للمتفرقة اجتمعوا مع بقية الوجاقات وقعدوا فى باب الينكجرية وانهوا أمرهم إلى الاغوات والصناجق وأهل الحل والعقد. واستمروا على ذلك ثلاثة أيام إلى أن وقع التوافق على إخراج أربعة انفار الذين كانوا سببا لإشعال نار الفتنة، ونفيهم من مصر، وهم: احمد كتخدا العزب، ومحمد أمين بيت المال، والشريف محمد باش اوده[١٦٠] باشى، ومحمد أفندى قاضى أوغلى الذى كان الباعث على ذلك. فوافق على ذلك الجميع وصمموا عليه، فسفروهم إلى جهة الصعيد.

وفى ثانى شهر الحجة عزل على (ص٧٦) أغا مستحفظان، وتولى عوضه رضوان أغا كتخدا الجاويشية[١٦١] سابقا، وركب بالشعار المعلوم، وقطع ووصل، وأمر أهل الأسواق أن يدمغوا الارطال فى دار الدرب (الضرب) بالدمغة السلطانية، وجعلوا على كل دمغة نصف فضة، فتحصل من ذلك مال له طرة[١٦٢].

وفى سابع عشر المحرم سنة تسعة عشر ومايه وألف، توفى اسماعيل بك الدفتردار[١٦٣]، ولى ابراهيم بيك عوضه[١٦٤]. وهو الذى كان أمير الحاج سابقا.

وفى سادس صفر ورد مرسوم من السلطان أحمد بأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطا، وكانوا يقطعونه على ستة عشر.

وفى سابعه يوم الخميس ورد أمر بحبس محمد باشا الرامى وبيع كامل ما يملكه من متاع وملبوس وغيره، فحبس بقصر يوسف صلاح الدين[١٦٥]. وإبطال[١٦٦] والى البحر الذى يتولى من باب العزب.

وفيه وصل الحجاج وقد تاخروا الى نصف صفر بسبب دخول مراكب الهند[١٦٧] وشراء ما بها من الاقمشة.

وفى شهر ربيع حبس جماعة من أتباع الباشا، وهم الكتخدا والخازندار وغيرهم من أرباب الكلمة.

- فى رجب / سبتمبر اجتهد الوالى فى منع العسكر مما كانوا يفعلونه فضجوا من ذلك وقاموا عليه قومة واحدة وحاصروه بالقلعة ونهبت البلد وأغلقت الحوانيت والخانات.
- ١ يناير ١٧٠٨ = ٢٤ كيهك ١٤٢٤ = الأحد ٧ شوال ١١١٩.
- فى ذو القعدة / يناير امر الوالى بتحرير عيار الذهب على ٢٣ قيراط وان يضربوا الزلاطة التى يقال لها الاخشابه بدار الضرب. فامتنع المصريون ووافقوا على تصحيح عيار الذهب فقط.

* ١١١٩ هـ = ١٧٠٧م.
* وفاة إسماعيل بك الدفتردار.
* عيار الذهب ٢٢ قيراطا وكانوا يقطعونه على ١٦ قيراطا.
* حبس محمد باشا الرامى لسداد ديونه للخزانة الأميرية.

وفى تامن عشر جمادى الآخرة تقلد إبراهيم بك الدفتردار عوضاً عن أيوب بك بموجب مرسوم سلطانى. وفيه عُزل رضوان أغا مستحفظان وتولى أحمد أغا ابن بكير افندى عوضا عنه. وفيه ورد أمر (ص٧٧) بإبطال نوبة محمد باشا ونفيه إلى جزيرة رودوس، فنزل من يومه إلى بولاق وأقام بها إلى أن سافر.

* عزل على باشا.

وفى اوايل رجب، ورد أمر بعزل على باشا وحبسه فى قصر يوسف، واستخلاص ما عليه من الديون إلى تجار اسلامبول. وجعل إبراهيم بك قيام مقام، وحبس على باشا وابيعت موجوداته.

* فتنة باب الينكجرية بسبب إفرنج أحمد. سنة ١١١٩ هـ = ١٧٠٧م.

وفيها وقعت فتنة بباب الينكجرية(١٦٨)، فعزلوا إفرنج أحمد(١٦٩) باشا اوده باشه [وحسين أغا(١٧٠)] ثم نفوهم الى الطينة بدمياط.

٨١ نيابة حسن باشا: ومدته ١١١٩/ ١١٢١هـ = ١٧٠٧/ ١٧٠٩م.

ووردت الأخبار بولاية حسين(١٧١) باشا على مصر وقدومه إلى الاسكندرية، فقدم إلى مصر فى تالت عشرين شعبان سنة تسعة عشر. وفيه سافر الشريف يحيى بن بركات إلى مكة بمرسوم سلطانى(١٧٢).

* هروب افرنج أحمد من منفاه.

وفيه فرّ إفرنج أحمد أوده باشه، وحسين أغا من حبس الطينة، ودخلا مصر ليلا، فاختباء [افرنج احمد(١٧٣)] عند أغاة الجراكسة، والتجاء حسين إلى باب التفكجيه(١٧٤). وفى خامس عشرينه طلع حسين باشا إلى القلعة بالموكب المعتاد على العادة. وفى سادس عشرينه اجتمع الينكجرية بالباب بأسلحتهم لما بلغهم قدوم إفرنج أحمد إى مصر، وقالوا لابد من نفيه ورجوعه إلى الطينة. فعاند فى ذلك طايفة الجراكسة، وامتنعوا عن التسليم فيه وقالوا لابد من نقله من وجاقكم، وساعدهم بقية البلكات. ولم يوافق الينكجرية على ذلك ومكثوا ببابهم يومين وليلتين، وكذلك فعل كل بلك ببابه، فاجتمع كل العلما والمشايخ على (ص٧٨) الصناجق والاعيان، وخاطبوهم فى حسم الفتنة، فوقع الاتفاق على أن يجعلوه [إفرنج احمد]صاحب طبلخانه(١٧٥)، وارسلوا له القفاطين مع كتخدا الباشا وأرباب الدرك، وأحضروه إلى مجلس الاغا، وقراوا عليه فرمان الصنجقية، وان خالف

يكون عليه بخلاف ذلك. فامتثل الأمر ولبس الصنجقية وطلع من منزل أغاة الجراكسه بموكب عظيم إلى منزله، ونزل له الصنجق السلطاني[١٧٦] والطبلخانه في غايته.

ومن الحوادث انه حضر كتخدا حسين باشا المذكور عن طريق البحر بأوامر منها:

تحرير عيار الذهب على ثلاثة وعشرين قيراطا، وأن يضربوا الزلاطة والعثمانيه[١٧٧] التي يقال لها الأخشاية بدار الضرب، وأحضر معه سكة لذلك. فامتنع المصريون من ذلك، ووافقوا على تصحيح عيار الذهب فقط.

وفي شهر شوال حضر أغا بمرسوم ببيع موجودات على باشا المسجون، فباعوها بالمزاد بالديوان.

وفي شهر الحجة ورد أغا بطلب [خليل[١٧٨]] خازندار إبراهيم بك الدفتردار[١٧٩]، وسببه أنه أُنهي إلى السلطان أن خليل الخازندار المذكور أتاه رجل دلال بقوس، فصار يجذبها ويتصرف فيها، وكان بجانبه رجل من العثمانيين، فاخذ القوس من يد خليل المذكور، وأراد أن يجذبها فلم يستطع، فتعجب من قوة خليل المذكور وأخذ منه القوس وسافر بها إلى الديار الرومية ليمتحن بها أهل ذلك الفن، فلم يقدر أحد على جذبها، واتصل خبرها بالسلطان (ص٧٩) فطلبها لجذبها فلم يستطع، فتعجب من صعوبتها. فقال له الرجل، إن بمصر مملوكا عند إبراهيم بك أوترها وصار يجذبه حتى تجتمع طرفاه، وعنده أيضاً مكحلة [وزنها[١٨٠]] ثلاثون درهماً، يرمى بها الهدف وهو رامح على ظهر الحصان. فامر السلطان بإحضاره، فجهزه ابراهيم بك وارسله.

١١٢٠هـ
١٤٢٤ق.
١٧٠٨م.
غاية الفيضان
٢٠ ذراع/ ٢١ قيراط
ـ في محرم / مارس كان طرد الروسيين من بولندا بمعرفة كارلوس الثاني عشر.
ـ في صفر / ابريل اجتمع اهل الوجاقات الستة واتفقوا على إبطال المظالم المتجددة بمصر وضواحيها، وان المحتسب لابد وان ينظر في الامور ويحرر الموازين، وان لا يؤخذ شئ على ما يدخل مصر من البلاد باسم الاكل، وان لا يباع رطل البن بأزيد من ١٧ نصفا فضة.
ـ ١ تسوت ١٤٢٥ = ٩ سبتمبر ١٧٠٨ = الأحد ٢٣ جماد الثاني سنة ١١٢٠.
ـ ١ يناير سنة ١٧٠٩ = ٢٥ كيهك سنة ١٤٢٥ = الثلاث ١٩ شوال ١١٢٠.
ـ في شوال / ديسمبر كان انتصار بطرس الاكير على كارلوس الثاني في بلتوفا وهروبه إلى تركيا.

سنة عشرين ومائة والف

ورد قبودان يسمى جانم خُوجه ريس المراكب[١٨١]، وطلع إلى الديوان

ومعه بقية الرويسا، فلما اجتمع بالباشا ابرز له مرسوما بتجهيز على باشا إلى الديار الروميه، فجُهِز فى ثامن عشرينه، ونزل بموكب فيه حسن باشا والصناجق والاغوات وأتباعهم، ونزل فى السفاين، وسافر فى اواويل ربيع أول.

وفى ثامن عشر شوال اجتمع عسكر بالديوان وأنهوا إلى الباشا أن محمد بك حاكمم جرجا(١٨٤) انزل عربان المغاربه وأمّنهم. وهذا يودى إلى الفساد. فعزلوه وولوا آخر اسمه محمد من اتباع قيطاس بك، جعلوه صنجقا والبسوه على جرجا، وهو الذى عرف بقطامش(١٨٢) وستاتى اخباره.

وفى تاسع عشر شوال ورد محسن زاده اخو كتخدا الوزير، أدخله حسين باشا بموكب حفل، وطلع إلى القلعة، وأبرز مرسوما بعزل ايوازبك(١٨٣) وتولية محمد بك باشة محسن زاده فى منصبه. فانزله فى غيط قراميدان إلى ان سافر صحبة الحاج الشريف.

ومن الحوادث ان فى يوم الاثنين رابع عشر القعدة (ص٨٠) سنة عشرين ومايه وألف وقف مملوك لرجل يسمى محمد أغا الحلبى على دكان قصّاب بباب زويلة(١٨٤) ليشترى منه لحما، فتشاجر مع حَمَّارِ عثمان اوده باشة البوابة(١٨٥)، فأُعلم عثمان بذلك، فأرسل أعوانه وقبضوا على ذلك المملوك وأحضروه إليه، فأمر بحبسه فى سجن الشرطة. فلما بلغ محمد جاويش سجن مملوكه حضر هو وأولاده وأتباعه إلى باب صاحب الشرطة لخلاص مملوكه، فتفاوضا فى الكلام، وحصل بينهما مشاجرة، فقبض عثمان أوده باشه على محمد جاويش المذكور واودعه فى السجن، وركب إلى باش اوده باشه وهو إذ ذاك سليمان بن عبد الله، وطلع إلى كتخدا مستحفظان وعرض القضية، فلم يرضوا له بذلك وامروه باطلاقه. فرجع واخرج محمد جاويش ومملوكه من السجن.

وفى ثانى يوم الحادثة اجتمعت طايفة الجاويشية مع طايفة المتفرقة، والثلاث بلكات الاسباهية(١٨٩)، والامرا الصناجق، والأغوات، فى

١١٢١هـ
١٤٢٥ق.
١٧٠٩م.
غاية الفيضان
١٩ ذراع/ ٢٣ قيراط.
- فى صفر / ابريل كان إنشاء رصد خانة بولونيا.
- فى ربيع اول / مايو عزل حسين باشا، بعد ان حكم مصر سنتين، وتولى ابراهيم باشا القبودان.
- ١ تسوت ١٧١٠ = ٢٥ كيهك ١٤٢٦ = الأربع ٢٩ شوال سنة ١١٢١.
- فى ذو القعدة / يناير كان إنشاء رصد خانة برلين.

* واقعة عثمان أوده باشه مع الصناجق والبلكات ١٤ القعدة ١١٢٠ هـ = ١٧٠٨م.

الديوان، وطلبوا نفى عثمان اوده باشه المذكور، فلم توافقهم الينكجرية على ذلك، فطلعوا إلى الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى عليه، فحضر وأقيمت الدعوى بحضرة الباشا والقاضى، فامر القاضى بحبس عثمان بك كما حبس محمد جاويش، فلم يرضى الاخصام بذلك، وقالوا لابد من عزله ونفيه. فلم توافقهم الينكجرية، فطلب العسكر من الباشا أمرا بنفيه، فتوقف فى ذلك (ص٨١) فنزلوا مغضبين واجتمعوا بمنزل كتخدا الجاويشية وانزلوا مطبخهم من نوبة خاناه الى منزل كتخدا الجاويشية صالح أغا واقاموا به تلاتة ايام ليلا ونهار، وامتنعوا من التوجه إلى الديوان. ثم اجتمع اهل البلكات وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد، واتفقوا على نفى عثمان اوده باشه. ثم اجتمعوا على الصناجق، واتفقوا أن يكونوا معهم على طايفة الينكجرية لانهم لم يعتبروهم. وارسل الاسباهية مكاتبات لانفارهم المحافظين مع الكشاف بالولاية يامرونهم بالحضور. وفى ذلك اليوم عزل اوده باشة البوابة، وولى خلافه.

وفى يوم الجمعة ثامن عشرين الشهر، حضر إلى طايفة الينكجرية من اخبرهم ان العسكر يريدون قتالهم، فأرسلوا القابجية(١٨٧) إلى انفارهم ليحضروا إلى الباب بآلة الحرب، فاجتمعوا. وانزعج أهل الأسواق، وقفل غالبهم دكاكينهم، ثم اطمانوا بعد ذلك وجلسوا فى دكاكينهم. واستمر أهل الوجاقات الستة(١٨٨) يجتمعون ويتشاورون فى ابوابهم وفى منزل محمد أغا المعروف بالشاطر، ومنزل ابراهيم الدفتردار. وأما النيكجرية فانهم كانوا يجتمعون بالباشا فقط.

وفى يوم الاحد رابع عشر الحجة قدم محمد بك الذى كان بالصعيد فى جند كثيف واتباع كثيرة وطلع إلى ديوان مصر على عادة حكام الصعيد المعزولين، ولبس الخلع السلطانى ونزل إلى بيته بالصليبه. ثم أن أهل الوجاقات الست اجتمعوا واتفقوا على إبطال المظالم المتجددة بمصر وضواحيها، وكتبوا ذلك فى قايمة، وأتفقوا أيضا أن من كان له

١١٢٢هـ.
١٤٢٦ق.
١٧١٠م.
غاية الفيضان
٢٢ ذراع

- فى محرم / مارس تولى مصر خليل باشا، بعد عزل ابراهيم باشا القبودان، الذى لم يحكم إلا سنة واحدة فى مدتها قامت العسكر قومة شديدة وحاصروا الوالى وانقطع المرور من طريق الحجر وعرب اليسار والرميلة والصليبة والدروب الموصلة إلى القلعة، واستمرت هذه الحادثة سبعين يوما خرب بسببها الدرب الأحمر وتمن قيصون وسوق السلاح والداودية والصليبة والسيوفية، وامتد ذلك إلى مصر العتيقة وخط السيدة زينب رضى الله عنها.
- ١ توت سنة ١٤٢٧ = ٩ سبتمبر ١٧١٠ = الثلاث ١٥ رجب سنة ١١٢٢.
- ١ يناير ١٧١١ = ٢٥ كيهك ١٤٢٧ = الخميس ١١ ذى القعدة سنة ١١٢٢.

* اهل الوجاقات يطالبون بابطال المظالم وحماية مراكب التجارة فى النيل.

وظيفة بدار الدرب والانبار والتعريف بالبحرين[١٨٩] (ص٨٢) أو المذبح لا يكون له جـامكيـة [١٩٠] فى الديوان، ولا ينتسب لوجـاق من الوجـاقـات، وأن ينظر المحتسب فى امـورهم، ويحـرروا مـوازينهم على العادة، وان يركب معه من باب القاضى مباشرا معه، وان لا يتعرض أحد للمراكب التى ببحر النيل التى تحمل غلال الانبار. وان يحمل الغلال المذكورة جميع المراكب التى ببحر النيل، ولا تختص مركب منها لباب من ابواب الوجاقات. وان كل من يدخل مصر من بلاد الأمنا باسم الأكل لا يوخذ عليه عُشر[١٩١]، وان لا يباع شى من قسم الحيوانات والقهوة إلى جنس الافرنج. وان لا يباع الرطل بازيد من سبعة عشر نصف فضه. وأرسلوا القايمة المكتبة إلى الباشا لياخذوا عليها بيورلدى وينادى به فى الاسواق، فتوقف الباشا فى اعطا البيورلدى. ولما بلغ الانكشارية ما فعلوا هولا اجتمعوا ببابهم، وكتبوا قايمة نظير تلك القايمة، بمظالم الخرده[١٩٢] ومظالم اسباهيه الولايات وغيرها، وارسلوها إلى الباشا، فعرضها على أهل الوجاقات، فلم يعتبروها وقالوا لابد من اجرى قايمتنا وابطال ما يجب ابطاله منها من المظالم.

* منع بيع البن للأفرنج


الكتخدا

وفى يوم الاحد حادى عشرين الحجة اجتمع أهل الوجاقات ومعهم الصناجق بباب الغرب، وقاضى العسكر ونقيب الاشراف بالديوان عند الباشا. وأرسلوا إلى الباشا أن يكتب لهم بيورلدى بابطال ما سالوا فيه (ص٨٣) والمناداة به، وان لم يفعل ذلك أنزلوه ونصبوا عوضه حاكما منهم. وعرضوا ذلك على الدولة. فلما تحقق الباشا منهم ذلك، كتب لهم ما سالوه، وكتب لهم القاضى أيضا حجة على موجبه. ونزل بها المحتسب وصاحب الشرطة ونايب القاضى وأغامن أتباع الباشا، ونادوا بذلك فى الشوارع.

وفى غاية الحجة سنة عشرين كُسِفَ جرم الشمس فى الساعة الثامنة، واستمرت سبع عشر درجة ثم انجلت.

* حادث كسوف الشمس.

وفى يوم السبت رابع محرم سنة احدى وعشرين وماية وألف، اجتمع



الينكجرية عند أغاتهم وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد، واجتمع انفارهم جميعا بالغيط المعروف بحسين كتخدا، وتحالفوا كذلك. وفى سابعه اجتمع أهل الوجاقات بمنزل إبراهيم بيك الدفتردار، وتصالحوا على أن يكونوا كما كانوا عليه من المصافات والمحبة، بشرط أن ينفذوا جميع ما كتب فى القايمه، ونودى به، ولا يعترضوا فى شى منه. فلم يستمر ذلك الصلح.

* فتنة الأزهر بعد موت الشيخ النشرتى.

وفى ليلة السبت حادى عشرة، وقع فى الجامع الازهر فتنة بعد موت الشيخ النشرتى(١٩٣)، وسياتى ذكرها فى ترجمة الشيخ عبد الله الشبراوى(١٩٤).

* فتنة نقل دار الضرب.

ثم ان الينكجرية قالوا: لا نوافق فى نقل دار الضرب إلى الديوان حتى تكتبوا لنا حُجة بان ذلك لم يكن لخيانة صدرت منا ولا تخوف عليها. فامتنع أخصامهم من إعطا حجة بذلك. ثم توقف اهل البلكات الست (ص٨٤) على ان يعرضوا فى شأن ذلك إلى باب الدولة، فان أقرها فى مكانها رضوا به، وإن أمر بنقلها نقلت. فاجتمعوا هم ونقيب الاشراف ومشايخ السجاجيد(١٩٥)، وكتبوا العرض المذكور ووضعوا عليه ختومهم، ماعدا الينكجرية فانهم امتنعوا من الختم. ثم أمضوه من القاضى وأرسلوه مع أنفار من البلكات وأغا من طرف الباشا فى سادس عشرين المحرم سنة إحدى وعشرين ومائة والف. وأما النيكجرية فانهم اجتمعوا ببابهم، وكتبوا عرضا من عند أنفسهم إلى أرباب الحل والعقد من أهل وجاقهم بالديار الرومية. وعينوا للسفر على أفندى كاتب مستحفظان سابقا، وأحمد جربجى. وجهزوهم للسفر فسافروا فى يوم الاثنين سابع عشرينه.



مملوك مسلح

* فتنة تولية إمارة الحج لقيطاس بك.

وفى ثالث عشر ربيع الأول تقلد إمارة الحج قيطاس بك مقرراً على العادة فى صبيحة المولد النبوى فى كل سنة(١٩٦). وكان أُشيع أن بعض الأمرا سعى على منصب إمارة الحاج، فلما بلغ الينكجرية ذلك اجتمعوا ببابهم لابسين سلاحهم، وجلسوا خارج الباب الكبير على

طريق الديوان بناء على أنه إن لبس شخص إمارة الحج خلاف قيطاس بك لا يمكنوه من ذلك. فلمــا راى الصناجق والامــرا ذلك منهم خافوهم، وقالوا: هذه أيام تحصيل الخزينة، ونخشى وقوع أمر من هولا الجماعة يودى (ص٨٥) إلى تعطيل المال. فاجتمع راى الصناجق واهل الوجاقات الست على نفى ستة اشخاص من الينكجرية الذين بيدهم الحل والعقد، ويخرجونهم من مصر الى بلاد التزامهم تسكينا للفتنة حتى ياتى جواب العرض. فلما بلغ الينكجرية ما دبروه، اجتمعوا فى بابهم فى عَدَدِهم وعُدَدِهم، فلم يلتفتوا إلى فعلهم وقالوا لابد من نفيهم ومحاربتهم، واجتمعوا كذلك فى أبوابهم، وأستعدوا الينكجرية ببابهم وشحنوه بالاسلحة والذخاير والمدافع. فحصل لاهل البلد خوف وانزعاج، وأغلقوا الدكاكين وذلك سابع عشر ربيع الاول. ونقل الجاويشية مطبخهم من القلعة من النوبة الى منزل كتخدا الجاويشية، واقام طايفة النيكجرية منهم طوايف محافظين على ابواب القلعة، وباب الميدان و [باب] الصحرا الذى بالمطبخ الموصل الى القرافة خوفًا من ان العسكر يستميلون الباشا وينزلونه الميدان، لانهم كانوا ارسلوا له كتخدا الجاويشية، وطلبوا منه النزول إلى قرميدان ليتَداعَوْا مع الينكجرية على يد قاضى العسكر، فلم تمكنهم الينكجرية من ذلك، وحصل لكتخدا الجاويشية ومن معه مشقة فى ذلك اليوم من المذكورين عند عودهم من عند الباشا، وما خلصوا إلا بعد جهد عظيم.



جاويش باش أغا



القلعة

* استمرار فتنة الينكجرية.

وفى يوم الخميس عشرين ربيع الاول اجتمع الصناجق والعسكر، واختاروا محمد بك الذى كان بالصعيد لحصار القلعة من جهة (ص٨٦) القرافة على جبل الجيوشى بالمدافع والعسكر، ففعل ما أمروه به، وخافت العسكر وقوع نهب بالمدينة، فعينوا مصطفى اغا أغاة الجراكسة[١٩٧] يطوف فى اسواق البلد وشوارعها، كما كان يفعل فى زمن عزل الباشا. وفى يوم السبت ثانى عشرينه اجتمع الامرا الصناجق والاسباهية بالرميلة، وعينوا أحمد بك المعروف بافرنج أحمد أغات

* ظهور إفرنج أحمد مرة أخرى فى مجرى الأحداث.



أورطه جاويش
من ضباط الإنكشارية

النفكجية ليحاصر طائفة الينكجرية من بابهم المتوصل منه الى المحجر وباب الوزير، ويمنعوا من يصل اليهم بالامداد. وأما الينكجرية الذين كانوا بالقاهرة فاجتمعوا بباب الشرطة، واتفقوا على أن يدهموا العسكر المحافظين بالباب ويكشفوهم، ويدخلوا إلى باب الينكجرية. فلما بلغ الصناجق ذلك والعسكر، عينوا ابراهيم الشهير بالوالي ومصطفى اغات الجبجية(١٩٨) فى طايفة من الاسباهية إلى باب زويله. ولما بلغ خبرهم الينكجرية الذين كانوا تجمعوا فى باب الشرطة، تفرقوا، فجلس مصطفى اغا محل جلوس الادباشه، وابراهيم بك فى محل جلوس العسس(١٩٩). وانتشرت طوايفهم فى نواحى باب زُويله والخرق(٢٠٠)، واستمروا ليلة الاحد على هذا المنوال، فطلع فى صبحها نقيب الاشراف والعلما وقاضى العسكر وارباب الاشاير(٢٠١)، واجتمعوا بالشيخونتين بالصليبة، وكتبوا فتوى بأن الينكجرية إن لم يسلموا فى نفى (ص٨٧) المطلوبين وإلا جاز محاربتهم، وارسلوا الفتوى صحبة جوخدار من طرف القاضى الى باب الينكجرية. فلما قريت عليهم تراخت عزايمهم وفشلوا عن المحاربة وسلموا فى نفى المطلوبين بشرط ضمانهم من القتل، فضمنتهم الامرا الصناجق، وكتبوا لهم حجة بذلك. فلما وصلتهم الحجة أنزلوا الانفار الثمانية المطلوبين الى امير اللوا إيواز بك ورضوان أغا، فتوجها بهم إلى بولاق، ومن هناك سافروا الى بلاد الريف.

* أنتهاء فتنة باب الينكجرية وقبولهم شروط الوجاقات.

وفى تاسع عشر ربع الاخر ورد امير اخور صغير(٢٠٢) من الديار الرومية، وطلع الى القلعة، وابرز مرسومين قريا بالديوان بمصر بمحضر الجمع، احدهما بإبطال المظالم والحمايات بموجب القايمة المعروضة من العسكر، ونفى عطا الله المعروف ببولاق، واحمد جلبى بن يوسف(٢٠٣) اغا، وأن يحاسبوا تجار القهوة على مرابحة العشرة [فرق(٢٠٤)] اثنى عشر [فرقا(٢٠٥)] بعد راس المال والمصاريف. والامر الثانى بنقل دار الضرب من قلعة الينكجرية الى حوش الديوان، وبنا قنطرة اللاهون بالفيوم، وأن يحسب ما يصرف عليهما من مال الخزينة العامرة.

وفى يوم تاريخه برز أمر من الباشا برفع صنجقية أحمد بك الشهير بافرنج احمد بك، وإلحاقه بوجاق الجملية.

وفى يوم السبت اجتمع أعيان مستحفظان بمنزل احمد كتخدا المعروف بشهر أغلان. وارسلوا خلف افرنج احمد وتصالحوا معه وتعاهدوا على الصدق. (ص٨٨) وان لا يغدرهم ولا يغدروه ومضوا معه إلى باب الجُملى[٢٠٦]، وأخذوا عرضه، وركب الحمار فى يوم الأحد وطلع الى باب مستحفظان فى جمع غفير من الادباشية، وتقرر باش ادباشه كما كان سابقا. وعاد إلى منزله.

* مصالحة الصناجق لافرنج أحمد وعودته لمنصب الاودباشه.

وفى غاية الشهر رجع الانفار الثمانية المنفيون واخرجوهم من وجاق الينكجرية، ووزعوهم على اهل الوجاقات بأطلاع الأمرا الصناجق والاغوات.

وفى اوايل جمادى الاولى أرسل القاضى فأحضر مشايخ الحرف، وعرفهم أنه ورد أمر يتضمن الا يكون لاحد من ارباب الحرف والصنايع علاقة ولا نسبة فى احد الوجاقات السبع[٢٠٧] فأجابوه بأن غالبهم عسكرى وابن عسكرى[٢٠٨]. وقاموا على غير امتثال. ثم بلغ القاضى أنهم اجمعوا على إيقاع مكروه به، فخافهم وترك ذلك وتغافل عنه ولم يذكره بعد.

* محاولة السلطنة العثمانية فصل تحالفات التجار مع الوجاقات السبع العسكرية.

وفى هذه السنة أبطل الينكجرية ما كانوا يفعلونه من الاجتماع بالمقياس، وعمل الاسمطة والجمعيات وغيرها عند تنظيفه.

وفى منتصف جمادى الثانى تم بناء دار الضرب التى أحدثوها بحوش الديوان، وضرب بها السكة، وكان محلها قبل ذلك معمل البارود، ونقل معمل البارود إلى محل بجوارها. وفيه لبس إبراهيم بك أبو شنب أميرا على الحاج عوضا عن قيطاس بك، وتولى قيطاس بك دفترداية مصر عوضا عن إبراهيم بك بموجب مرسوم ورد بذلك من الاعتاب.

* بناء دار الضرب الجديدة بحوش الديوان.

وفى تاسع عشر رمضان [١١٢١هـ[٢٠٩] ورد الخبر بعزل حسن باشا وولاية ابراهيم[٢١٠] باشا (ص٨٩) القبوادان، ووردت منه مكاتبة بأن

* عزل حسن باشا.

يكون حسن باشا نايبا عنه إلى حين حضوره، ولم يفوض أمر النيابة إلى أحد من صناجق مصر كما هو المعتاد.

٨٢ نيابة إبراهيم باشا. مدته ١٩ القعدة ١١٢١/ ١٥ رجب ١١٢٢ هـ = ٢٠ يناير ١٧١٠/ ٩ سبتمبر ١٧١٠م.

وفى شهر شوال الموافق لكيهك القبطى ترادفت الأمطار وسالت الاودية حتى زاد بحر النيل بمقدار خمسة أذرع وتغير لونه لكثرة ممازجة الطفْل للماء فى الاودية، واستمرت الامطار تنزل وتنسكب إلى غاية الشهر، وكان ابتداوها من غرة رمضان.

وفى منتصف ذى القعدة نزل حسن باشا من القلعة بموكب عظيم وأمامه الصناجق والأغوات إلى منزل الأمير يوسف أغادار السعادة بسويقة عصفور(٢١١). ووصل ابراهيم باشا القبودان وطلع إلى القلعة فى منتصف الحجة [سنة ١١٢١هـ(٢١٢)]. وفى منتصف محرم سنة اثنين وعشرين وماية والف اجتمع أهل البلكات السبعة بسبيل على باشا بجوار الامام الشافعى، واتفقوا على نفى ثلاثة انفار من بينهم، فنفوا فى يوم الخميس من اختيارية الجاويشية قاسم أغا، وعلى افندى كاتب الحواله(٢١٣)، ومن وجاق المتفرقة على افندى المحاسبجى(٢١٤).

* ١١٢٢هـ = ١٧١٠م.

وسببه أنهم اتهموهم بأنهم يجتمعون بالباشا فى كل وقت ويُعرِّفونَه بالأحوال، وبانهم أغروه بقطع الجوامك المكتتبة بأسماء أولاد وعيال المحلول(٢١٥) عنهم، والجوامك المرتبة على (ص٩٠) الأوقاف. واتفق أنه مات جماعة فضبط جوامكهم المرتبة على اولاد وعيال المحلول عنهم وان العسكر راجعوه فى ذلك فلم يوافقهم على ذلك، وأيضا راجعه الاختيارية المرة بعد المرة، فقال لا أسلم إلا لمن ينقل اسمه إلى أحد الوجاقات السبعة، فمن نقل اسمه فإني لا أعارضه. فرضوا بذلك واخذوا منه فرمانًا. فورد بعد ذلك سلحدار(٢١٦) الوزير وعلى يده أوامر بإبطال المرتبات، وأن من عاند فى ذلك يؤدبه الحاكم، فأذعنوا بالطاعة. فاراد الباشا نفى الثلاثة أنفار من أختيارية العزب، فلم توافق العسكر. ثم اتفق العسكر على كتابة عرض بالاستعطاف بإبقاء ذلك وسافر به سبعة أنفار من الابواب السبعة.



جندى مشاه وخادمه

وفى يوم الخميس غاية ربيع الاول، تقلد الامير إيواز بك إمارة الحج عوضا عن ابراهيم بك لضعف مزاجه ووهن قوته.

وفى اوايل جمادى الاول سنة اثنتين وعشرين ومائة والف، ورد من الديار الرومية مرسوم قرىء بالديوان مضمونه أن وزن الفضة المصرية زايد فى الوزن عن وزن اسلامبول، والأمر بقطع الزايد. وان يضرب سكة الجنزرلى(٢١٧) ظاهرة، ويحرر عياره على ثلاثة وعشرين قيراطا. * عيار الدينار الجنزرلى ٢٣ قيراطا.

وفى ثامن رجب حصلت زلزلة فى الساعة الثامنة. وفيه ورد مرسوم بإبقاء المرتبات التى عرض فى شأنها كما كانت (ص٩١) ولكن لا يكتب بعد اليوم فى التذاكر اولاد وعيال، ولا ترتب على جهة وقف.

وفى خامس عشره ورد عزل إبراهيم باشا وولاية خليل باشا(٢١٨)، واقامة أيوب بك قايم مقام. ونزل ابراهيم باشا من القلعة إلى منزل عباس أغا ببركة الفيل. فكانت مدته ثمانية أشهر. ووصل خليل باشا الكوسج، وكان بصيدا(٢١٩) من أعمال الشام، فقدم بالبر يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة اثنتين وعشرين ومائة والف.

* عزل إبراهيم باشا.

٨٣ نيابة خليل باشا: مدته ١٧ شعبان ١١٢٢/ ١٣ رجب ١١٢٣هـ = ١١ أكتوبر ١٧١٠/ ٢٦ أغسطس ١٧١١م.

وفى ثانى عشر ذى القعدة ورد أمر بطلب ثلاثة الاف من العسكر المصرى وعليهم صنجق لسفر الموسقوا. وكانت النوبة على محمد بك حاكم جرجا حالاً، فتعذر سفره فاقيم بدله اسماعيل بك تابع ذو الفقار بك، فقلدوه الصنجقية، وأمره محمد بك بأربعين كيسا مصرية، وجعله بدلا عنه ولبس القفطان ثانى عشر الحجة.

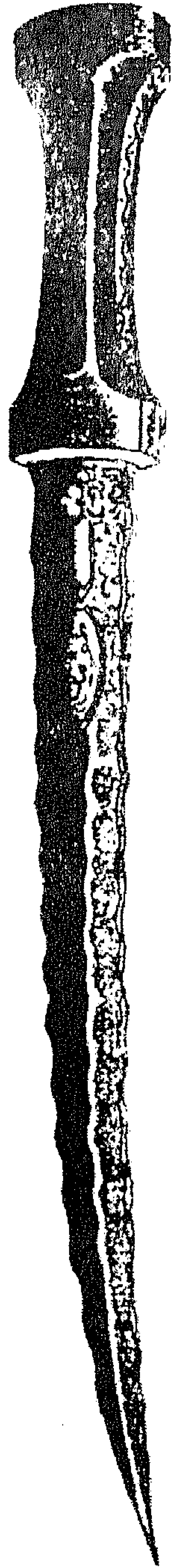
ودخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة والف

واستهل المحرم بيوم الخميس الموافق لرابع عشر أمشير القبطى(٢٢٠)، وسابع شباط الرومى. وفى ذلك اليوم انتقلت الشمس لبرج الحوت. وفيه نزل اسماعيل بك بموكب وشق فى وسط القاهرة إلى بولاق، وسافر بالعسكر فى منتصف المحرم. * ١١٢٣ هـ = ١٧١١م.

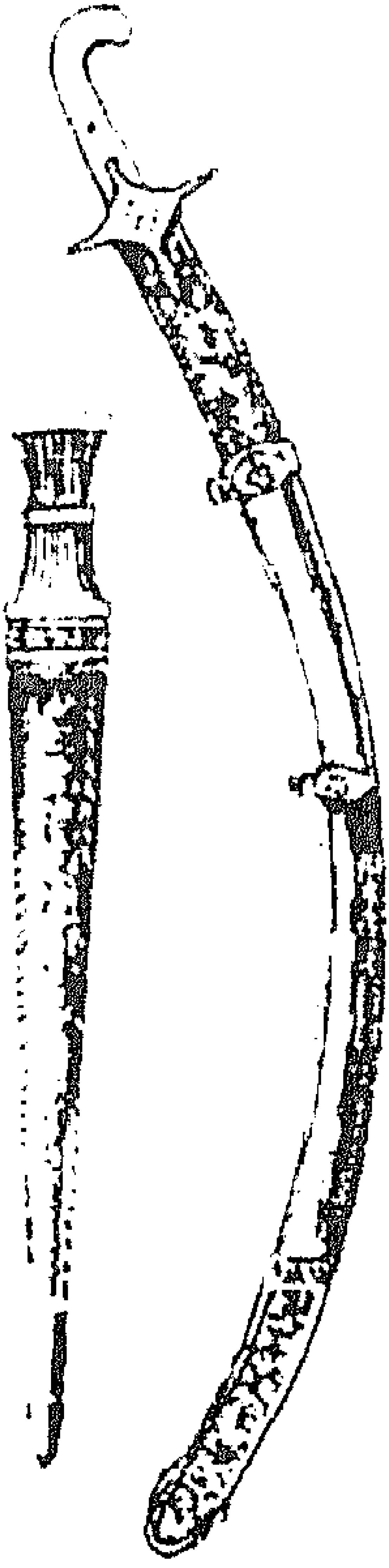
* محاولات عزل إفرنج أحمد واستمرار الأزمة بين القاسمية والفقارية.

وفى يوم الجمعة سادس عشره، اجتمع طايفة مصطفى كتخدا القزدغلى[٢٢١]، ومعهم من اعيان الانكشارية خمسة عشر (ص٩٢) نفرا، وأتفقوا أنهم لا يرضون إفرنج أحمد باش اوده باشه، فإما يلبس الضلمة[٢٢٢]، أو يكون جربجيا[٢٢٣] فى الوجاق، وإن لم يرض باحد الأمرين يخرج المذكورون من الوجاق ويذهبوا إلى اى وجاق شاوا. وكان الاجتماع بباب العزب، وساعدهم على ذلك أرباب البلكات الستة[٢٤٢] وصمموا أيضا على رجوع الثمانية انفار الذين كانوا أخرجوهم من باب الينكجرية. ومشت الصناجق بينهم والاختيارية، وصاروا يجتمعون تارة بمنزل قيطاس بك الدفتردار، وتارة بمنزل إبراهيم بك أمير الحاج سابقا. ثم أجمع رأى الجميع على نقل الثمانية أنفار المذكورين ومن انضم إليهم من الوجاقات إلى باب العزب، وأن يخرجوا أنفار كثيرة من مصر منفين، منهم ثلاث من الكتخداية وعشرة من الجربجية والباقى من الينكجرية. وعرضوا فى شان ذلك للباشا. فاتفق الامر على أن من كان منهم مكتوبا لسفر الموسقو فليذهب مع المسافرين ومن لم يكن مكتوبا فيعطى عرضه ويذهب إلى باب العزب، وحضر كاتب العزب والينكجرية فى المقابلة[٢٢٥]، واخرجوا من كان اسمه فى السفر، وما عداهم اعطوهم عرضهم، وتفرقوا عن ذلك، ووقع الحث على سفر من خرج (ص٩٣) اسمه فى المسافرين وعدم إقامتهم بمصر، وان يلحقوا بالمسافرين بثغر الاسكندرية.

وفى ثالث عشر صفر. قدم ركب الحاج صحبة أمير الحاج ايواز بك، وفيه اجتمع حسن جاويش القزدغلى [٢٢٦] الذى كان سردار [٢٢٧] القطار، والامير سليمان جربجى تابع القزدغلى سردار الصرة[٢٢٨]، وإبراهيم جربجى سردار جداوى[٢٢٩]. وطلبوا عرضهم من باب مستحفظان، فذهب إليهم اختيارية بابهم واستعطفوهم، فلم يوافقهم، ثم طلب موسى جوربجى تابع ابن الامير إيواز أن يخرج أيضا من الوجاق وينقلوا اسمه من الجملية، فلم يوافقه رضوان أغا. فذهب


خنجر مملوكى

موسى جربجى إلى ابراهيم بك، وايواز بك، وقيطاس بك، وسألهم أن يتشفعوا له فى ذلك، فلم يوافق رضوان أغا. فاتفق رايهم أن يعرضوا للباشا بأن يعزل رضوان أغا المذكور، ويتولى على أغاة الينكجرية سابق، وأن يعزل سليمان كتخدا الجاويشية ويولى عوضه إسماعيل أغا تابع إبراهيم بك، فامتنع الباشا من ذلك. وكانت اختيارية الجملية توافقوا مع الامرا الصناجق على عزل رضوان أغا، فلما رأوا امتناع الباشا، أخذوا الصندوق(٢٣٠) من منزل رضوان أغا واجتمعوا بمنزل جاويش، واجتمع أهل كل وجاق ببابهم، واستمروا على ذلك أياما. وأما الينكجرية الذين انتقلوا إإى العزب فإنهم اجتمعوا بباب العزب، وقطعوا الطريق الموصلة إلى القلعة، ومنعوا من يريد الطلوع إلى باب الينكجرية من العسكر والاتباع، ولم يبق فى الطريق (ص٩٤) الموصلة إلى القلعة إلا باب المطبخ. ثم توجهوا للسواقى(٢٣١) لأجل منع الماء عن القلعة. فمنعم العسكر من الوصول إليها، فكسروا خشب السواقى التى بعرب اليسار(٢٣٢)، وقطعوا الأحبال والقواديس، ثم إن نفرا من انفار الينكجرية أراد الطلوع من طريق المحجر فضربوه وشجعوا رأسه ومنعوه، فمضى من طريق الجبل ودخل فى باب المطبخ واجتمع بإفرنج أحمد، وبقية الينكجرية وعرفهم حاله، فأخذه جماعة منهم، وعرضوا أمره على خليل باشا وقاضى العسكر، فقالوا هولا [هؤلاء] صاروا بغاة خارجين عن الطاعة حيث فعلوا ذلك ومنعونا الماء والزاد، وأخافوا الناس وسلبوهم، فقد جاز لنا قتالهم ومحاربتهم، وذلك سابع عشر صفر. ثم ان احمد أوده باشه استأذن الباشا فى محاربة باب العزب وضربهم بالمدافع والمكاحل، فاذن له فى ذلك. ومن ذلك الوقت تعوق القاضى عن النزول [من الديوان(٢٣٣)] وأخافوه، واستمر مع الباشا إلى انقضاء الفتنة مدة سبعين يوما.



سيف وخنجر مملوكيان

* استفحال أزمة إفرنج أحمد وضربه لباب العزب بالمدافع.

ورجع افرنج احمد وشرع فى المحاربة وضرب على باب العزب المدافع، وذلك من بعد الزوال إلى بعد العشا، وقتل من طائفة العزب أربعة انفار بالمحجر.

ثم في صبيحة ذلك اليوم اجتمع من الأمرا الصناجق الأمير إيواز بك أمير الحاج، والأمير إبراهيم بك أبو شنب، وقانصوه بك، ومحمود بك، ومحمد بك تابع قيطاس بك الدفتردار، واتفقوا على أن يلبسوا آلة الحرب، ويذهبوا إلى الرميله معونة (ص٩٥) للعزب على الينكجرية، فأخبروا أن أيوب بك ركّب مدافع على طريق المارين على منزله، وعلى قلعة الكبش، وربما اذا طلعوا إلى الرميله يذهب أيوب بك وينهب منازلهم، فامتنعوا من الركوب، وجلسوا في منازلهم بسلاحهم خوفا من طارق.

واستمر إفرنج أحمد يحارب ثلاثة أيام بلياليها. واجتمع على رضوان أغا [مع] طايفة من نفره وتذاكروا على من كان سببا لاثارة الفتنة، فقالوا سليم جربجي، ومحمد افندى بن طلق، ويوسف افندى، واحمد جوربجي توالي. فقالوا لا نرضى هولا الاربعة بعد اليوم ان يكونوا اختيارية علينا. ثم ركبوا وتوجهوا إلى منزل قيطاس بك، وأرسلوا من كل بلك اثنين من الاختيارية إلى منزل أيوب بك يطلبون رضوان أغا. فأركبوه في موكب عظيم، وكتبوا تذاكر للاربعة الاختيارية المذكورين بان يلزمون بيوتهم، ولا يركبون لأحد، ولا يجتمع بهم أحد. ثم ركب رضوان أغا الى منزل أيوب بك وتذاكروا في الصلح وكتبوا تذكرة لاحمد أود باشه بابطال الحرب فأبى من الصلح. فكتبوا عرضا إلى الباشا عن لسان الصناجق وأغوات الوجاقات الخمس[٢٣٤] برفع المحاربة. فأرسل الباشا إلى الينكجرية فامتثلوا أمره، وأبطلوا الحرب وضرب المدافع.

ثم ان الصناجق والاغوات أرسلوا يطلبون جماعة من اختيارية الينكجرية ليتكلموا معهم في الصلح، فأجابوا إلى الحضور، غير انهم تعللوا بانقطاع الطريق من العسكر (ص٩٦) المقيمين بالمحجر، فارسلوا إلى حسن كتخدا العزب[٢٣٥]، فارسل إليهم من أحضرهم وخلت الطريق. فاجتمع رأى الينكجرية على إرسال حسن كتخدا سابقا،



قوس وسهام

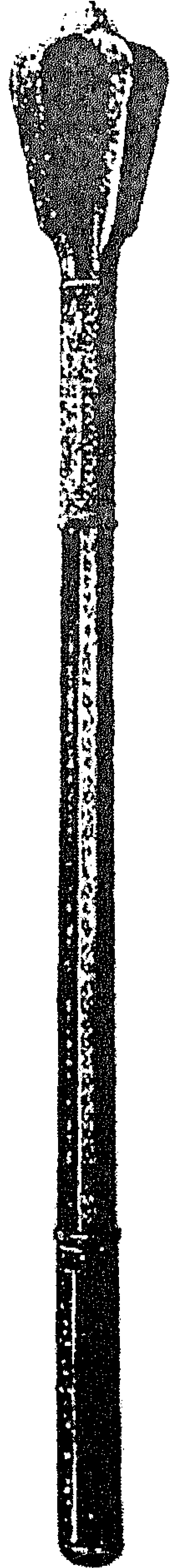
وأحمد بن مقز كتخدا سابقا أيضا. فاجتمعوا بالعسكر والصناجق بمنزل اسماعيل بك، وحضر معهم جميع أهل الحل والعقد، وتشاوروا فى إخماد هذه الفتنة، وأرسلوا إلى باب الينكجرية. فقالوا نحن لا نأبى الصلح بشرط ان هولا الثمانية الذين كانوا سببا لإثارة هذه الفتنة لا يكونون فى باب العزب بل يذهبون إلى وجاقاتهم الأصلية، ولا يقيمون فيه، وأن يسلموا الأمير حسن الاخميمى للباشا يفعل فيه رأيه. فأبى أهل باب العزب ذلك ولم يرضوه. فأرسل الامرا الصناجق كتخداتهم إلى إفرنج أحمد، ومعهم اختيارية الوجاقات الخمسة يشفعون عنده بأن الانفار الثمانية يرجعون كما ذكرتم إلى وجاقاتهم، ويُعفون من النفى ومن طلب الامير حسن. فلم يوافق إفرنج أحمد علَى ذلك، وقال إن لم يرضوا بشرطى وإلا حاربتهم ليلا ونهارا إلى أن أخفى آثار ديار العزب. فتفرقوا على غير صلح. ثم اجتمع الأمراء الصناجق والأغوات فى رابع شهر ربيع بمنزل ابراهيم بك بقناطر السباع(٢٣٦)، وتذاكروا فى إجراء الصلح على كل حال، وكتبوا حجة على أن من صدر منه بعد اليوم ما يخالف رضا الجماعة يكون خصم الجماعة المذكورين جميعا، وكلموا أيوب بك أن يرسل إلى إفرنج أحمد بصورة (ص٩٧) الحال، وأن يمنع المحاربة إلى تمام الأمر المشروع. فبطل الحرب نحو خمسة عشر يوما. وأخذ إفرنج أحمد مدة هذه الأيام فى تحصين جوانب القلعة وعمل متاريس ونصب مدافع وتعبية ذخيرة وجبخانه، وملاوا الصهاريج. وحضر فى أثناء ذلك محمد بك حاكم الصعيد ونزل بالبساتين(٢٣٧). وأقام ثلاثة أيام ودخل فى اليوم الرابع ومعه السواد الأعظم من العرب والمغاربه والهوَّارة(٢٣٨)، ونزل ببيت آق بردى بالرميله، وحارب من جامع السلطان حسن(٢٣٩) من منزل يوسف اغات الجراكسة سابقا، فلم يظفر، وقتل من جماعته نحو ثلاثين نفرا، وظهر عليه محمد بك المعروف بالصغير(٢٤٠) تابع قيطاس بك مع من انضم إليه من أتباع إبراهيم بك وايواز بك ومماليكه، وكانوا تترسوا فى ناحية سوق

* إفرنج أحمد يرفض شروط المفاوضات.

* هدنة مدتها ١٥ يوما ينتهزها إفرنج أحمد لدعم تحصيناته.

* الاستعانة ببدو المغاربة والهوارة فى الصراع بين القاسمية والفقارية.

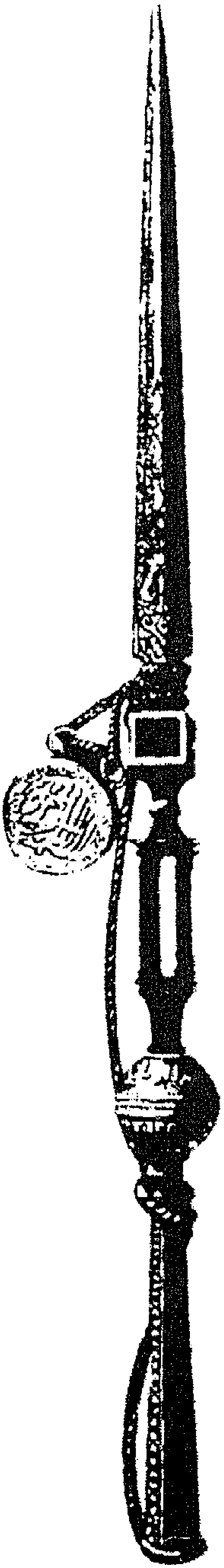
مقمعة من الحديد لضرب رأس العدو



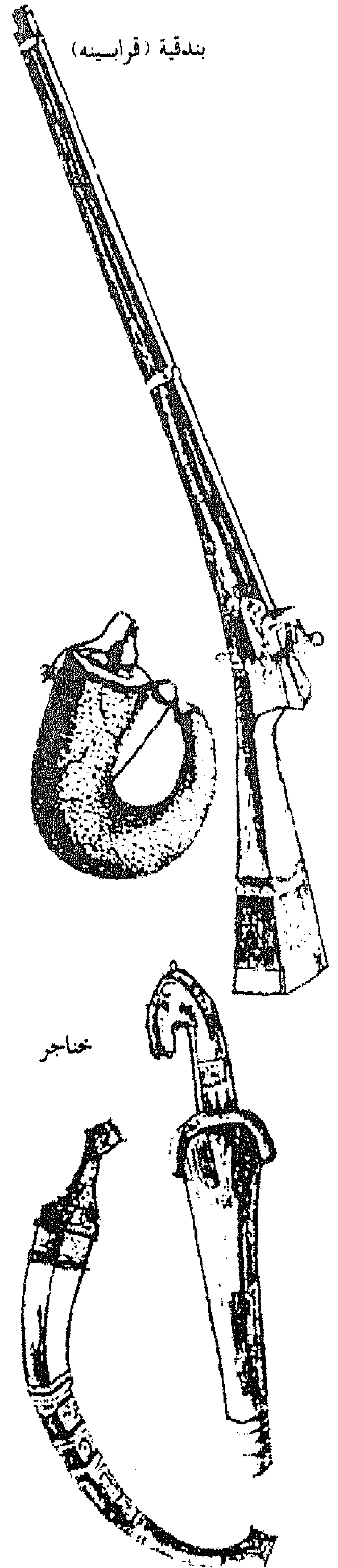
السلاح[٢٤١]، ووضعوا المتاريس فى شبابيك الجامع، وانتقل من محله وذهب إلى طولون [٢٤٢]، وتترس هناك، وهجم على طايفة العزب الذين كانوا بسبيل المؤمنين على حين غفلة وصحبته ذو الفقار تابع ايوب بك، فوقع بينهم مقتلة عظيمة من الفريقين، فلم يطق العزب المقاومة، فتركوا السبيل وذهبوا إلى باب العزب. وربط محمد بك جماعة من عسكره فى مكانهم. ثم إن الشيخ الخليفى طلع إلى باب الينكجرية وتكلم مع أحمد أود باشه والاختيارية فى امر الصلح، فقام عليه إفرنج أحمد واسمعه ما لا يليق (ص٩٨) وارسل إلى الطبجية وأمرهم بضرب المدافع على حين غفلة، فانزعج الناس وقاموا وقام الشيخ [الخليفى] ومضى. وأما سكان باب العزب فإنهم أخذوا ما أمكنهم من أمتعتهم وتركوا منازلهم ونزلوا المدينة، وتفرقوا فى حارات القاهرة، وحصل عند الناس خوف شديد، وأغلقوا الوكايل والخانات والاسواق. ورحل غالب السكان القريبين من القلعة، مثل جهة الرميلة، والحطابة والمحجر خوفا من هدم المنازل عليهم، وكان الأمر كما ظنوه، فإن غالبها هدم من المدافع واحترق، والذى سلم منها حرقه عسكر طوايف الينكجرية بالنار، ولم يصب باب العزب شىء من ذلك ماعدا مجلس الكتخدا، فإنه انهدم منه جانبا، وكذلك موضع الأغا لا غير.

ثم ان إفرنج أحمد توافق مع أيوب بك، وعينوا عمر أغات جراكسه، واحمد أغا تفكجيان ورضوان اغا جمليان، فقعدوا بمن انضم إليهم بالمدرسة بقوصون[٢٤٣]، وجامع مرْذاده[٢٤٤] بسويقة العزى[٢٤٥]، وجامع قجماس بالدرب الاحمر ليقطعوا الطريق على العزب، واختار إفرنج أحمد نحو تسعين نفراً من الينكجرية وأعطى كل شخص دينارا طرلى، وأرسلهم بعد الغروب إلى الأماكن المذكورة. فأما رضوان أغا فإنه تعلَّل واعتذر عن الركوب، وأما أحمد أغا فإنه توجه إلى المحل الذى عُين له، فتحارب مع طايفة الصناجق والعزب فى الجنابكية. وأما الذين ربطوا بجامع مرذاده فلم (ص٩٩) يأتهم أحد إلى الصباح، فأخذوا

راس حربة



الفطور من الذاهبين به إلى باب العزب. وفى أثناء ذلك نزل رجل أوده باشه من العزب من [جامع] السلطان حسن يريد منزله فَقَبِضَ عليه طايفة من الأخصام وسلبوه ثيابه وتركوه بالقميص، وأرسلوه إلى إفرنج أحمد. فلما بلغ العزب ذلك أرسلوا طايفة منهم إلى المقيمين بجامع مرذادة، فدخلوا من بيت الشريف يحى بن بركات ونقبوا منزل عمر كِتخدا مُستحفظان، إذ ذاك، وما بجواره من المنازل، إلى أن وصلوا منزل مراد كتخدا، فبمجرد ما رآهم العسكر الذين بجامع مرذاده فروا. وأما عمر أغا جراكسة المقيم بجامع قجماس، فإنه وزع أتباعه جهة باب زويله وجهة التبانه(٢٤٧)، فحصل لأهل تلك الخطة خوف شديد، خصوصا من كان بيته بالشارع، فأرسلت العزب صالح جربجى الرزاز(٢٤٨) بجملة من عسكر العزب ومن انضم إليهم من الينكجرية الذين انقلبوا إلى العزب، كأتباع الأمير حسن باش جاويش سابقا، والأمير حسن جاويش تابع القزدغلى، والأمير حسن جلب كتخدا، وجماعة محمد جاويش كدك(٢٤٩)، فحاربوا مع من [كان] بجامع قجماس، واستولى صالح جربجى عليه وعلى المتاريس التى بشبابيكه، وملك الأمير حسن جاويش تابع القزدغلى جامع المردانى(٢٥٠)، وأقام به، وحسن جاويش جلب (ص١٠٠) أقام بجامع أصْلَم(٢٥١)، وانتشرت طوايفهم بتلك الأخطاط والاماكن، فاطمأن الساكنون بها. وأما عمر أغاة الجراكسه فإنه لما فر من جامع قجماس ذهب إلى جامع المؤيد(٢٥٢) داخل باب زويله، ثم إن محمد بك أرسل يطلبه فركب ومر أحمد على أغا التفكجية، فأركبه معه، وذهبا إلى محمد بك الصعيدى بالصليبة(٢٥٣)، وحصل لأهل خُط قوصون(٢٥٤) خوف عظيم بسبب إقامة أحمد أغا بالسليمانية(٢٥٥)، ورحل غالبهم من المنازل. فلما رحل عنهم اطمأنوا وتراجعوا. وحضرت طايفة من المتفرقة إلى محل أحمد أغاة التفكجية وعملوا متاريس على راس عطفة الحطب، ومكثوا هناك أياما قلايل ثم رحلوا عنها، فأتى على الكتخدا الساكن بالداودية بطايفة



من العزب فتملكوا ذلك الموضع وجلسوا به. ثم ان طايفة من المتفرقة والإسباهية هجموا على منزل الأمير قوا إسماعيل كتخدا، فلما وصل الخبر إلى العزب عينوا له بيرقا من عسكر العزب وريسهم أحمد جربجى تابع ظالم على كتخدا، فلم يمكنه الدخول من جهة الباب، فخرق صدر دكان، وتوصل منه إلى منزل اسماعيل كتخدا، ودخلوا على طايفة البغاة فوجدوهم مشغولين فى نهب اثاث المنزل المذكور، فهجموا عليهم هجمة واحدة، فألقوا ما بأيديهم (ص١٠١) من السلب ورجعوا القهقرى إلى المحل ا لذى دخلوا منه من بيت مصطفى بك، فتبعوهم وتقاتل الفريقين إلى أن كانت الدائرةعلى المتفرقة والإسباهية، ونهب العزب منزل مصطفى بك لكونه مكّن البغاه من الدخول إلى منزله، ولكونه كان مصادقا لأيوب بك. ثم ان أحمد جربجى المذكور انتقل بمن معه من العسكر إلى قوصون، ودخل جامع الماس[٢٥٦] وتحصن به، وكان محمد بك حاكم جرجا يمر من هناك ويمضى إلى الصليبة فانتهز أحمد جربجى فرصة وهو أنه وجد منزل حسين كتخدا الجزايرلى خاليا، فدخل فيه فرأى داخله قصرا متصلا بمنزل محمد كتخدا عزبان، المعروف بالبيرقدار، يعلو دهليز منزله، وطبقاته تشرف على الشارع، فمكث فيه هو وطايفته ممن معه ليغتال محمد بك إذا مرّ به، وإذا بمحمد بك قد خرج من عطف الحطب مارا إلى جهة الصليبة، فضربوه بالبندق، فأصيب أربعة من طايفته فقتلوا، فظن أن الرصاص أتاه من منزل محمد كتخدا البيرقدار، فوقف على بابه وأضرم النار فيه فاحترق أكثر المنزل، ونهبوا ما فيه من أثاث ومتا ع، ثم إن النار اتصلت بالأماكن المجاورة له والمواجهة فاحترقت البيوت والربا ع والدكاكين التى هناك من الجهتين من جامع الماس إلى تربة المظفر يميناً وشمالاً، وأُفسدت ما بها من الأمتعة، والذى لم يحترق نهبته البغاة (ص١٠٢) وخرجت النسا حواسر مكشفاة الوجوه، فاستولى أحمد جربجى على جامع الماس، وعلى كتخدا الساكن

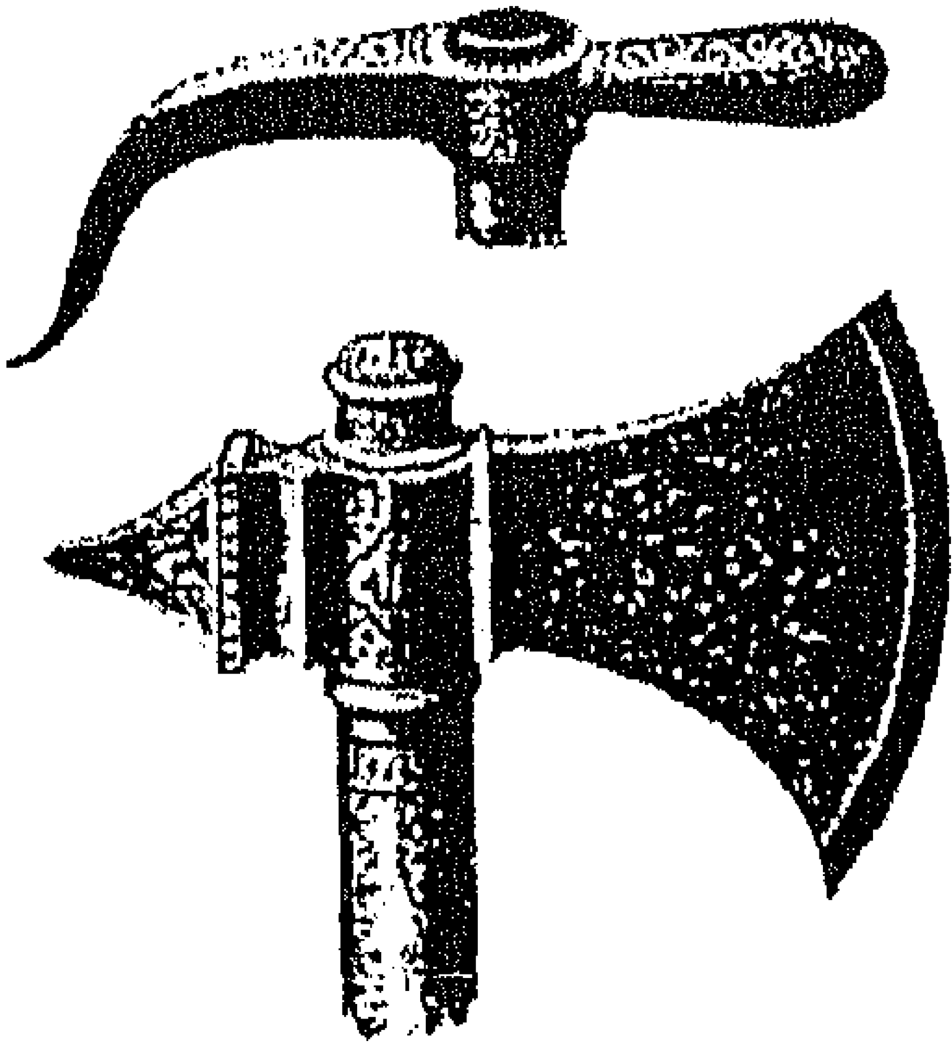
بالداودية أقام بالمدرسة السليمانية، وأما أطراف القاهرة وطرقها فإنها تعطلت من المارة، وعلى الخصوص طريق بولاق ومصر العتيقة والقرافة لكون أيوب بك أرسل إلى حبيب الدجوى(٢٥٧) يستعين به، فحضر منهم طايفة، وكذلك أخلاط الهواره الذين حضروا من الصعيد صحبة محمد بك فاختلطوا بالأطراف يسلبون الخلق، واستاقوا جمال السقايين حتى كادَ أهل مصر يموتون عطشا. وصار العسكر فرقتين: إيواز بك وقيطاس بك الدفتردار، وابراهيم بك أمير الحاج سابقا، ومحمد بك وقانصوه بك وعثمان بك ابن سليمان بك، ومحمود بك، وبلكات الإسباهية الثلاثة والجاويشية والعزب عصبة واحدة، وايوب بك ومحمد بك الكبير وأغوات الاسباهية من غير الأنفار، ومحمد أغا متفرقة باشه واهل بلكّه، وسليمان أغا كتخدا الجاويشية، وبلك الينكجرية المقيمين بالقلعة صحبة إفرنج أحمد، والباشا، وقاضى العسكر، الجميع عصبة واحدة. وأخذوا عندهم نقيب الأشراف بحيلة واحتبسوه عندهم، وأغلقوا جميع أبواب القلعة ماعدا باب الجبل. وامتنع الناس من النزول من القلعة والطلوع إليها إلا من الباب المذكور. واستمر (ص١٠٣) إفرنج أحمد ومن معه يضربون المدافع على باب العزب ليلا ونهارا. وبباب العزب خلق كثيرون منتشرون حوله، وما قاربه من الحارات ورتبوا لهم جوامك تصرف عليهم كل يوم، فلما طال الامر اجتمع الأمرا الصناجق بجامع بشتك(٢٥٨) بدرب الجماميز واتفقوا على عزل الباشا وإقامة قايمقام من الامرا، فأقاموا قانصوه بك قايمقام نايباً، وولوا أغوات البلكات وهم الاسباهية الثلاثة، فولوا على الجُمليه صالح أغا وعلَى الجراكسه مصطفى أغا، وعلَى التفكجيه محمد أغا ابن ذى الفقار بك، وإسماعيل أغا جعلوه كتخدا الجاويشية، وعبد الرحمن أغا متفرقه باشه. وقلدوا الزعامة للأمير حسن، الذى كان زعيماً وعزله الباشا بعبد الله أغا. فلما أحكموا ذلك وبلغ الخبر طايفة الينكجريه الذين بالقلعة توجهوا الى خليل باشا وأخبروه بالصورة، فكتب لأغوات البلكات

* البدو المشاركين فى الصراع بين القاسمية والفقارية ينشغلون بأعمال السلب والنهب.



باش جاوشى

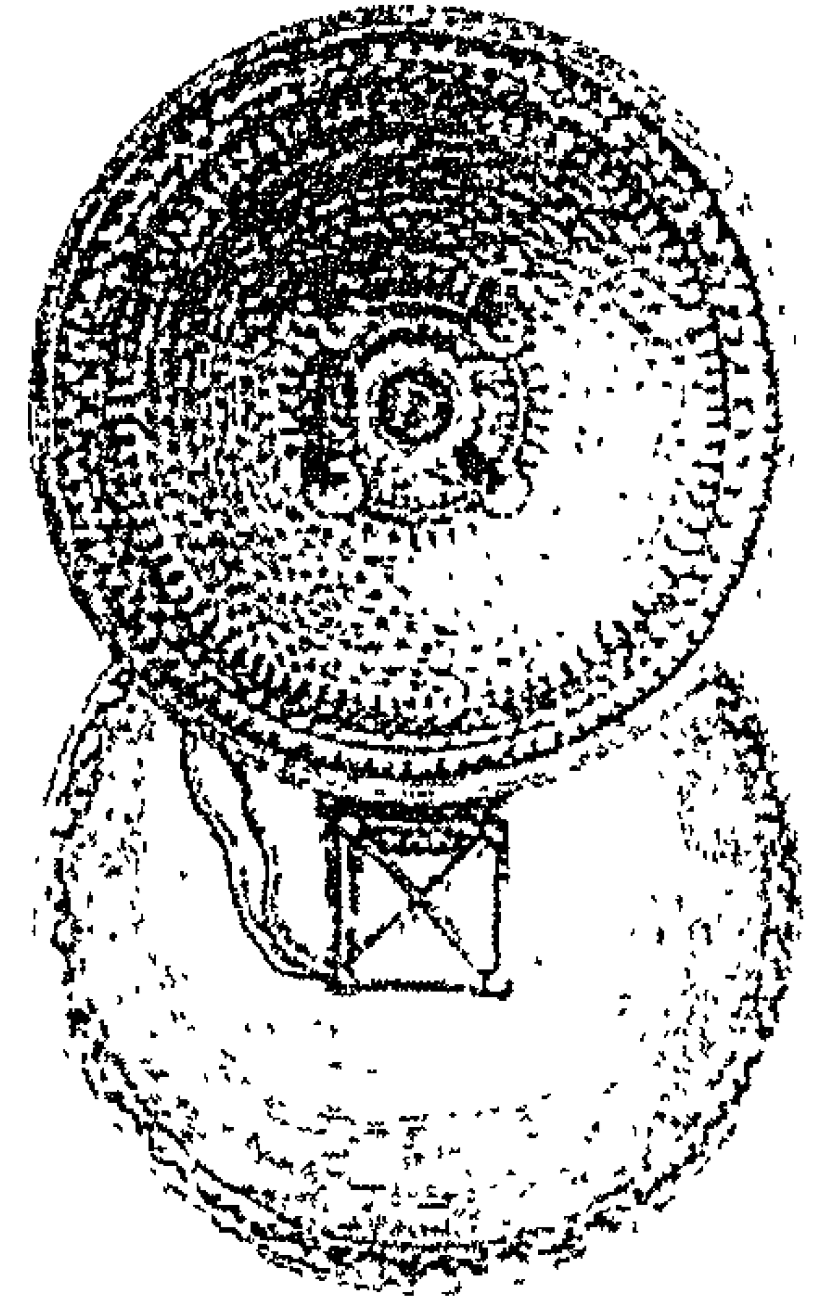
بلطة وفاس



الثلاث ومتفرقه باشه يأمرهم بمحاربة الصناجق ومن معهم لكونهم بغاه خارجين على نايب السلطان. ثم أتفق مع إفرنج أحمد على اتخاذ عسكر جديد يقال لهم «سردن كجدى[٢٥٩]» ويعطى لكل من كتب اسمه خمسة دنانير وخمسة عتامنه، فكتبوا ثمانماية شخص، وعلى كل ماية بيرقدار[٢٦٠] وريس يقال له أغات السردن كجدى[٢٦١]. ثم إن محمد بك الصعيدى اتفق مع إفرنج أحمد بأن يهجم على طايفة العزب من طريق قراميدان، ويكسر باب العزب فاستعدوا له وكمنوا قريبا من الباب المذكور، فلما كان بعد العشا الاخيره هجموا على (ص١٠٤) الباب المذكور، وكان العزب أحضروا شيئا كثيرا من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والكبريت، فلما تكامل عسكر محمد بك أوقدوا النار فى ذلك الحطب فأضاء لهم قراميدان وصار كالنهار، ثم ضبربوهم بالبندق ففروا، فصار كل من ظهر لهم ضربوه، فقتلوا منهم طايفة كثيرة وولوا منهزمين.

* الباشا يدخل فى الصراع ويتخذ عسكر جديد «سردن كجدى» للهجوم على العزب

* هجوم فاشل للسردن كجدى على باب العزب


درع من الحديد

ثم إن قانصوه بك صار يكتب بيورلدات وأوامر ويرسلها إلى محمد بك الصعيدى يأمره بالتوجه إلى ولايته آمنا على نفسه وليُحصل ما عليه من الاموال السلطانية، فأرعد وأبرق.

ثم إن جماعة من العزب أخذوا حسن الوالى المُولىّ من طرف قايمقام مصر، وذهبوا وصحبتهم جماعة من أتباع الأمرا الصناجق إلى باب الوالى ليملكوه، فلما بلغ الخبر عبد الله أغا الوالى أخذ فرشه، وفرّ إلى بيت أيوب بك، وفر الاوده باشه أيضا، فلما لم تجد العزب أحدا فى بيت الوالى توجهوا لمنزل عبد الله الوالى لينهبوه، فقام عليهم جماعة من اتباع سليمان كتخدا الجاويشية ومن بجوارهم من الجند فهزموا العزب وقتلوا منهم رجلا، فأقام حسن الوالى بباب قيطاس بك الدفتردار.

فلما اتسع الخرق أرسل الباشا إلى إبراهيم بك وإيواظ بك وقيطاس (ص١٠٥) بك يطلبهم إلى الديوان ليتداعوا مع الينكجرية، فلما

حضر تابع الباشا وقرأ عليهم الفرمان أجابوا بالسمع والطاعة، واعتذروا عن الطلوع بانقطاع الطرق من الينكجرية وترتيب المدافع، ولولا ذلك لتوجهنا إليه. فلما يئس الباشا منهم اتفق مع أيوب بك ومن انضم إليه من العسكر على محاربتهم.

* معركة القصر العينى الأولى.

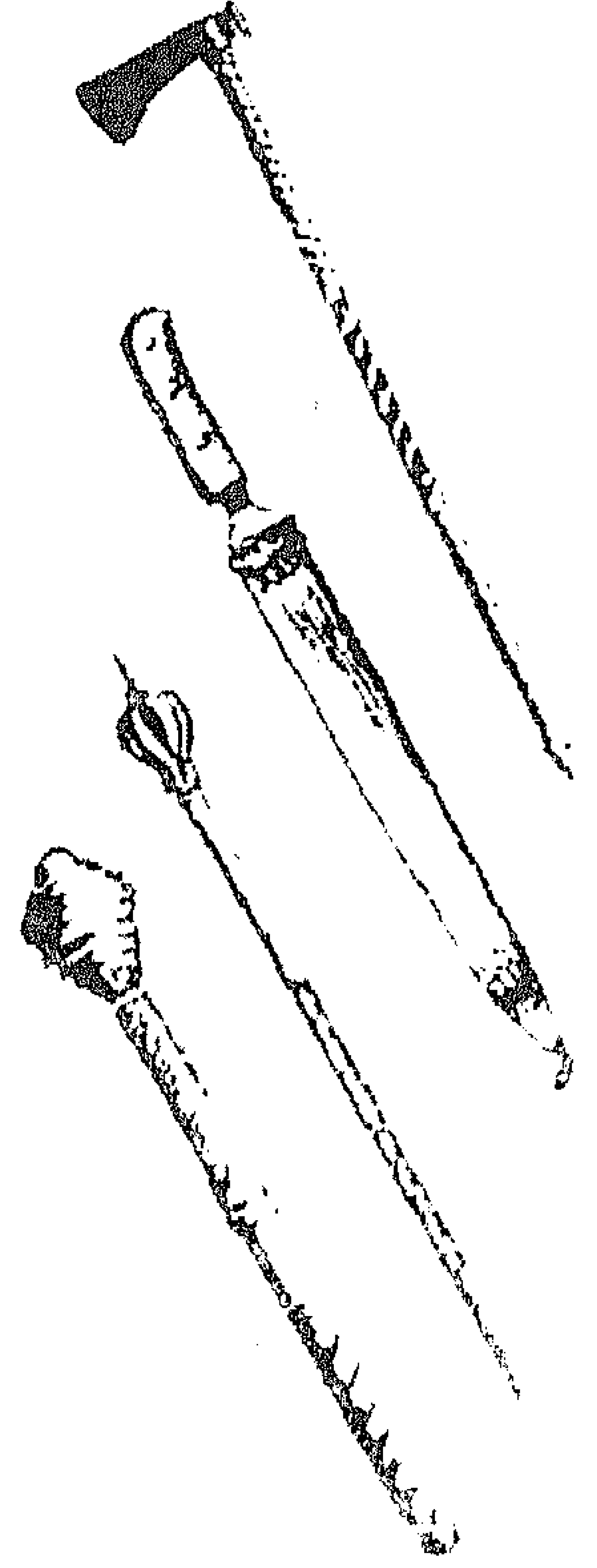
وبرز الجميع إلى خارج البلد(٢٦٢). فلما كان يوم الاحد ثالث ربيع الاول أرسلوا أيوب بك ومحمد بك إلى العربان ليأخذوا جمالَ السقايين وحميرهم، ومنع الماء عن البلد، فأخذوا جميع ما وجدوه فعزّ الماء، ووصل ثمن القربة خمسة أنصاف فضه، فأمر الأمراء الآخرون طايفة من العسكر أن يركبوا إلى جهة قصر العينى، ويستخلصوا الجمال ممن نهبهم(٢٦٣). فتوجهوا وجلسوا بالمساطب (٢٦٤) ينتظرون من يمر عليهم بالجمال. فلما بلغ محمد بك حضورهم هناك جمع طايفة من الهوارة وهجموا عليهم وهم غير مستعدين. فاندهشوا ودافعوا عن أنفسهم ساعة ثم فروا. وتأخر عنهم جماعة لم يجدوا خيلهم لكون سوّا سهم أخذوها وفروا، فقتلهم محمد بك وأرسل روسهم للباشا فانسر سرورا عظيما، واعطى ذهبا كثيرا.

* معركة القصر العينى الثانية ومصرع أكثر من ٤٠٠ من الجند.

* مصرع ايواظ بك فى المعركة وقطع راسه وفرح الباشا بذلك.

فلما رجع المنهزمون إلى منزل قانصوه بك وإيواظ بك، لم يسهل عليهم ذلك واتفقوا على البروز اليهم، فركبوا فى يوم الاثنين رابع عشر ربيع الثانى، وخرج الفريقان إلى جهة قصر العينى والروضه فتلاقيا وتحاربا وتقاتلا قتالا شديدا تجندلت فيه الأبطال، وقتل من الجند خاصة زيادة عن الاربعماية نفر من الفريقين خلا العربان والهوارة وغيرهم. وقصد إيواظ بك محمد بك (ص١٠٦) الصعيدى، فانهزم إلى جهة المجراة (٢٦٥) فساق خلفه. وكان الصعيدى قد أجلس أنفارا فوق المجراة مكيدة وحذرا، فضربوا على إيواظ بك بالرصاص ليردوه. فأصيب برصاصة فى صدره فسقط عن جواده وتفرقت جموعه وأخذ الأخصام رأسه. وبينما القوم فى المعركة إذْ ورد عليهم الخبر بموت إيواظ بك فانكسرت نفوسهم، وذهبوا فى طلبه فوجدوه مفتولاً مقطوع الراس،

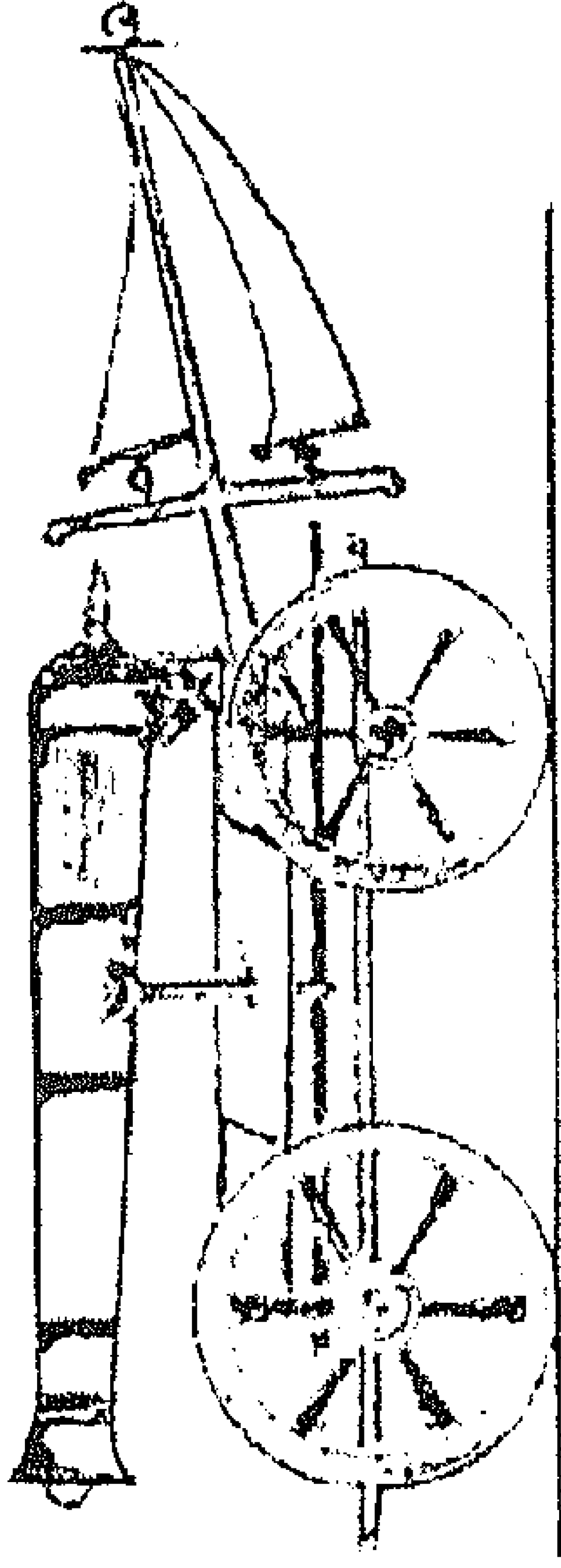
فحمله اتباعه ورجع القوم إلى منازلهم. ولما قطعوا رأس إيواظ بك وذهبوا [٢٦٦] بها إلى محمد بك، قال: هذه رأس من؟ قالوا: رأس قليدهم[٢٦٧] إيواظ بك. فأخذها وذهب بها عند ايوب بك ورضوان. فقال أيوب بك: هذه راس من؟ قال: راس قليدهم. فبكى أيوب بك وقال: حرم علينا عيش مصر. قال محمد بك: هذه رأس قليدهم وراحت عليم. قال له ايوب بك: أنت ربيت فى أين؟ أما تعلم أن إيواظ بك وراه رجال وأولاد ومال، وهذه الدعوة ليس للقاسمية فيها جناية، والآن جرى الدم فيطلبون تارهم ويصرفون مالا ولا يكون إلا ما يريده الله.


فأس حربية. خنجر. مقمعتان

ولما ذهبوا بالرأس إلى الباشا فرح فرحا شديدا، وظن تمام الأمر له ولمن معه، واعطى ذهباً وبقاشيش، ودفنوا إيواظ بك، وطلبوا من أيوب بك الراس، فأرسلها لهم بعد ما سلخها[٢٦٨]، فدفنوها مع جثته، ثم إن أيوب بك كتب تذكرة، وأرسلها إلى إبراهيم أبو شنب يعزيه فى إيواظ بك، ويقول له: إن شاء الله تعالى بعد ثلاثة أيام ناخذ خاطر الباشا ويقع الصلح. وأرادو بذلك التشبيط حتى ياخذوا من (ص١٠٧) الباشا دراهم يصرفونها ويرتبوا أمرهم.

وأما ما كان من أمر أتباع إيواظ بك، فركب يوسف الجزار[٢٦٩]، وأخذ معه إسماعيل ابن إيواظ بك[٢٧٠] المتوفى واحمد كاشف[٢٧١]، وذهبوا عند قانصوه بك[٢٧٢]، فوجدوا عنده إبراهيم بك وأحمد بك مملوكه وقيطاس بك وعثمان بك بارم ديله، ومحمد بك الصغير المعروف بقطامش جالسين وعليهم الحزن والكآبة. فلما استقر بهم الجلوس بكى قيطاس بك، فقال له يوسف الجزار: وإيش فايدة البكاء؟ دبروا أمركم. قالوا: كيف العمل؟. قال يوسف الجزار: هذه الواقعة ليس لنا فيها علاقة، أنتم فقارية فى بعضكم، وإننا الآن انجرحنا، ومات واحد خلف ألفا، وخلف مالا، اعملوا صنجقا وأمير حاج وسر عسكر، واعملوا ابن سيدى اسماعيل صنجقا يفتح بيت أبيه وفيه البركة، واعطونى فرمانا

منَ الذى جعلتموه قايمقام، وحجة من نايب الشرع الذى أقمتموه أيضا، على أن الذى سقطت عدالته يسقط عنه حلوان البلاد[٢٧٣]، ونحن نصرف الحلوان على العسكر، والله يعطى النصر لمن يشاء من عباده. ففعلوا ذلك وراضوا أمورهم فى الثلاثة[٢٧٤] أيام، وتهيـاء الفريقان للمبارزة، وخرجوا يوم السبت تاسع عشر ربيع الثانى. وكان إيوب بكَ حصّن منزله. فاتفق رأيهم على محاربة العسكر المجتمعة اولا، ثم محاصرة المنزل، فخرج ايوب بك على محاصرة [جامع] طولون، ووقعت حروب وأمور ثم رجعوا إلى منازلهم، فلما راى طايفة العزب تطاول الأمر وعدم التوصل إلى القلعة، وامتناع من فيها وضرب المدافع عليم (ص١٠٨) ليلا ونهارا اجتمع رأيهم على أن يولوا كتخدا على الينكجرية، ويجلسوه بباب الوالى بطايفة من العسكر، وينادوا فى الشوارع بأن كل من كانت له علوفة فى وجاقات مستحفظان يأتى تحت البيرق بالبوابة، ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام ينهب بيته. ففعلوا ذلك وعملوا حسن جاويش قريب المرحوم جلب[٢٧٥] خليل كتخدا لكونها نوبته[٢٧٦]، وألبسه قانصوه بك قايمقام قفطانا، وركب أمامه الوالى والبيرق والعسكر، والمنادى أمامه ينادى بما ذكر، إلى أن نزل بيت الوالى، وأحضروا الادباشه المتولى اذ ذاك، واجلسوه محله، وطاف البلد بطايفته، وكذلك العسكر.

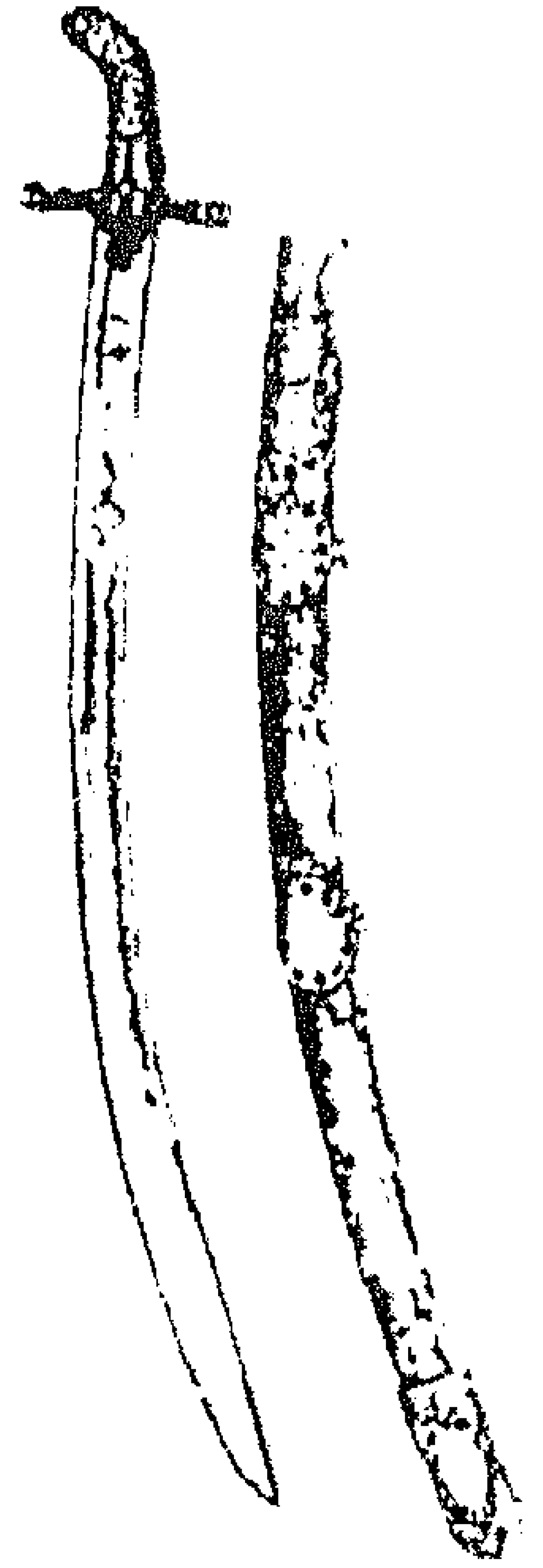


مدفعية ثقيلة تجر بالدواب

* هجوم الينكجرية على باب العزب وصدهم بالمدافع المحشوة بالفلوس الجدد.

وفى يوم الخميس هجمت الينكجرية من البُدْروم[٢٧٧] على باب العزب، ومعهم محمد بك الكبير وكتخدا الباشا وإفرنج أحمد، فعندما نزل أولهم من البدروم وكان العزب قد أعدوا فى الزاوية التى تحت قصر يوسف مدفعين ملآنين بالرش والفلوس الجدد[٢٧٨] فضربوا عليهم، فوقع محمد أغا[٢٧٩] سركدك والبيرقدار وأنفار منهم، فولوا منهزمين يطأ بعضهم بعضا. فاخذ العزب روس المقتولين، فأرسلوها إلى قانصوه بك، ثم ان قايمقام والصناجق اتفقوا على تولية على أغا مستحفظان لضبطه واهتمامه، فلما أرسلوا له ابى أن يفعل ذلك،

فتغيب من منزله، فركب يوسف بك الجزار ومحمد بك الصغير وعثمان بك، في عدَّة كبيرة، ودخلوا على منزل على أغا فلم يجدوه وأخبروا بالمكان (ص١٠٩) الذى هو فيه، فطلبوه، فأتى بعد امتناع وتخوف وتوجه معهم إلى قايمقام، فألبسه قفطان الأغاويه يوم الخميس [سا]بع عشر ربيع الثاني، وعاد إلى منزله بالقفطان، يتقدمه العساكر مشاة بالسلاح والملازمون معلنين بالتكبير وبلفظ الجلالة، كما هي عادتهم في المواكب.



* معركة القصر العينى الثالثة وتراجع الخصمين إلى داخل القاهرة.

وفي صبيحة ذلك اليوم عين قايمقام بمعرفة حسن كتخدا مستحفظان طايفة من العسكر إلى بولاق صحبة أحمد جربجي ليجلسوه في التكية[٢٨٠] وصحبته والى بولاق، وأغا من المتفرقة عوضا عن أغاة الرسالة الذى ياتى بها من جانب الباشا، فأجلسوه في منزله، ونهبوا ما وجدوه لآغات الرسالة الاولى من فرش وأمتعة وخيل وغير ذلك.

وفي صبيحة يوم السبت سادس عشريه خرج الفريقان إلى خارج القاهرة من باب قناطر السباع، واجتمعوا بالقرب من قصر العينى ومعهم المدافع وآلات الحرب، فتحارب الفريقان من ضحوة النهار إلى العصر، وقتل من الفريقين من دنا أجله، وايوب بك ومحمد بك بالقصر [العينى[٢٨١]]، ثم تراجع الفريقان إلى داخل البلاد. وتأخرت طايفة من العزب فأتى إليهم محمد بك الصعيدى، واحتاط بهم وحاصرهم. وبلغ الخبر قانصوه بك، فأرسل إليهم يوسف بك ومحمد بك وعثمان بك، فتقاتلوا مع محمد بك الصعيدى وهزموه وتبعوه الى قنطرة السد. وقد كان أيوب بك داخل التكية المجاورة لقصر (ص١١٠) العينى: فلما رأى الحرب ركب جواده ونجا بنفسه، فبلغ يوسف بك أنه بالتكية، فقصدوه واحتاطوا بالقصر. فأخبرهم الدراويش بذهابه، فلم يصدقوهم، ونهبوا القصر [العينى] وأخربوه وأحرقوه وعادوا إلى منازلهم. وفي صبيحة يوم الاحد ذهب يوسف بك الجزار، ونهب غيط إفرنج احمد الذى بطريق بولاق، ثم اجتمعوا في محل



فارس مملوكى

الحـــرب[٢٨٢] وتحاربوا، ولم يزالوا على ذلك. وفى كل يوم يقتل منهم ناس كثير.



معارك المماليك

وفى ثاني جماد اول أجتمع الامرا الصناجق بمنزل قايمقام، وتنازعوا بسبب تطاول الحرب وامتداد الايام، ثم اتفقوا على ان ينادوا فى المدينة بان من له اسم فى وجاق من الوجاقات السبعة، ولم يحضر الى بيت أغاته نهبَ ماله وقتل، وأمهلوهم ثلاثة أيام، ونودى بذلك فى عصريتها. وكتب قايمقام بيورلدى الى من فى القلعة من طايفة الينكجرية والكتخدائية والجربجية والادباشية والنفر، بأننا أمهلناكم ثلاثة أيام، فمن لم ينزل منكم بعدها ولم يمتثل نهبنا داره وهدمناها وقتلنا من ظفرنا به، ومن فر رفعنا اسمه من الدفتر. فتلاشى أمرهم واختلفت كلمتهم.

وفى رابعه خرج الامرا والاغوات الى محل الحرب وارسلوا طايفة كبيرة من العسكر المشاة لمحاصرة منزل ايوب بك، فتحارب الفرسان الى آخر النهار، وأما الرجاله[٢٨٣] فانهم تسلقوا من منزل إبراهيم بك، وتوصلوا الى منزل عمر اغاة الجراكسه، فتحاربوا مع من فيه الى أن أخلوه (ص١١١) ودخلوا فيه وشرعوا ليلا فى نقب الرَّبع المبنى على علوه منزل أيوب بك، فنقبوه وكمنوا فيه. فلما كان صبيحة يوم الاحد خمس عشرة، حملوا حملة واحدة على منزل أيوب بك، وضربوا البنادق، فلم يجدوا من يمنعهم بل فرّ كل من فيه. وركب أيوب بك وخرج هاربا من باب الجبل، فلم يعلم أين يتوجه، فملكوا منزله ونهبوه، مع كونه كان مستعدا، وركّب فى أعالى منزله المدافع وفى قلعة الكبش[٢٨٤] ، وأرسل له أفرنج احمد بيرقا وعساكر فلم يفده ذلك شيئا. ونهبوه أيضا منزل أحمد أغا التفكجية بعد ما قتلوه ببيت قايمقام، ولحق من لحق بأيوب بك، وفرّ الجميع الى جهة الشام، وفر محمد بك الى جهة الصعيد ووقع النهب فى بيوت من كان من حزبهم، ونهبوا بيت يوسف أغا ناظر الكسوة[٢٨٥] سابقاً، وبيت محمد اغات متفرقة باشه، وبيت محمد بك الكبير وأحرقوه، وبيت أحمد

* هروب ايوب بك احد اتباع إفرنج أحمد بعد هجوم مباغت على منزله إلى جهة الشام.

* نهب وحرق بيوت اتباع إفرنج أحمد وهروب معظمهم للشام ومحاصرة الباشا فى القلعة.

جـربجى قـونلى[٢٨٦] واحـرقـوا بيت أيوب بك ومـا لحقـه من الربع والدكاكين. فلما حصل ذلك واجتمع العساكر بمنزل قايمقام بالاسلحة والات الحرب، وذلك سادس جمادى الاول، وأرسلوا طايفة الى جبل الجيـوشى، فـركـبـوا مـدافع على مـحل البـاشـا، ومـدافع على قلعـة المستحفظان[٢٨٧] ، واحاطوا بالقلعة من اسفل وضربوا ستة مدافع على الباشا، ورموا بنادق فنصب الباشا بيرقا أبيض يطلب الأمان، وفرّ من كـان داخل القلعـة من العـسكر، فـبـعـضـهم نزل بالحبـال من السـور، وبعـضـهم خـرج من باب المطبخ، فـعند ذلك (ص١١٢) هـجـمـت العساكر الخارجة على الباب، ودخلوا الديوان، فأرسل الباشا القاضى، ونقيب الاشراف يأخذان له أمانا من الصناجق والعسكر، فتلقوهما، واكرموهما، وسألوهما عن قصدهما، فقالا لهم الباشا يقرئكم السلام، ويقـول لكم، إنا كنا اغتـررنا بهـولاء الشـيـاطين، وقـد فـروا، والمراد أن تُعلمُونا بمطلوبكم فلا نخالفكم. فقالوا لهما: أعلموه إن الصناجق والأمراء والأغوات والعسكر قد اتفقوا على عزله، وأن قانصوه بك قايمقام، وأما الباشا فإنه ينزل ويسكن فى المدينة إلى أن نعرض الأمر على الدولة ويأتينا جوابهم. فأرسل القاضى نايبه الى الباشا يعرفه عن ذلك، فأجابه بالطاعة واستأمنهم على نفسه وماله وأتباعه، وركب من ساعته فى خواصه ويَقْدُمُه قايمقام وأغات مستحفظان عن يمينه، وأغات المتفرقة عن شماله، واختيارية الوجاقات من خلفه وامامه، ونزل من باب الميدان، وشق من الرميله على الصليبه، والعامة قد اصطفت يشافهونه بالسب واللعن الى أن دخل بيت على أغا الخازندار بجوار [جامع[٢٨٨]] المظفر[٢٨٩] ، وهجم العسكر على باب مستحفظان فملكوه، ونهبوا بعض أسباب حسين أغا مستحفظان. وخرج حسين أغا من باب المطبخ، فلما رآه يوسف بك أشار الى العسكر فقطّعوه، وقطعوا إسماعيل أفندى بالحجر، وكذلك عمر أغات الجراكسة بحضرة إسماعيل بن إيواظ، وخازندراه ذو الفقار[٢٩٠] [الـذى[٢٩١]] وقع فى

* استسلام الباشا وهزيمة افرنج أحمد.

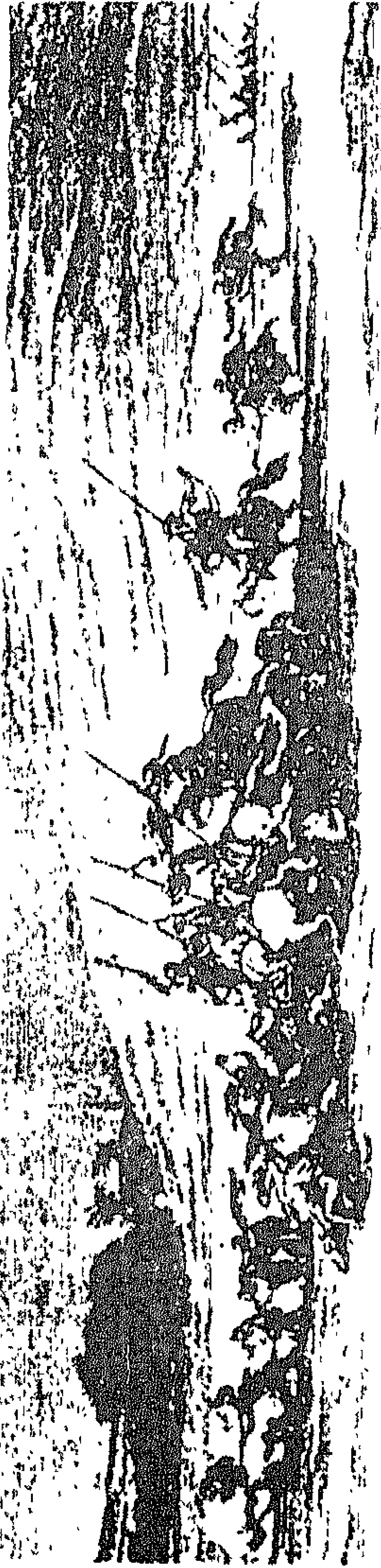
* عزل خليل باشا. وانتهاء فتنة إفرنج أحمد.


آغا الإنكشارية ونائبه وخادمه

(ص١١٣) عــرْض بَلديّه على خــانزندار، وحــسن كــتــخــدا الجلفى(٢٩٢) فَحمياه من القتل. وذو الفقار هذا هو الذى قتل إسماعيل بك بن إيواظ، وصار أميرا كما يأتى ذكر دلك فى موضعه، فقتلوه بباب العزب، ونزل أفرنج وكـجك أحمد أودباشه الى المحجر مُتنكّرين فعرفهما الجالسون بالمحجر فقبضوا عليهما، وذهبوا بهما الى باب العزب وقطعوا رأسيهما. وذهبوا بهما الى بيت إيواظ بك، وطلع على أغا الى محل حكمه، وطلع حسن كتخدا من باب الوالى، وأمامه العساكر بالأسلحة الى باب مستحفظان والبيرق أمامه، ونزل جاويش الى أحمد كتخدا ببرّ مَقْس(٢٩٣) فوجده فى بيت إسماعيل كتخدا عزبان، فأخذه وطلع به الى الباب فخنقوه وأخذوه الى منزله فى تابوت، وركب على أغا وأمامه الملازمين بالبيرشان(٢٩٤)، فطاف البلد وأمر بتنظيف الاتربة وأحجار المتاريس وبناء النقوب. وألبس قايمقام أغوات البلكات السبع قفاطين، وطلع الذين كانوا بباب العزب من الينكجرية الى بابهم، وعدّتهم ستماية إنسان.

وفى حادى عشر جماد الاولى لبس يوسف بك الجزار على إمارة الحاج، ومحمود بك على السويس، وعَيّن يوسف بك المذكور مصطفى أغا الجراكسه للتجريدة على الشرقية.

وفى رابع عشرة لبس محمد بك الصغير على ولاية الصعيد، وخرج من بيته بموكب الى الأثر(٢٩٥) وصُحبته الطوايف الذين عينوا معه من السبع بلكات بسرداریاتهم (ص١١٤) وبيارقهم، وعدتهم خمسماية نفر، مايتين من الينكجريه والعزب، وثلثماية نفر من الخمس بلكات. [و] أعطوا كل نفر من المايتين ، ألف نصف فضة ترحيله (٢٩٦)، ولكل شخص من الثلثماية، الف وخمسماية نصف فضة. وسافروا رابع جمادى الآخره، وكان محمد بك الكبير خرج مقبلا(٢٩٧) وصحبته الهوارة، فخرج وراه يوسف بك الجزار، وعثمان بك بارم ديله، ومحمد بك قطامش، فوصلوا دير الطين فلاقاهم شيخ الترابين(٢٩٨)، فأخبرهم



معارك المماليك

أنه مرّ من ناحية التبين[٢٩٩] نصف الليل، فرجعوا الى منازلهم. وبلغهم في حال رجوعهم أن خازندار رضوان أغا تخلف عند الدراويش بالتكية، فقبضوا عليه وقطعوا دماغه. ولم يزل محمد بك الصعيدى [يسير[٣٠٠]] حتى وصل إخميم[٣٠١] وصحبته الهواره وقتل ما بها من الكُشاف، ونهب البلاد وفعل أفعالا قبيحه، ثم ذهب الى أسيوط، فأرسل الى قايمقام جرجه ليتصرف في جميع تعلقاته وإرسالها إليه نقودا. ونزل مختفيا الى بحرى، ومرّ من إنبابه نصف الليل، ولم يزل سايرا الى دمياط، ونزل في مركب افرنجي وطلع الى حلب، ووصل خبره الى السردار[٣٠٢] فجمع السرادرة والعسكر ولحقوه على البرج[٣٠٣] فلم يدركونه، ثم إنه ركب من حلب وذهب الى دار السلطنة من البر. وكان إيوب بك ومحمد أغا متفرقه وكتخدا الجاويشية سليمان أغا وحسن الوالى وصلوا قبله، وقابلوا الوزير وأعلموه بقصتهم وعرضوا عليه الفتوى وعرض (ص١١٥) الباشا والقاضى فاكرمهم وأنزلهم في مكان ورتب لهم تعيينا، ثم أتاهم محمد بك وقابل معهم الوزير أيضاً، فخلع عليه وولاه منصبا. وأما رضوان أغا فإنه تخلف ببلاد الشام، ومحمد أغا الكور صحبته.

وفي تاسع عشر ربيع الاول رجع يوسف بك ومصطفى أغا من الشرقية.

وفي سابع جمادى الأخرة تقلد محمد بك بن اسماعيل بك بن إيواظ بك الصنجقية.

ثم انهم اجتمعوا في بيت قايمقام، وكتبوا عرضحال بصورة ما وقع، وطلبوا إرسال باشا واليا على مصر، وذكروا فيه أن الخزنة[٣٠٤] تصل صحبة محمد بك الدالى. وانقضت الفتنه وما حصل بها من الوقايع التى لخصنا بعضها. وذكرناه على سبيل الاختصار[٣٠٥].

واستمر خليل باشا بمصر حتى حضر والى باشا[٣٠٦] وحاسبوه، وسافر في ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع[٣٠٧] وعشرين ومماية والف، وكانت أيام فتن وحروب وشرور، كما قال الشيخ حسن الحجازى رحمه

١١٢٣هـ.
١٤٢٦ق.
١٧١٠م.

- في محرم/ فبراير تتابعت الفتن وكثرت بمصر، وعزل خليل باشا، واليها، وتولى مكانه ولى باشا.
- في ربيع اول / ابريل كان إنشاء جامع الخلوتى الكائن بقنطرة أق سنقر.
- ١ تسوت ١٤٢٨ = ١٠ سبتمبر ١٧١١ = الخميس ٢٧ رجب سنة ١١٢٣.
- في شعبان / سبتمبر انتصر العثمانيون وتغلبوا على بطرس الأكبر عند نهر البروت.
- ١ ينساير ١٧١٢ = ٢٤ كيهك ١٤٢٨ = الجمعة ٢٢ ذو القعدة سنة ١١٢٣.

٨٤ نيابة والى باشا: مدته ٢٧ رجب ١١٢٣/ ١٢ شوال ١١٢٦هـ = ١٠ سبتمبر ١٧١١/ ٢١ أكتوبر ١٧١٤م.

الله تعالى:

قـــد جـــاء مـــصـــر باشـــة		أيامُـــه لـيـــست مـــلاح
ضَـــرَبَ مـــدافـــعـــاً بهـــا		كـــذا رمـــاح وصـــفـــاح
فـــقـــلـت فـي تـاريـخـــه		خـلـيـل بـاشـــا فـي كِـــلاح
أى فـي زمـــان كـــالـح		لـيـس بـه وقـت انـشـــراح
ويـســـأل الـبـــدرى حـــســن		من رَبهٌ قَـــمْعَ الـقِـبـــاح

١١٢٤هـ.
١٤٢٨ق.
١٧١٢م.
ـ فى ربيع ثان / مايو كان إنشاء جامع قلمطاوى، الكائن بدرب الحصر.
ـ ١ تـوت ١٤٢٩ = ٩ سبتمبر ١٧١٢ = الجمعة ٧ شعبان سنة ١١٢٤.
ـ ١ يناير سنة ١٧١٣ = ٢٥ كيهك ١٤٢٩ = الأحد ٣ ذو الحجة سنة ١١٢٤.

وقال ايضاً:

قـــد نـزلـت بمـصـــرنـا		نـازلـةٌ عـلـى الـعـــبـــيـــدْ
فـظـيـــعـــةٌ شـنـيـــعـــةٌ		لـيـس عـلـيـــهـــا من مـــزيـد
(ص١١٦) فـقـلت فى تاريخـهـا		خـلـيـل بـاشـــا فـى هـمـــيـــد
أى فى خـــمـــود وانطـفـــا		وغـــايـة المقـت الـشـــديـد
ويـســـأل الـبـــدرى حـــســن		من ربـه قـــهـــر المـريـد

وله غير ذلك فى خصوص هذه الحادثة منظومات أذكر بعضها فى ترجمة إيواظ بك وأحمد الافرنج وغيره.

ثم تولى على مصر والى الباشا فوصل الى مصر وطلع الى القلعة فى اواخر رجب سنة ثلاث وعشرين ومائة والف [١٧١١م].

وفى شوال قلدوا أحمد بك الأعسر[٣٠٨] تابع ابراهيم بك صنجقية، وزادوه كشوفية البحيرة. وكان قنصوه بك قايمقام قبل وصول الباشا [قد[٣٠٩]] رسم بإخراج تجريدة الى هوارة المفسدين، الذين أتوا الى مصر صحبة محمد بك الصعيدى ورجعوا صحبته، وأخربوا إخميم وقتلوا الكشاف، وأمير التجريدة محمد بك قطامش وصحبته ألف عسكرى، وأعطوا كل عسكرى ثلاثة آلاف نصف فضه من مال البهار[٣١٠] سنة تاريخه. وأن يكون محمد بك حاكم جرجا عن سنة ثلاثة وعشرين، وأربع وعشرين. وقضى أشغاله وبرّز خيامه الى الآثار، ثم طلب الوجه القبلى الى أن وصل الى اسيوط، فقبض على كل من

وجده من طرف محمد بك الصعيدى وقتله، ومنهم: حسين أدباشه ابن دقماق. ثم انتقل الى منفلوط، وهربت طوايف الهوارة بأهلها الى الجبل الغربى، وأتت إليه هواره بحرى[٣١١] صحبة الأمير حسن. فاخبروه بما وقع لهم وساروا (ص١١٧) صحبته الى جرجه، فنزل بالصيوان، وأبرز فرمانا قرى بحضرة الجمع بإهراق دم هوارة قبلى. وأمر بالركوب عليهم الى إسنا[٣١٢]، وتسلط عليهم هوارة بحرى، ونهبوا مواشيهم وأغنامهم ومتاعهم وطواحينهم، واشتفوا منهم، وكل من وجدوه منهم قتلوه. ولم يزل فى سيره حتى وصل قنا[٣١٣] وقوص[٣١٤]، ثم رجع الى جرجا[٣١٥]. ثم ان هوارة قبلى التجوا الى إبراهيم أبو شنب، والتمسوا منه أن يأخذ لهم مكتوبا من قيطاس بك بالامان، ومكتوبا الى حاكم الصعيد كذلك، وفرمانا من الباشا بموجب ذلك. فأرسل الى قيطاس بك تَذكره صحبة أحمد بك الأعسر يترجى عنده، فأجاب الى ذلك وأرسلوا به محمد كاشف كتخدا، وبرجوع التجريدة والعفو عن الهوارة. ورجع محمد كاشف والتجريدة وصحبته التقادم والهدايا، وأرسلوا الى ابراهيم بك مركب غلال وخيولا مُثْمنَة وأغناما.

وفى أواخر شوال ورد أغا من الدولة على يده مرسومات منها محاسبة خليل باشا، واستعجال الخزينة، وبيع بلاد من قتل فى أيام الفتنة وكذلك أملاكهم.

* فتنة الواعظ الرومى بجامع المؤيد.

وفى شهر رمضان قبل ذلك جلس رجل رومى واعظ[٣١٦] يعظ الناس بجامع المؤيد، فكثر عليه الجمع وازدحم المسجد، وأكثرهم أتراك، ثم انتقل من الوعظ وذكر ما يفعله أهل مصر بضرايح الأوليا، وايقاد الشموع والقناديل على قبور الاوليا، وتقبيل أعتابهم، وفعل ذلك كفر يجب على الناس تركه، وعلى ولاة الامور السعى فى ابطال ذلك. وذكر أيضا قول الشعرانى[٣١٧] فى طبقاته إن بعض الاوليا اطلع على اللوح المحفوظ، أنه لا يجوز ذلك. (ص١١٨) فلا تطلع الأنبياء فضلاً عن الاولياء على اللوح المحفوظ، وأنه لا يجوز بناء القباب على ضرايح

الأوليا والتكايا، ويجب هدم ذلك، وذكر أيضاً وقوف الفقراء بباب زويله فى ليالى رمضان. فلما سمع حزبه ذلك خرجوا بعد صلاة التراويح ووقفوا بالنبابيت والاسلحة، فهرب الذين يقفون بالباب، فقطعوا الجوخ [٣١٨] والأكر المعلقة وهم يقولون: أين الاولياء؟. فذهب بعض الناس الى العلما بالازهر، وأخبروهم بقول ذلك الواعظ، وكتبوا فتوى، وأجاب عليها الشيخ أحمد النفراوى والشيخ أحمد الخليفى بأن كرامات الأوليا لا تنقطع بالموت، وأن إنكاره اطلاع الأوليا على اللوح المحفوظ لا يجوز، ويجب على الحاكم زجره عن ذلك. وأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها للواعظ، وهو فى مجلس وعظه. فلما قرأها غضب وقال: يا أيها الناس إن علماء بلدكم أفْتوا بخلاف ما ذكرتُ لكم، وإنى أريد أن أتكلم معهم وأباحثهم فى مجلس قاضى العسكر[٣١٩] ، فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق؟. فقال له الجماعة: نحن معك لا نفارقك. فنزل عن الكرسى واجتمع عليه من العامة زيادة عن ألف نفس، ومرَّ بهم من وسط القاهرة الى أن دخل بيت القاضى قُريب العصر. فانزعج القاضى وسألهم عن مرادهم فقدموا له الفتوى، وطلب [وا[٣٢٠]] منه إحضار المفتيَيْن والبحث معهما. فقال القاضى: اصرفوا هولا الجموع ثم نحضرهم ونسمع دعواكم. فقالوا: ما تقول فى هذه الفتوى؟. قال: هى باطله. فطلبوا منه أن يكتب لهم حجه ببطلانها. فقال إن (ص١١٩) الوقت قد ضاق، والشهود ذهبوا الى منازلهم. وخرج الترجمان، فقال لهم ذلك، فضربوه، واختفى القاضى بحريمه. فما وسع النايب[٣٢١] إلا أنه كتب لهم حجة حسب مرادهم. ثم اجتمع الناس فى يوم الثلاثاء عشرينه وقت الظهر بالمؤيد لسماع الوعظ على عادتهم، فلم يحضر لهم الواعظ. فأخذوا يسألون عن المانع من حضوره، فقال بعضهم: أظن أن القاضى منعه من الوعظ. فقام رجل منهم وقال: أيها الناس من أراد أن ينصر الحق فليقم معى!. فتبعه الجمُّ الغفير ، فمضى بهم الى مجلس

القـاضى: فلمـا رآهم القـاضى ومن فى المحكمـة طارت عـقـولهـم من الخوف، وفرَّ من بها من الشهود(٣٢٢) ولم يبق إلا القاضى، فدخلوا عليه وقالوا له: أين شيخنا؟. فقال: لا أدرى!. فقالوا له: قم واركب معنا الى الديوان، ونُكلم الباشا فى هذا الأمر، ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا الذين أفتوا بقتل شيخنا، ونتباحث معهم، فإن أثبتوا دعواهم نجوا من أيدينا وإلا قتلناهم. فركب القاضى معهم مُكْرها، وتبعوه من خلفه وأمامه الى أن طلعوا الى الديوان، فسأله الباشا عن سبب حضوره فى غير وقته، فقال: انظر الى هولا الذين ملأوا الديوان والحوش فهم االذين أتوا بى. وعرَّفه عن قصتهم وما وقع منهم بالأمس واليوم، وأنهم ضربوا الترجمان، واخذوا منى حجة قهراً، وأتوا اليوم وأركبونى قهراً. فأرسل الباشا الى كتخدا الينكجرية، وكتخدا العزب، وقال لهما: اسألوا هؤلاء عن مرادهم. فقالوا: نريد إحضار النفراوى والخليفى ليبحثا مع شيخنا فيما أفتيا به علينا. فأعطاهم الباشا بيورلدى على مرادهم، ونزلوا الى المؤيد وأتوا (ص١٢٠) بالواعظ وأصعدوه الى الكرسى، فصار يعظهم ويحرضهم على اجتماعهم فى غد بالمؤيد، ويذهبون بجمعيتهم الى القاضى، وحضهم على الانتصار للدين وقمع الدجالين. وافترقوا على ذلك. وأما الباشا فإنه لما أعطاهم البيورلدى أرسل بيورلدياً الى ابراهيم بك وقيطاس بك يعرفهم ما حصل وما فعله العامة من سوء الأدب وقصدهم تحريك الفتن وتحقيرنا نحن والقاضى، وقد عزمت أنا والقاضى على السفر من البلد، فلما قرأ الأمراء ذلك لم يقر لهم قرار وجمعوا الصناجق والأغوات ببيت الدفتردار، وأجمعوا رأيهم على أن ينظروا هذه العصبة من أى وجاق ويخرجوا من حقهم(٣٢٣)، ويُنفى ذلك الواعظ من البلد، وأمروا الأغا أن يركب، ومن رآه منهم قبض عليه، وأن يدخل جامع المؤيد ويطرد من يسكنه من السَّفَط (٣٢٤). فلما كان صبيحة ذلك اليوم ركب الأغا، وأرسل الجاويشية الى جامع المؤيد، فلم يجدوا منهم أحدا، وجعل يفحص ويفتش على أفراد المتعصبين، فمن ظفر به

أرسله الى باب أغاته، فضربوا بعضهم ونفوا بعضهم، وسكنت الفتنة.
وفى ذلك يقول الشيخ حسن الحجازى رحمه الله.

مصرٌ قد حَلَّ بها واعظٌ عن منَهْج صدقٍ قد أعرضْ
أبْدَى جهلاً فيها قولاً منه الحُبْلى حالاً تُجْهض
فأساء الظنَّ بسادات أحكامُ الدين بهم تَنهض
إذْ قال لنا مِنْ أين لكم خَتْم بالخير لهم يُفرض؟
وكراماتٌ لهمُ انقطعت بالموت زيارتُهم تُرفض
وتُهَدُّ جميعُ قبابُهُمُ ومُرَتَّبُهُمْ كُلاً يُنْقَض
وعلى اللوح المحفوظِ فما للهادى مُطَّلِعٌ يُعْرَض
وخرافاتٌ شَتى الألْسُن بها إن فاهت شرعاً تُقْرض
وغلا واسْتوْغَل واستعلى وعلينا العسكر، قد حرض
والى القاضى ذهبوا جَهْراً كى يكتبَ ما فيه فَقَبَضْ
وبه نحو الباشا انطلقوا فارتاعَ وما عنهم أعرض
ولهم أمضى ما قد طلبوا أن يبقى الواعظُ واستنهض
فى الحال صناجق والأُمرا فى قمع أولئك واسْتَحْضَض
فإذن قاموا معه صدقاً وأزالوا كلَّ مَن اسْتَعْرِض
والواعظُ فَرَّ وقيل قُتل وعليه الخزى قد اسْتَربَض
وكفانا اللهُ مُؤْنَتَهُ وله أَرِّخ عيبٌ أمْرَض
والبَدْرِى مَنْ يُسمى حسناً يدعو من نافق أو يَرْفُض
رمضانُ به ذا كان فلا بَغْدَان يَرْمُض مَن أبغض

وفى ثالث المحرم سنة أربع وعشرين وماية وألف

* ١١٢٤هـ = ١٧١٢م.

ورد مرسوم سلطانى بطلب ثلاثة آلاف من العساكر المِصْرَليَّة الى الغزو.
وفى ثامنه تشاجر رجل شريف (٣٢٥) مع تركى فى سوق البندقانيين، فضرب التركى الشريف فقتله، ولم يُعلم أين ذهب، فوضع الأشراف

* فتنة الاشراف.

المقتول فى تابوت وطلعوا به الى الديوان وأثبتوا القتل على القاتل. فلما كان يوم عاشره قامت الأشراف وقفلوا أسواق القاهرة، وصاروا يرجمون أصحاب الدكاكين بالحجارة ويأمرونهم بقفل الدكاكين، وكل من لقوه من الرعية أو من أمير يضربونه(٣٢٦)، ومكثوا على ذلك يومهم. وأصبحوا كذلك يوم الجمعة وأرسلوا خبراً للأشراف القاطنين بقرى مصر ليحضروا. واجتمعوا بالمشهد الحسينى، ثم خرجوا وأمامهم بيرق وذهبوا (ص١٢٢) الى منزل قيطاس بك الدفتردار، فخرج عليهم أتباعه بالسلاح فطردوهم وهزموهم. فلما تفاقم أمرهم تحركت عليهم العساكر وركب أغوات الإسباهية الثلاث، وأغات الينكجرية فى عَدَدهم وعِددهم، وطافوا البلد، فعند ذلك تفرقت الجمعية ورجع كل إلى مكانه، ونادوا بالامن والامان، وفتحت الدكاكين ثم اجتمع رأى الامراء على نفى طائفة من أكابر الأشراف، فتشفع فيهم المشايخ والعلما فعفوا عنهم.

* سقوط الثلج فى مطر بلاد المنوفية، وصاعقة تحرق الأرض وتقتل الناس.

وفى هذا الشهر وقع ثلج بقريتى سرسنه وعشما(٣٢٧) من بلاد المنوفية، كل قطعة منه مقدار نصف رطل، وأقل وأكثر. ثم نزلت صاعقة أحرقت مقداراً عظيماً من زرع الناحية، وقتلت أناسا.

وفى يوم الخميس ثامن من ربيع الأول سافر مصطفى بك تابع يوسف أغا من بولاق بالعسكر صحبة المعينين للغزو، وحضرت العساكر الذين كانوا فى سفر الموسقو صحبة سردارهم اسماعيل بك. ولما عادوا الى اسلامبول بالنصر، وضعوا لهم على رؤوسهم ريشاً فى عمائمهم سِمَة لهم. ومات أميرهم إسماعيل بك بإسلامبول، ودخلوا مصر وعلى رؤوسهم تلك الريش المسماة بالشلنجات(٣٢٨).

* عاصفة شديدة تسقط بعض المنازل.

وفى ثانى عشرينه قبل الغروب خرجت فرتينة(٣٢٩) بريح عاصف أظلم منها الجو، وسقط منها بعض منازل.

وفى غرة ربيع الثانى ورد أغا ومعه مرسوم مضمونه حصول الصلح بين السلطنة والموسقو(٣٣٠)، ورجوع العسكر المصرى. ولما رجعوا أخذوا

منهم ثلثي النفقة وتركوا لهم الثلث، وكذلك التراقى (ص١٢٣) من الجوامك التي تعطى للسردارية وأصحاب الدركات.

وفى ثامن عشره ورد قابجى[٣٣١] باشا وعلى يده مرسوم بتقليد قيطاس بك الدفتردار اميراً على الحاج عوضاً عن يوسف بك الجزار، وأن يكون إبراهيم بك بشناق المعروف بأبى شنب دفتردارا، فامتثلوا ذلك ولبسوا الخلع. ومرسوم آخر بانشاء سفينتين ببحر[٣٣٢] القلزم لحمل غلال الحرمين، وأن يجهزوا الى مكة ماية وخمسين كيساً من الأموال السلطانية برسم عمارة العين[٣٣٣] على يد محمد بك ابن حسين باشا.

* مرسوم سلطانى بانشاء سفينتين بالبحر الأحمر لحمل الغلال إلى بلاد الحرمين، و١٥٠ كيسا لعمارة عين زمزم.

ثم إن قيطاس بك اجتمع بالامرا وشكا إليهم احتياجه لدراهم يستعين بها على لوازم الحاج ومهماته، فعرضوا على الباشا وطلبوا منه أن يمده بخمسين كيسا من مال الخزينة، ويعرض فى شأنها بعد تسليمها الى الدولة، وإن لم يمضوا ذلك يحصلوها من الوجاقات بدلاً عنها.

وفى يوم الاربعاء وصل من طريق الشام باشا معين لمحافظة جدة يسمى خليل باشا، فدخل القاهرة فى كبكبة[٣٣٤] عظيمة وعساكر رومية كثيرة يقال لهم «سارجة سليمان» وجمال محملة بالأثقال يقدمهم ثلاث بيارق، وخرج لملاقاته الباشا وقيطاس بك أمير الحاج فى طائفة عظيمة من الأمراء والأغوات والصناجق، وقابلوه وأنزلوه بالغيط المعروف بحسن بك، ومدوا هناك سماطا عظيما حافلا، وقدموا له خيولا، وساروا معه الى أن دخلوا الى المدينة فى موكب عظيم الى أن أنزلوه بمنزل المرحوم إسماعيل بك المتوفى فى سفر الموسقو بجوار الحنفى[٣٣٥]، فلم يزل هناك حتى سافر فى أوائل رجب سنة تاريخه، وخرج (ص١٢٤) بموكب عظيم أيضاً.

وفى منتصف شعبان تقلد أحمد بك الأعسر على ولاية جرجا عوضاً عن محمد بك الصغير المعروف بقطامش. ثم ورد أمر بتقليد إمارة الحج لمحمد بك قطامش عوضا عن سيده، وطلع بالحج سنة أربع وعشرين، ورجع سنة خمس وعشرين وذلك من فعل قيطاس بك سراً، وتقلد

ولاية جرجا مصطفي بك قزلار(٣٣٦). وفي يوم الخميس عشرينه تقلد محمد بك المعروف بجركس(٣٣٧) تابع إبراهيم بك أبي شنب الصنجقية، وكذلك قيطاس تابع قيطاس بك أمير الحاج. وفي عاشر شوال ورد عبدالباقي أفندي، وتولى كتخداية والي باشا، ومعه تقرير للباشا على ولاية مصر. وفي ثالث عشر ذي القعدة ورد أيضًا مرسوم صحبة أغا معين بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى لسفر الموسقو لنقضهم المهادنة، وقرئ ذلك بالديوان بحضرة الجمْع. فألبسوا حسين بك المعروف بشلاق سردار(٣٣٨). عوضا عن عثمان بك ابن سليمان بك بارم ديله، وقضى أشغاله، وسافر في أوائل المحرم.

التدريب على القتال



(١) العنوان من عندنا.

(٢) نلاحظ هنا أن الجبرتى يعتبر حكم السلطنة العثمانية لمصر هو عودة إلى حكمها نيابة عن حاكم أجنبى من خارجها كما كانت فى صدر الإسلام، وأن حكم السلطنة المملوكية كان حكما محليا مصريا.

(٣) منذ هذا التاريخ انقطعت الخلافة الإسلامية، وانتقلت السلطة فى بلاد الشام ومصر ومعظم بلدان شمال أفريقيا إلى السلطنة العثمانية القائمة على نظام وراثة الحكم وليس على المبايعة.

(٤) لمعرفة مدى الخراب الذى أصاب اقتصاد مصر وصناعتها بعد الاحتلال العثمانى راجع مانهبه السلطان سليم فى كتاب ابن إياس «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» جـ ٥ الهيئة العامة للكتاب . القاهرة

(٥) المغازى سليمان: يعتبر السلطان العاشر من آل عثمان. تولى السلطنة ٩٢٦ هـ = ١٥٢٠م بعد وفاة والده سليم.

(٦) الخلفاء المهديين: هم الخلفاء الراشدين.

(٧) إضافة ليستقيم المعنى.

(٨) الاسحاقى: هو محمد بن عبد المعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبد الغنى الاسحاقى المنوفى. وتاريخه معروف بأسم «لطائف أخبار الأول فيمن تصرف بمصر من أرباب الدول». ينتهى فى عام ١٠٣٤هـ = ١٦٢٤م. ومن الصعب لذلك أن نعتبر الجبرتى قد اعتمد عليه كثيرا. وهذا صحيح بالنسبة للعمل أو البنية الأساسية لمؤلف الجبرتى. ولكن هذا لا ينطبق على المدخل الخاص للمؤلف، وهو الذى يتحدث عنه. يضاف إلى ذلك أنه من المحتمل جدا أن الجبرتى قد حاز على نسخة أخرى منقحة من كتاب الاسحاقى تصل بحوادثها حتى عام ١٠٨٤ هـ = ١٦٧٣م. ولكن الجزء الأخير لا يمكن أن يكون الاسحاقى كاتبه لأنه توفى ١٠٦٠هـ =١٦٥٠م. وهذا يدل على أن الجبرتى قد استخدم هذه المخطوطة الموجودة الآن فى المكتبة الوطنية بباريس.
Bibliotieque Nationale (Ms Arabe 1854)

والسؤال الهام الآن هو: لماذا لم يعتمد الجبرتى على المعلومات الفزيرة التى أوردها الاسحاقى عن تاريخ مصر فى بدايات مؤلفه؟... الإجابة المحتملة هنا هى أنه رصد أحداث كل هذه الفترة بإيجاز شديد معتبرا إنها مقدمة لمؤلفه عن القرن الثانى عشر الهجرى.

(٩) إضافة ليستقيم المعنى.

(١٠) الرُشا: أى الرشاوى التى كانت تقدم للخليفة أو السلطان أو حاشيتهم من أصحاب الحاجات . ورغم هذه القصة التى يرويها الجبرتى هنا إلا أنه يعود بعد ذلك فيستهجن تفشى ظاهرة الرشاوى فى ظل السلطنة العثمانية.

(١١) ، (١٢) إضافة للإيضاح من الاسحاقى.

(١٣) يارافضى: الرافضة فرقة من الشيعة، استخدمت هنا بمعنى الكافر.

(١٤) بادشاه: كلمة فارسية معناها «الملك».

(١٥) أهل الحوف: المقصود بهم هنا سكان البادية المحيطة بوادى النيل والوجه البحرى على وجه الخصوص.

(١٦) الفقارية والقاسمية: عندما خرج السلطان سليم من مصر بعد غزوها ترك فيها نظام إدارى يكفل له السيطرة عليها وعلى مواردها، كانت مقاليد الأمور فيه في أيدى الأمراء المماليك الذين أعلنوا له الولاء. ولقد كان الأمراء المماليك فى بادئ الأمر ضعافا، لكنهم ما لبثوا أن جمعوا القوة فى أيديهم، وظهر من بينهم أميران كبيران هما «قاسم بك الكبير» و «ذو الفقار بك الدفتردار». وشكل كل منهما حوله عصبة كبيرة عرفتا بالبيت القاسمى والبيت الفقارى. وبدلاً من أن يستغل البيتان قوتهما للتخلص من الاحتلال العثمانى أخذا يتنافسان على الزعامة بأسلوب الخيانات والدسائس والاغتيال، ثم تطور التنافس إلى صدامات عسكرية وقتال فى الشوارع والمساجد والبيوت والأسواق مما أدى إلى تدميرها وانتهابها والقضاء على بعض الأحياء بكاملها، وزاد الطين بلة اشتراك الفرق العسكرية العثمانية فى هذه المنافسات والصدمات، فأنضمت فرق الانكشارية إلى الفقاريين، وفرقة العزبان إلى القاسمية. كما أن المصالح التجارية الأجنبية تدخلت فى هذه الصراعات، فكانت المصالح الفرنسية تقف خلف الفقارية و الانكشارية لتحمى تجارتها فى مصر.

وكانت قمة هذه المنافسة والصدامات، تلك الحرب المدمرة التى قامت تحت اسم «فتنة إفرنج أحمد»، والتى انتهت بنصر ساحق للبيت القاسمى سنة ١١٢٣ هـ = ١٧١١م. فأجبر محمد بك الكبير الفقارى وتابعه أيوب بك للهرب إلى استانبول، وبرز شأن قيطاس بك الأمير الفقارى المنشق على بيت الفقارية وتولى الدفتردارية، ومحمد بك قطامش الذى تولى إمارة الحج. ولكن باغتيال قيطاس بك فى ١١٢٨هـ = ١٧١٥م، وبنفى محمد بك قطامش، بدأت فترة من السيطرة القاسمية لم يقدر لها أن تنتهى إلا عام ١١٣٦هـ = ١٧٢٣م باغتيال إسماعيل بك بن ايواظ. ولقد دهش المؤرخون من سلسلة المعارك التى كانت تقوم بين البيتين، فقد كانت طويلة لدرجة شاذة و أكثر دموية، فقد قرر «بومييه» الرحالة الفرنسى خسائر الفريقين بحوالى أربعة آلاف رجل وأن عدد القتلى فى المعارك الأولى التى وقعت فى يوم ٧ رمضان ١١٢٣ هـ = ١٧١١م مات فيها وحدها حوالى ألف رجل من العسكريين، وزاد من عدد القتلى الاشتراك الفعال للبدو إلى جانب الطرفين واتباع تكتيكات عسكرية مدبرة بعناية، كما فعل محمد بك الكبير ـ رغم هزيمته ـ وقد دخل علماء الأزهر وقضاة المذاهب الأربعة فى هذا الصراع بإصدار الفتاوى المتناقضة بحق كل بيت فى قتل

أصحاب البيت المضاد.

وقد عالجت هذه الصراعات والفتن التى صاحبتها عدة مخطوطات يطلق عليها بروكلمان اسم «مجموعة الدمرداش» نسبة إلى أحمد كتخدا الدمرداشي الذى كان يشغل منصب الكخيا فى أوجاق عزبان الموالى للبيت القاسمى. ويمكن تصنيف هذه المجموعة إلى ما يلى:

(١) «مجموعة لطيف يشتمل على وقايع مصر القاهرة من سنة ١١١٠ هـ إلى آخر تاريخ المجموع» يتناول الفترة من ١١٠٤/ ١١٥٢ = ١٦٩٢/ ١٧٣٩م.

(٢) «مجموعة الدرة المنصانة فى وقايع الكنانة». لمؤلف مجهول، وهى تنتهى فى عام ١١٦٩هـ = ١٧٥٥م.

(٣) «الدرة المنصانة فى وقايع الكنانة». لمؤلف مجهول. وبصرف النظر عن اختلاف بعض العبارات بين هذه المخطوطة ومخطوطه (٢) فإنهما متطابقتان.

(٤) «الدرة المنصانة فى أخبار الكنانة». لأحمد الدمرداشي، وتنتهى بحوادث عام ١١٧٠هـ = ١٧٥٦م.وهو مختلف عن المخطوطات الثلاثة السابقة.

يذكر المخطوط رقم (١) عن قصة الفقارينة والقاسمية ما يلى:

«كان أهل مصر من قديم الزمان فرقتين، عساكر، وعربان، ورعية، وراية بيضا وراية حمرا. البيضا تُبعي والحمرا كليبى زعنى وهلالى قلاونى وبيبرسى، إلى دولة آل عثمان نصرها الله تعالى. فقارى سعد، قاسمى حرام. فرقتين فى بعضهم وعلى بعضهم...

الفقارى يهوى الجرافات والقاسمى العمارات. وكان أهل مصر المحروسة يعرفون الفقارى بزراقة برمانة، والقاسمى بزراقة بجلبة. أمر معروف بينهم».

أما المخطوطتان (٢)، (٣) فتذكران مايلى:

«كانت أهل مصر سناجق وأغاوات والسبعة أجاقات فرقتين، راية بيضا عن التُبع اليمانى، وراية حمرا عن كليب أخو الزير. سعد وحرام، فقارى وقاسمى».

أن السطور التى تتلو النص السابق فى المخطوطتان (٢)، (٣) تختلف عما ورد فى المخطوطة (١) التى تذكر حب الفقارية للجرافات والقاسمية للعمارات، فبدلاً من ذلك يذكر رواية طويلة يتعذر إيرادها هنا بالكامل وهى خاصة باحتفال زين الفقار الموجودة كذلك عند الجبرتى ويمكن أن نراجعها فى طبعتنا بشكل إجمالى.

أما الرواية فى المخطوط (٤) الخاصة بالدمرداشي فتبدأ كما يلى:ــ

«وكانت فى أيامه دولة مصر فرقتين، سعد وحرام، تُبعى وكليبى، حسينى ويزيدى. الحسينى رايته بيضا، واليزيدى رايته حمرا،

وأكرى وقيسى. وكنا نعرف سعد وحرام من المواكب، رمانة سعد بجلبة مدورة، ومزارق نصف حرام بجلبة من غير رمانة. وماكان ظهر (ظهور) فقارى وقاسمى بمصر، وعسكر وعربان، إلا فى دولة آل عثمان».

ثم يسرد الدمرداشي رواية وليمة زين الفقار، ويسردها كما وردت فى (٢)، (٣) مع بعض الاختلافات فى التفاصيل والعبارات. من خلال هذه الروايات ورواية الجبرتى يمكننا أن ندون الملاحظات التالية: ـ

أ ـ أن المخطوطة (١) تقدم لنا أقدم صيغة لهذه الرواية، وأن بقية المخطوطات دارت فى إطارها العام.

ب ـ أن المخطوطات الثلاث (٢)، (٣)، (٤) وإن أتفقت مع المخطوطة (١) فى صلب الرواية واحداثها إلا أنها اختلفت عنها فى بعض الألفاظ والصياغات بشكل يكشف عن أنها كتبت من مصادر شفاهية متعددة.

جـ ـ من هذه المخطوطات الثلاث نجد أن المخطوطة الأخيرة رقم (٤) هى أكثرهم ركاكة.

د ـ إن رواية الجبرتى فى الواقع مستمدة من واحدة من الروايات المنتشرة، والتى يبدو لأول وهلة أنها واحدة من اثنين، إما رواية (٢) أو رواية (٣). أن هذا يظهر عندما يشير الجبرتى إلى التناقض بين كرم الفقارية وبخل القاسمية، وهو التناقض الذى يوجد فقط فى (٢)، (٣) وغير موجود فى (٤).

كما أن قوائم أسماء البكوات فى كلاً من المخطوطة (٤) ومخطوطة الجبرتى مختلفة، ولكنها فى (٢)، (٣) متطابقة مع الجبرتى. ومن ناحية أخرى نجد أن الجبرتى يذكر لنا معلومتين لا نجدهما فى المخطوطات الأخرى، وهما أن قاسم بك كان تابع لمصطفى بك، وأن الفقارية والقاسمية يمتد أصلهم إلى عام ١٠٥٠هـ = ١٦٤١م.

وهكذا نكون قد خصنا كل الفقرات النثرية التى تدور حول الغزو العثمانى لمصر ونشأة القاسمية والفقارية عند الجبرتى. ويمكننا الآن أن نحدد مصدرها:

أ ـ أن المصدر الأساسى لهذا الجزء مأخوذ عن الاسحاقى.

ب ـ أو مشتق من المخطوطة (٢). ويمكننا أن نضيف لذلك أنه من الممكن أن يكون الجبرتى قد أخرج توليفة من كل هذه المصادر انظر كذلك الهوامش (١٦٨) و (٣٠٥).

(١٧) إشارته: أى مشورته.

(١٨) إضافة لتستقيم الجملة.

(١٩) كان الجبرتى يعتبر المماليك الحكام المصريين الأصلاء، ومن هنا وصفهم بالمصريين.

(٢٠) الهيازع: الجلبة فى حومة القتال.

(٢١) وردت فى النص حرباً وصححتها كما أوردناها هنا.

(٢٢) إضافة ليستقيم المعنى.

(٢٣) إضافة ليستقيم المعنى.

(٢٤) صناجق: مفردها «سنجق» و «صنجق» من التركية «سنجاق» وهو العلم أو الجزء من ولاية كبيرة. والحاكم على قسم من الولاية يكون «صنجق». والجبرتى يقصد بها هنا رتبة عسكرية. ويذكر حسين أفندى الدوزنامجي فى مؤلفه «ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية» أن السلطان سليم رتب القاهرة أربعة وعشرين «صنجقا طبل خانة» منهم كتخدا الوزير وقبودان الاسكندرية ودمياط والسويس، وكانوا يحضرون من اسلامبول وباقى العشرين صنجقا من مصر، أى من المماليك. انظر فى ذلك محمد شفيق غربال، مصر فى مفترق الطرق.

(٢٥) الوجاقات: مفردها وجاق، أصلها من التركية «أوجاق» ومعناها الموقد أو المدخنة، ثم أطلقت على كل ما تنفخ فيه نار، فأطلق على الخيام ثم على أهلها، ثم على الجماعة التى تتلاقى فى مكان واحد. وأخيرا استخدم للدلالة على الطائفة من طوائف الحرف، وعلى الفرقة من الجند، وهو المقصود هنا. وكان فى مصر فى أوائل الغزو العثمانى أربعة أوجاقات، ثم زادها السلطان سليمان القانونى سنة ١٥٢٤م وجاقين، فصارت ستة، ثم صارت سنة ١٥٥٤م سبعة وجاقات هى: –

(١) وجاق الانكشارية (الينكجرية). (٢) وجاق العزب. (٣) وجاق الجملية. (٤) وجاق التفكجية. (٥) وجاق الجراكسة. (٦) وجاق الجاويشية. (٧) وجاق المتفرقة.

انظر تفاصيل ذلك. د. أحمد السعيد سليمان «تأصيل ماورد فى تاريخ الجبرتى». دار المعارف القاهرة – ١٩٧٩. ص ١٩٥/ ١٩٦.

(٢٦) خواسك: مفردها «خاصكى». وهم طائفة من موظفى القصر كانوا يرسلون فى المهام السرية. وكانوا أيضا حملة بريد القصر. والجبرتى يستعملها لمن يعملون تحت يد المحتسب، وكذلك اسم لوظيفة مالية، ويستعملها كذلك اسما لبعض خزائن الأموال والأمتعة. لمزيد من التفصيل انظر د. أحمد السعيد سليمان المرجع السابق ص ٨١.

(٢٧) السراج: من كلمة «جراغ» الفارسية التى دخلت التركية بلفظها الفارسى ومعناها، فهى فى اللغتين بمعنى المصباح. ومن معانيها فى الفارسية الحديثة التابع والمولى والخادم، تصرف الترك فى الكلمة فاستعملوها بالإضافة إلى معانيها الفارسية اسمًا للشخص يتفضل عليه بوظيفة أو راتب، كما أطلقت (وهو المقصود هنا) على الجندى يعمل فى خدمة أحد القادة العسكريين أو كبار المماليك. وهم أحرار يطلقون لحاهم. وكان أستاذ السراج بعد فترة من خدمته يوفر له «أسامة» (أى راتب) فى أحد سجلات الوجاقات العسكرية ليتخلص من عبئه المالى

وليدعم نفوذه بواسطة سراجه داخل الوجاق، ثم يشركه مع أحد تجار البحر الأحمر ليتاجر معه، فيطلق عليه لقب «يولداش» أى رفيق سفر. ويشابه «السراج» «الاشراق» أو «الجراق» لكن الفرق بينهما أن «الجراق» كان «سراجا» نقل ولائه لاستاذ غير استاذه الأصلى.

(٢٨) اشراقات : انظر الهامش السابق وكذلك المرجع السابق ص ١٦/ ١٧. والجبرتى يعنى بهم هنا الأتباع.

(٢٩) بيرق: فى التركية «بايراق» أو «بيراق»، ويقصد به العلم أو الراية.

(٣٠) مزاريق: مفردها «مزراق» الرمح القصير، ويقصد به هنا سارية الراية، أى العمود الذى ترفع عليه. انظر مادة «زرق» المعجم الوسيط.

(٣١) رمانة: هى كرة فى أعلى المزراق.

(٣٢) جلبة: الجراب أو الغطاء من الجلد يوضع فيه السيف أو غيره من أدوات الفارس.

(٣٣) استهل القرن الثانى عشر الهجرى بعام ١٦٨٨م.

(٣٤) العنوان من عندنا.

(٣٥) إضافة لتستقيم الجملة.

(٣٦) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٣٧) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٣٨) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٣٩) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٤٠) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٤١) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٤٢) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٤٣) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٤٤) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٤٥) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٤٦) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٤٧) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٤٨) انظر ترجمته فى «باب التراجم».

(٤٩) السلطان سليمان بن عثمان. هو سليمان الثانى القانونى حكم بين عامى ١٠٩٩/ ١١٠٢هـ= ١٦٨٧/ ١٦٩١م. من الملاحظ هنا أن الجبرتى لم يذكر الباشات العثمانيين السابقيين لحسن باشا السلحدار وهم كما ذكروا فى كتاب «أوضح الإشارات فيمن ولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات» لمؤلفه أحمد شلبى بن عبد الغنى الحنفى المصرى، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن، كالآتى:

[١] الأمير خايربك الشركسى: وهو من أمراء السلطان الغورى الذين خانوه، فولاه سليم الأول نائب له على مصر. وكانت مدة نيابته من ٩٢٣/ ٩٢٨ = ١١٥٧/ ١٥٢٢م.

[٢] مصطفى باشا الشهير بابلق: وهو أول نائب عثمانى لمصر. مدته ٩٢٨/ ٢٩٢٩هـ = ١٥٢٢/ ١٥٢٣م.

[٣] أحمد باشا المعروف بخاين: مدته من ١٨ شوال ٩٣٠/ ربيع أول ٩٣١ هـ

= ١٥٢٤ /١٥٢٤م.

[٤] جوذلجة قاسم باشا: تولى فى غرة جماد آخر ٩٣١هـ = ٢٦ مارس ١٥٢٥م. ويذكر الاسحاقى أن قاسم باشا تولى أمور مصر قبل أحمد باشا الخاين، حيث يذكر: «فكان دخوله سنة تسع وعشرين تسعمائة، وخروجه من مصر فى أوايل سنة ثلاثين وتسعمائة. وكانت مدة ولايته سنة واحدة والله تعالى أعلم، ثم تولى أحمد باشا الخاين».
وهذا بخلاف ما تذكره كل المصادر فى ترتيب النواب. انظر مؤلفه «لطائف أخبار الأول ص ٣١٣٥ مكتبة المليجى. القاهرة ، د. ت.

[٥] إبراهيم باشا الشهير الاسكندرلى: مدته من أواخر ٩٣١/ غرة شعبان ٩٣١ هـ = أوايل ١٥٢٥/ ٢٤ مايو ١٥٢٥م.

[٦] سليمان باشا: وهو الشهير بصارى عسكر الهند: قاد حملات عسكرية فى اليمن، ثم عين باشا على مصر. وكانت مدته ٩٣١/ ٩٤١ هـ = ١٥٢٥/ ١٥٣٥م. ويفسر طول مدة نيابته فى مصر بسبب تكليفه ببناء اسطول مصرى لمحاربة البرتغاليين فى الهند وسواحل الجزيرة العربية.

[٧] خسرو باشا: مدته ٢١ شعبان ٩٤١/ ٦ جمادى الثانى ٩٤٣ = ٢٥ فبراير ١٥٣٥ / ٢٠ نوفمبر ١٥٣٦.

[٨] سليمان باشا صارى عسكر الهند: مدة ثانية من ١١ رجب ٩٤٣/ ١١محرم ٩٤٥ هـ = ٢٤ ديسمبر ١٥٣٦/ ١٠ يونيو ١٥٣٨ م.

[٩] داود باشا الخادم: مدته ١٧ محرم ٩٤٥ / ربيع الأول ٩٥٦ هـ = ١٦ يونيو/ ١٥٣٨ إبريل ١٥٤٩م.

[١٠] على باشا الوزير: مدته ١٠ شوال ٩٥٦/ ٢٥ محرم ٩٦١ هـ = ١ نوفمبر ١٥٤٩/ ٣١ ديسمبر ١٥٥٣م

[١١] محمد باشا الشهير بدوقة كى: مدته غرة صفر ٩٦١/ ١١ ربيع الآخر ٩٦٣ هـ = ٦ يناير ١٥٥٤/ ٢٣ فبراير ١٥٥٦م.

[١٢] اسكندر باشا: مدته ١٥ ربيع الآخر٩٦٣ / رجب ٩٦٦هـ = ٢٧ فبراير ١٥٥٦ / إبريل ١٥٥٩م.

[١٣] على باشا الخادم: مدته غرة صفر ٩٦٦/ ٣ ذو الحجة ٩٦٧ هـ = ١٣ نوفمبر ١٥٥٨/ ٢٥ أغسطس ١٥٦٠م : ويذكر الاسحاقى ص ١٣٦ من المرجع السابق، أنه تولى أمور مصر ١٧ شعبان ٩٦٦هـ = ٢٥ مايو ١٥٥٩م. وهو الاصوب، حيث أن اسكندر باشا عزل فى رجب ٩٦٦هـ باتفاق المصادر.

[١٤] مصطفى باشا الشهير بشاهين: مدته

غــرة ربيع أول ٩٦٨ / ٩٧١هـ = ٢٠ نوفـمـبــر ١٥٦٠/ ١٥٦٣م. ويذكر الاسحاقى أنه استمر لجماد الآخــر ٩٧١هـ = ١٣ فــبــراير ١٥٦٤م.

[١٥] على باشا الصوفى المعروف بكيلون: مــدته ٩٧١/ ٩٧٣هـ = ١٥٦٤/ ١٥٦٦م.

[١٦] محمود باشا المقتول: مدته غرة شوال ٩٧٣/ ٢٠ جمـاد آخـر ٩٧٤ هـ = ١٠ مايو ١٥٦٥ / ٢ يناير ١٥٦٧م.

[١٧] سنان باشـا قـجـا: مـدته ٢٤ شـوال ٩٧٥ / ٩٧٦هـــ = ٢٣ إبــريــل ١٥٦٧/ ١٥٦٨م.

[١٨] اسكندر باشا جركس: مدته ١٤ جماد آخـر ٩٧٦/ ٢٠ مـحـرم ٩٧٩ هـ = ٤ ديـســمـبــر ١٥٦٨/ ١٤ يونيــو ١٥٧١م

[١٩] سنان باشا قجا: مدة ثانية ١٤ جماد آخـر ٩٧٦/ جـماد آخر ٩٨٠هـ= ٣ نوفمبر ١٥٧١/ أكتوبر ١٥٧٢م.

[٢٠] حسين باشا: مدته غرة محرم ٩٨١/ رمـضـان ٩٨٢ هـ = ٣ مايو ١٥٧٣ / ديسمبر ١٥٧٤م.

[٢١] مسيح باشا: مدته ٩٨٢/ ١٥ جمـاد أول ٩٨٨هـ = ١٥٧٥/ ٨، يونيــو ١٥٨٠م.

[٢٢] حسن باشاالخادم: مدته ١٠ جماد آخر ٩٨٨/ ٩٩٠ هـ = ٢٣ يـوليــــو ١٥٨٠/ ١٥٨٢م.

[٢٣] إبراهيم باشا: مدته ٩٩١ / ١٠ شوال ٩٩٣ هـ = ١٥٨٣/ ٥ أكــتــوبر ١٥٨٥م.

[٢٤] سنان باشـا: مـدته ١٣ شـوال ٩٩٣/ ١٤ ربيع آخر ٩٩٤ هـ = ٨ أكتوبر ١٥٨٥/ ٤ إبريل ١٥٨٦م.

[٢٥] أويس باشـا: مـدته ١٢ جـمـاد آخـر ٩٤٤ / رجب ٩٩٩ هـ = ٣١ مـايو ١٥٨٦/ إبريل ١٥٩١م. اشتـهـرت مـدته بفتن فـرق الاسبـاهيـة التـابعـة لوجـاق الجـراكسة، التى أفسـدت فى البـلاد فسـاداً كبيراً، وكـانت تفرض لنفسها الاتاوات والضرائب وتجمعها بالعنف من الفلاحين والحرفيين. لمزيد من التـفـاصيل انظر: أـ «بلوغ الارب برفـع الطلب» لمـحـمـد البــرلسى السعدى، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن. المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٤. ب ـ «كـشـف الكربة فى رفـع الطلبة» لمحمد بن ابى السرور البكرى، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن. المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٣.

[٢٦] أحمد باشا الحافظ: مدته ٢٦ رمضان ٩٩٩/ رمـضـان ١٠٠٣ هـ = ١٢ يوليو ١٥٩١/ مايو ١٥٩٥م.

[٢٧] قـــرط باشـــا: أول نواب السلطان

العثمانى محمد، مدته ٢ رمضان ١٠٠٣/ ٧ رجب ١٠٠٤ هـ = ١١ مايو ١٥٩٥ / ٨ مارس ١٥٩٦م.

[٢٨] محمد باشا الشريف: مدته ٢ شوال ١٠٠٤/ الحجة ١٠٠٦هـ = ٣٠ مايو ١٥٩٦/ يوليو ١٥٩٨م.

[٢٩] خضر باشا: مدته ١٧ الحجة ١٠٠٦ / ١٢ محرم ١٠١٠ هـ = ٢١ يوليو ١٥٩٨/ يوليو ١٦٠١م. وفى أيامه ظهر «التمباك» بمصر بفعل التجار العثمانيين.

[٣٠] على باشا السلحدار: مدته ١٠ صفر ١٠١٠ / ٦ ربيع ثانى ١٠١٣ هـ= ١٠ أغسطس ١٦٠١/ ١ سبتمبر ١٦٠٤م.

[٣١] إبراهيم باشا: أول نواب السلطان أحمد «الذى تولى السلطنة ما بين ١٦٠٣/ ١٦١٧م»، مدته ١٤ الحجة ١٠١٢ / ١٣ ربيع آخر ١٠١٣ هـ = ١٤ مايو ١٦٠٤/ ٨ سبتمبر ١٦٠٤م.

[٣٢] محمد باشا الوزير: مدته ٢٥ رجب ١٠١٣ / أواخر صفر ١٠١٤ هـ = ١٨ ديسمبر ١٦٠٤/ أوائل يوليو ١٦٠٥م.

[٣٣] حسن باشا الوزير: غرة ربيع أول ١٠١٤ / أواخر صفر ١٠١٦ هـ = ١٧ يوليو ١٦٠٥/ ٢٨ مايو ١٦٠٧م.

[٣٤] محمد باشا المعروف بقول قران: مدته ٧ صفر ١٠١٦ / غرة جماد أول ١٠٢٠ هـ = ٤ يونيو ١٦٠٧ / ١٢ يوليو ١٦١١م.

[٣٥] محمد باشا الصوفى: مدته ١٠٢٠/ ربيع أول ١٠٢٤هـ = ١٦١١/ ١٧ إبريل ١٦١٥م.

[٣٦] أحمد باشا الوزير: مدته ١٠ ربيع ثان ١٠٢٤/ ١٢ صفر ١٠٢٧ هـ = مايو ١٦١٥/ ٢٩ يناير ١٦١٩ م.

[٣٧] كفكلى مصطفى باشا: مدته غرة جماد أول ١٠٢٧ / ١٠٢٨هـ = ٢٦ إبريل ١٦١٨/ ١٦١٩م.

[٣٨] جعفر باشا الوزير: أول نواب السلطان عثمان خان. مدته ٩ ربيع أول ١٠٢٨/ ١٤ شعبان ١٠٢٨ هـ = ٢٤ فبراير ١٦١٩/ ٧ يوليو ١٦١٩م.

[٣٩] مصطفى باشا: مدته ٢٧ رمضان ١٠٢٨/ رمضان ١٠٢٩ هـ = ٧ سبتمبر ١٦١٩/ أغسطس ١٦٢٠م.

[٤٠] قرا حسين باشا: مدته ٢٠ رمضان ١٠٢٩ / ٩ ربيع أول ١٠٣١ هـ = ١٩ أغسطس ١٦٢٠/ ٢٢ يناير ١٦٢٢ م.

[٤١] محمد باشا البستنجى: مدته ٤ جماد آخر ١٠٣١ / رمضان ١٠٣١ = ١٦

إبريل ١٦٢٢/ يوليو ١٦٢٢ م.
[٤٢] إبراهيم باشا السلحدار: مدته ٧ رمضان ١٠٣١/ ١٧ رمضان ١٠٣٢هـ = ١٦ يوليو ١٦٢٢ / ١٥ يوليو ١٦٢٣م.
[٤٣] مصطفى باشا جنى: مدته ٢٨ رمضان ١٠٣٢ / شعبان ١٠٣٥ ١٥ = ٢٦ يوليو ١٦٢٣/ أوائل يونيو ١٦٢٦م.
[٤٤] بيرم باشا: أول نواب السلطان مراد: مدته ٩ شعبان ١٠٣٥ / ٩ محرم ١٠٣٨ هـ = ٦ مايو١٦٢٦ / ٨ ديسمبر ١٦٢٨م.
[٤٥] محمد باشا طبان: مدته ١٤ صفر ١٠٣٨ / أواخرربيع الآخر ١٠٤٠ هـ = ١٣ أكتوبر ١٦٢٨ / ٥ ديسمبر ١٦٣٠ م.
[٤٦] موسى باشا: مدته جماد آخر ١٠٤٠ / ذى الحجة ١٠٤٠هـ = يناير ١٦٣١ / يوليو ١٦٣١ م.
[٤٧] خليل باشا: مدته ٧ ربيع أول ١٠٤١/ ٢٢ رمضان ١٠٤٢ هـ = ٣ أكتوبر ١٦٣١/ ٢ إبريل ١٦٣٣م.
[٤٨] أحمد رامى باشا النحاس: مدته ١٠٤٢/ ١٥ جماد أول ١٠٤٥هـ = ١٦٣٣ / ٢٧ أكتوبر ١٦٣٥م.
[٤٩] حسين باشا الدالى: مدته ١٥ رجب ١٠٤٥/ ١٥ جماد آخر ١٠٤٧ هـ = ٢٥ ديسمبر ١٦٣٥/ ٦ سبتمبر ١٦٣٧م.
[٥٠] محمد باشا زلعة السم: مدته ٢ رجب ١٢/١٠٤٧ جماد أول ١٠٥٠ هـ = ٢٠ نوفمبر ١٦٣٧/ ٣٠ أغسطس ١٦٤٠م.
[٥١] مصطفى باشا البستنجى: مدته ١٠ جماد آخر ١٠٥٠ / ١٧ رجب ١٠٥٢ هـ = ٢٧ سبتمبر ١٦٤٠ / ١١ أكتوبر ١٦٤٢م.
[٥٢] مقصود باشا: مدته ٨ شعبان ١٠٥٢/ ١٣ صفر ١٠٥٣ هـ = ١ نوفمبر ١٦٤٢/ ٣ مايو ١٦٤٣م.
[٥٣] أيوب باشا: مدته ٨ ربيع أول ١٠٥٤ / غرة ربيع أول ١٠٥٦هـ = ١٥ مايو ١٦٤٤ / ١٧ إبريل ١٦٤٦م.
[٥٤] محمد باشا الشهير بحيدر زادة: مدته ٦ جماد أول ١٠٥٦/ غرة القعدة ١٠٥٧هـ = ٢٠ يونيو ١٦٤٦ / ٢٨ نوفمبر ١٦٤٧ م.
[٥٥] محمد باشا الشريف: مدته غرة صفر ١٠٥٨ / صفر ١٠٥٩ هـ = ٢٦ فبراير ١٦٤٨/ فبراير ١٦٤٩م.
[٥٦] أحمد باشا أرنؤط: أول نواب السلطان محمد . مدته غرة ربيع أول ١٠٥٩/ غرة صفر ١٠٦١هـ = ١٥ مارس ١٦٤٩/ ٢٤ يناير ١٦٥١م.
[٥٧] عبد الرحمن باشا الخادم: مدته ١٢ ربيع أول ١٠٦١/ ٥ شوال

١٠٦٢هـ = ٥ مارس ١٦٥٠/ ٩ سبتمبر ١٦٥٢م.

[٥٨] محمد باشا أبو النور: مدته ٢ جماد أول ١٠٦٣/ ٨ شعبان ١٠٦٦هـ = ١٨ إبريل ١٦٥٢ / ١ يونيو ١٦٥٥م.

[٥٩] مصطفى باشا الوزير: مدته ١٥ شوال ١٠٦٦/ ١٨ رمضان ١٠٦٧ هـ = ٨ أغسطس ١٦٥٥ / ١ يوليو ١٦٥٧م.

[٦٠] غازى باشا ابن شاه سوار العجمى: مدته نهاية ذى القعدة ١٠٦٧ / غرة شوال ١٠٧٠ هـ = ٩ سبتمبر ١٦٥٧/ ١٠ يونيو ١٦٦٠م.

[٦١] مصطفى باشا الوزير: مدة ثانية غرة شوال ١٠٧٠/ شوال ١٠٧١ هـ = ١٠ يونيو ١٦٦٠ / يونيو ١٦٦١ م.

[٦٢] إبراهيم باشا الشيطان: مدته غرة جماد آخر ١٠٧١/ ٤ شوال ١٠٧٤ هـ = ١ فبراير ١٦٦١ / ٣٠ إبريل ١٦٦٤م.

[٦٣] عمر باشا قاتل العرب: مدته ٥ ذى الحجة ١٠٧٤/ نهاية رمضان ١٠٧٧هـ = ٢٩ يونيو ١٦٦٤/ ٢٦ مارس ١٦٦٧م.

[٦٤] إبراهيم باشا البستنجي: مدته ٢٠ شوال ١٠٧٧/ ١٧ رجب ١٠٧٨هـ = ١٥ إبريل ١٦٦٧هـ/ ٢٠ يناير ١٦٦٨م.

[٦٥] على باشا قراقاش: مدته ٣ ذى القعدة ١٠٧٩/ غرة الحجة ١٠٨٠ هـ = ٤ إبريل ١٦٦٩/ ٢٢ إبريل ١٦٧٠م.

[٦٦] إبراهيم باشا: مدته ١٣ محرم ١٠٨١ / آخر جماد أول ١٠٨٣ هـ = ٢ يونيو ١٦٧٠/ ٢٣ سبتمبر ١٦٧٢ م. وهو أول من ربط الخزينة من شهر توت إلى توت بحسب السنة القبطية.

[٦٧] حسين باشا جنبلاط: مدته ٢٠ شوال ١٠٨٤/ غرة رجب ١٠٨٦ هـ = ٢٨ يناير ١٦٧٤/ ٢١ سبتمبر ١٦٧٥م.

[٦٨] أحمد باشا الدفتردار: مدته ٦ شوال ١٠٨٦/ ٣ ذى الحجة ١٠٨٦ هـ = ٢٤ ديسمبر ١٦٧٥/ ١٨ فبراير ١٦٧٦م.

[٦٩] عبد الرحمن باشا: مدته ربيع آخر ١٠٨٧/م نهاية شعبان ١٠٩١ هـ = ١٨ يونيو ١٦٧٦/ ٢٥ سبتمبر ١٦٨٠م.

[٧٠] عثمان باشا: مدته ١٢ رمضان ١٠٩١ / ١٢ رمضان ١٠٩٤ هـ = ٧ أكتوبر ١٦٨٠/ ٤ سبتمبر ١٦٨٣م.

[٧١] حمزة باشا: مدته ٩ شوال ١٠٩٤ / ٢٠ ذى القعدة ١٠٩٨ هـ = ١ أكتوبر ١٦٨٣ / ٤ سبتمبر ١٦٨٧م.

[٧٢] حسن باشا: أول نواب السلطان

سليمان خان: مدته ١٧ صفر ١٠٩٩/ غرة جماد أول ١٠٩٩هـ = ٢٣ ديسمبر ١٦٨٧/ ٤ مارس ١٦٨٨م.

[٧٣] حسن باشا السلحدار: مدته ١٢ ربيع ثان ١٠٩٩/ ٥ ذى الحجة ١١٠٠ هـ = ١٥ فبراير ١٦٨٨/ ٢٠ سبتمبر ١٦٨٩م. وهذه هى مدة ولايته الأولى، حيث أنه عاد لمدة ثانية ما بين ١١١٩/ ١١٢١ هـ = ١٧٠٧/ ١٠٧٩م.

(٥٠) إضافة ليستقيم المعنى.

(٥١) انظر هامش [٥١].

(٥٢) يذكر أحمد شلبى بن عبد الغنى فى مؤلفه «أوضح الاشارات» مرجع سابق هامش (٥).أن إبراهيم بك الفقارى حارب قوات كبيرة من البدو العرب من العشرين قبيلة، حتى من عرب الحجاز وعرب المدينة وعرب الطايف، لأن بلادهم كان واقع فيها القحط والجدب. وقد اعتمد الجبرتى على مؤلف أحمد شلبى فى ذكر هذا الحادث بتفاصيله. انظر للمقارنة ص ١٨٢ وما بعدها من «أوضح الاشارات». والجبرتى ينقل هنا على وجه الاختصار، ولكنه من عام ١١٠٦هـ ينقل دون اختصار. ولكن مع تهذيب بعض الألفاظ.

(٥٣) العقبة: الميناء المصرى على رأس الخليج المسمى باسمها فى البحر الأحمر.

(٥٤) أيامه: أى أيام حسن باشا السلحدار.

(٥٥) البسوا عليهم: أى عينوا عليهم قائدا مصطفى بك طوكوزجلان.

(٥٦) أدرنة: بالقسم الأوربى من تركيا الحالية. تنسب إلى الامبراطور ادريان الرومانى. وهى تبعد عن الاستانة ١٦٠ ك. م من جهة الشمال الغربى.

(٥٧) ديرالطين: وموقعة فى جهة أثر النبى فى المنطقة القريبة من دار السلام شمال المعادى.

(٥٨) العرقانة: سجن داخل الحوش السلطانى بالقلعة.

(٥٩) محمد بك حاكم جرجا المقتول: انظر ترجمته فى فصل التراجم بآخر هذه الطبعة.

(٦٠) قيطاس بك: انظر ترجمته فى فصل الوفيات بأخر هذه الطبعة. قتل سنة ١١٢٦ هـ

(٦١) أحمد باشا: ومدته ١٦ محرم ١١٠١/ ١٢ جماد الثانى ١١٠٢ه = ٢٠ أكتوبر ١٦٨٩/ ١٣ مارس ١٦٩١م.

(٦٢) إبراهيم باشا: (البوستنجى): انظر هامش (٥١) والنيابة [٦٤].

(٦٣) كانت القلعة مقر نائب السلطان العثمانى بمصر.

(٦٤) أغا: يقصد به هنا رسول سلطانى معه رسالة للنائب فى مصر.

(٦٥) سردار: قائد للفرقة العسكرية فى الغزو.

(٦٦) إضافة لتحديد التاريخ.

(٦٧) تجريدة: حملة عسكرية متكاملة.

(٦٨) ولاية البحيرة والبهنسا: من ولايات الوجه البحرى.

(٦٩) كشاف: مفردها كاشف: كان نائبا عن حاكم الإقليم. وعندما يكون له التزام يصبح ملتزما وكاشفا فى نفس الوقت. وكان مكلفا بجمع الأموال الميرى من الإقليم وتوريدها للحاكم.

(٧٠) البلكات: مفردها بلك. والمقصود هنا قادة الفرق العسكرية العثمانية.

(٧١) ابن وافى: قتل عبد الله بن وافى شيخ عرب المغاربة بواسطة الشريف فارس بن إسماعيل التيلاوى كما يذكر الجبرتى.

(٧٢) الأحزاب: تحالف القبائل البدوية فى البحير. انظر تفاصيل ذلك فى «أوضح الإشارات» مرجع سابق ص١٨٤/ ١٨٥.

(٧٣) الغرق: هو الغرق السلطانى بالفيوم.

(٧٤) حسن أغا بلفيه: أنظر ترجمته فى باب التراجم بآخر هذه الطبعة. توفى سنة ١١١٥هـ.

(٧٥) مصر: المقصود بها هنا القاهرة.

(٧٦) ابن غالب شريف مكة: كانت الواقعة فى رجب ١١٠٢ هـ = أواخر إبريل ١٦٩٠م فى أعقابها هرب ابن غالب.

(٧٧) الجامع المؤيدى: بجوار باب زويلة، أقامه الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى. كان موقوفا عليه عدة مواضع بمصر والشام.

(٧٨) قيطاس بك الدفتردار: ويعرف بالأعور. توفى سنة ١١٤٢ هـ بالحج.

(٧٩) قانصوه بك : ألبس دفتردار بعد موت سيده قيطاس بك.

(٨٠) الخزينة: انظر هامش (٣٠٤)

(٨١) على باشا: مدته ١٢ رمضان ١١٠٢/ ٨ محرم ١١٠٧هـ = ٢٨ مايو ١٦٩١/ ١٩ أغسطس ١٦٩٥ م. كان قائمقام الركب السلطانى.

(٨٢) شهرمسرى: يستخدم الجبرتى أحيانا الشهور والسنين القبطية والعبارة تكاد تكون من «أوضح الإشارات» ص ١٨٦. والتاريخ القبطى هنا يعادل آخر أغسطس ١٦٩١م.

(٨٣) الديار الرومية: يقصد بها اسلامبول.

(٨٤) السلطان أحمد ابن السلطان إبراهيم: هو السلطان أحمد الثانى. خلف أخاه سليمان فى السلطنة العثمانية وحكم بين ١١٠٢/١١٠٦هـ = ١٦٩١ / ١٦٩٥م.

(٨٥) نجاب: الرسول القادم على الإبل غالبا، والشريف سعد بن ابى زيد، كان على خلاف مع أشراف مكة فعينه السلطان أحمد على باشوية حمص بالشام كوسيلة لحل هذا الخلاف، ثم إعاده ليحارب الشريف محسن.

(٨٧) ناظر الدشايش والحرمين: تولى إبراهيم ذو الفقار الدشيشة الكبرى عوضاعن أغات مستحفظان. ومراد بك الدفتردار على المحمودية عوضا عن كتخدا مستحفظان. وإسماعيل بك، على وقف الحرمين عوضا عن باشا جاويش مستحفظان. وعبد الله بك، على وقف الخاصكية عوضا عن كتخدا العزب. انظر فى تفاصيل ذلك «أوضح

الإشـارات» ص ١٨٧ مـرجع سـابق. وديوان الدشـابش هو ديوان الحـبـوب المجـروشـة التي كانت توزع على عرب الحرمين الشريفين من مصر، وكانت له أوقاف عديدة.

(٨٨) المقصود هنا باب الفقارية: لمزيد من التفاصيل انظر «اوضح الإشـارات» ص ١٨٧ مـرجع سابق.

(٨٩) كجك مـحـمـد : هو كـوتشك مـحـمـد، في أحداث هذه الفتنة وتفاصيلها انظر «أوضح الإشارات» ص ١٨٧ وما بعدها. وقد قتل كـجك مـحـمـد في أحـداث الغـلاء سنة ١١٠٦ هـ في مؤامرة يظن أن مدبريها هم تجار الغلال المحتكرين بالاتفاق مع رؤساء الفرق العسكرية الذين حقدوا عليه بسبب ابطاله للحمايات التي كانوا ينالونها من التجار المحتكرين والمتلاعبين بأسعار الغلال. وقد أعقب قتله ارتفاع شديد في أسعار الغلال، مما أدى إلى قيام العامة بنهب حواصل (مخازن وشون) الغلال بالرميلة الخاصة بهؤلاء التجار وإن كانت هناك رواية أخرى حول أن قتله تم بواسطة الباشا لاعتقاده بأن كوچك محمد كان يسعى إلى الاستقلال بمصر.

(٩٠) الحمايات: اتاوات كان يفرضها العسكر العثماني على التجار والحرفيين في مقابل فرض حمايتهم عليهم.

(٩١) بيورلدى: يقصد به هنا منشورا ينادى به في الشوارع لإكسابه العلنية والعمل به.

(٩٢) حسين بك أبو يدك: انظر ترجمته في باب التراجم بأخر هذه الطبعة. توفى سنة ١١٣٤ هـ بالحج.

(٩٣) كريد: هي جزيرة كريت، وكانت في هذا الوقت خاضعة للحكم العثماني.

(٩٤) المركب: حسب تقاليد العمارة المصرية كان يوضح نموذج لمركب فوق قباب أو مآذن الجوامع المصرية وهي مشتقة أساسا من مركب إله الشمس «رع» التي كانت توضع فوق المعابد المصرية وتملئ بالحبوب حتى يأكل منها «طير الحمى» الذى يحوم حول المعابد. وقد اتبع المصريون نفس السلوك عند بناء مساجدهم، وكانوا يسمونها «العشارية» أى عشور الحبوب التي ترصد للطيور السائبة. ويقال أن المركب المذكورة هنا كانت من الذهب، وتذكر بعض الروايات أنه عثر عليها في أحد المقابر الفرعونية التي كانت موجودة بسفح تلال المقطم. ومازال جامع الإمام الشافعي يحتفظ بمركب مشابهة.

(٩٥) إسماعيل باشا: صار عام ١١٠٧ هـ نائبا على مصر لمدة عامين تقريبا.

(٩٦) في تفاصيل ذلك أنظر «أوضح الإشارات» ص ١٨٩. ويقصد بالشراقي هنا الأراضي التي لم يصلها ماء النيل بسبب نقصان الفيضان فلم تزرع، وبالتالي لا يحق عليها أموال للسلطان أو موظفيه. أما البلاد الرى فهي التي أمكن ريها وزراعتها بالرغم من نقص مياه الفيضان.

(٩٧) السلطان مصطفى ابن محمد: هو السلطان مصطفى الثانى تولى السلطنة سنة ١١٠٧ هـ = ١٦٩٥م.

(٩٨) إتكروس: وهى تصحيف لاسم جزيرة «إيكاريوس»، وتسمى أحيانا «إيكاريا». وهى جزيرة فى بحر إيجه بين اليونان وتركيا. وفى الأساطير اليونانية القديمة قذفت الأمواج «إلى هذه الجزيرة بجثة البطل الأثينى إيكاريس، وأن هرقل تولى دفنها بهذ ه الجزيرة.

(٩٩) الطواشي: جمعها «طواشيه» أى الخصيان.

(١٠٠) باب مستحفظان: المستحفظان هم جنود الاحتياط وكانوا غالبا يقومون بأعمال العسس والشرطة، أما بابهم فهو تابع لباب الانكشارية «الينكجرية».

(١٠١) جمعية : أى اجتماع بين موظفى الدفتردارية والمسؤلين عن جمع الضرائب والأموال والعشور لتحصيل الاموال السلطانية.

(١٠٢) غَلَقَ: أى حدد حساباته بكتابة إيصالات يتعهد بسدادها.

(١٠٣) يذكر أحمد شلبى فى مؤلفه «أوضح الإشارات» ص ١٩٢، أنهما سجنا فى باب مستحفظان.

(١٠٤) ورد فى المخطوط أنه فى منتصف المحرم، وقد أوردت التصويب أعلاه من «أوضح الإشارات» انظر الصفحات من ١٨٩ إلى ١٩٣.

(١٠٥) فى تفاصيل هذه الحوادث انظر «أوضح الإشارات» ص ١٩٣ وما بعدها.

(١٠٦) اسماعيل باشا: هو النائب العثمانى رقم ٧٦ على مصر.مدته ١٧ صفر ١١٠٧/ ١٩ صفر ١١٠٩ هـ = ٢٧ سبتمبر ١٦٩٥/ ٦ سبتمبر ١٦٩٧م.

(١٠٧) بركة الفيل : كانت آنذاك بركة كبيرة إلى جنوب غرب القاهرة مخصصة لسكن الارستقراطيين من الامراء والتجار الذين بدأوا ينشئون مساكنهم حولها والتى امتدت حتى بركة الأزبكية.

(١٠٨) سبيل المؤمنين: قرب ميدان القلعة.

(١٠٩) يذكر أحمد شلبى فى «أوضح الإشارات» مرجع سابق ص ١٩٨، أن هذا الطاعون سمى بفصل الشحاتين وفصل الهبا، وفصل الشراقى الكبير.

(١١٠) الشيخ زين العابدين البكرى: انظر ترجمته فى باب «ذكر من مات فى هذه السنين» بآخر الكتاب.

(١١١) مهما عظيما : أى احتفالا عظيما.

(١١٢) غَلَقَ: أى تم استيفاء كل ديون على باشا من قيمة بيع ممتلكاته.

(١١٣) قيطاس بك: هو غير قيطاس بك الدفتردار الذى توفى فى ١٤ رجب ١١٠٢ هـ وورد ذكره سابقا.

(١١٤) ورد أحمد بك من السفر: عاد من سفره على رأس الحملة العسكرية التى ذهبت إلى جزيرة إيكاريا. انظر هامش (٩٨).

(١١٥) ورد إسماعيل بك راجعًا من السفر: عاد من سفره على رأس الحملة العسكرية التى ذهبت إلى جزيرة رودس. ويذكر أحمد شلبى فى «أوضح الإشارات» ص ١٩٩ أنه عاد فى الثامن من محرم سنة ١١٠٨ هـ = ١٦٩٦ م.

(١١٦) دار الضرب: أو الضربخانة، هى دارسك النقود. فى هذه الأحداث انظر «اوضح الإشارات» ص ٢٠٠.

(١١٧) حسن البدرى الحجازى: من الشعراء الذين ذكرهم الجبرتى كثيرًا فى تضاعيف مؤلفه هذا، واستشهد بشعره فى أماكن كثيرة منه. كان عالمًا واستاذًا كثير النقد لأحداث عصره. وله شعر وفير سجل فيه العديد من الأحداث التى وقعت فى زمانه. امتاز بعدم خضوعه لبدع أهل زمانه من المشعوذين والدجالين والمتاجرين بالدين. انظر ترجمته فى آخر هذه الطبعة.

(١١٨) جزيرة الطينة: هى جزيرة دمياط، وكانت منفى للمغضوب عليهم من الباشا العثمانى فى ذلك الوقت.

(١١٩) دينار عليه طُرّة: وكان يسمى «دينار طرلى» أى عليه طرة «توقيع» باسم السلطان الجديد.

(١٢٠) الشريفى: هو الدينار الشريفى.

(١٢١) الأبو طرة: هو الدينار الطرلى.

(١٢٢) لبس: تعنى هنا خلع عليه منصب ولاية جرجا.

(١٢٣) حسين باشا: هو حسين باشا ارنؤط الشهير بنقرة، هو النائب العثمانى علي مصر رقم ٧٧، مدته ٢٥ رجب ١٣/١١٠٩ ربيع أول ١١١١ هـ = ٦ فبراير ١٦٩٨/ اوائل ١٦٩٩م.

(١٢٤) نفر من العسكر: يذكر أحمد شلبى فى «أوضح الإشارات» أنهم عسكر الغريبات، وهم نوع من الجند كانت السلطنة العثمانية تأمر بتجنيدهم من البلدان التابعة لها ما عدا مصر، وكانوا يشبهون جنود الاحتياط. انظر «المجتمع الإسلامى والغرب ص ١٠٠ جـ ١».

(١٢٥) العادلية: قرب القلعة. اشتهرت بأنها مكان الاحتفال بالباشا الجديد قبل طلوعه الديوان بالقلعة.

(١٢٦) كيسا: كان الكيس يساوى ٥٠٠ قرش عثمانى. والقرش عملة فضية يعادل ٤٥ نصف فضة. وكانت البارة والقرش هما اساس التعامل فى هذه الفترة. ووزن البارة من ٩ إلي ١٢ حبة من الفضة، ثم هبط وزنها إلى خمسة حبات، وهى تساوى ثلاثة «أسبَر»، والأسبر عملة فضية صغيرة ينقسم بدوره إلى أربعة «منقور»، أو «منجور» وهو عملة نحاسية وزنها من ٢٣ إلى ٢٧ حبة من النحاس.

(١٢٧) مشهد السيدة نفيسة: بُنى أول ما بنى على يد ابن السرى بن الحكم والى مصر الذى توفى عام ٢٠٤ هـ = ٨١٩م، أى قبل

وفاة السيدة نفيسة بأربع سنوات. وقد جدد مرارًا، كان أحدها على يد الملك الناصر محمد بن قلاون عام ٧١٠ هـ = ١٣١٠ م. وأخرى قام بها الأمير عبدالرحمن كتخدا، وأقيم البناء الحديث في عام ١٣١٢ هـ = ١٨٩٤م وافتتح عام ١٣١٤ هـ = ١٨٩٦م. انظر، السيدة نفيسة، محمد شاهين حمزه ص ٢١١، ٢١٦، مكتبة الجندى، ١٩٧٠ القاهرة.

(١٢٨) كسوة الكعبة: انظر هامش (٢٨٥).

(١٢٩) كان الدخان قد دخل مصر حديثا مع الغزو العثماني عندما أزدهرت تجارته بواسطة التجار العثمانيين في ألبانيا. ويذكر أحمد شلبى في «أوضح الإشارات» عند ذكره لفترة نيابة خضر باشا (١٧ الحجة ١٢/١٠٠٦ محرم ١٠١٠هـ = ٢١ يوليو ١٥٩٨ / يوليو ١٦٠١م). ما يلي: «وفي آخر مدته ظهر الدخان في مصر، وأرخوه دخان نار الصهبة» ص ١٢٧. ومنذ هذه الفترة صدرت عدة فتاوى من رجال الدين بتحريم الدخان باعتباره بدعة وكذلك القهوة.

(١٣٠) الأنبوب: غليون طويل يسمي «الشُبُك» أو العود. ويتراوح طوله بين أربعة وخمسة أقدام، كان يصنع في مصر في ذلك الوقت من خشب «الجَرْمَشْق»، يكسى معظمه بالحرير أو يغطى بأنبوبه من الفضة المذهبة، وعند النهاية السفلى من هذه الكسوة شرابه متدلية من الحرير. وقد يصنع من خشب الكرز من غير كسوة. والأنبوب متصل بحجر من الفخار ذى لون أحمر أو أسود يوضع فيه التبغ. والمبسم مكون من قطعتين أو أكثر من الكهرمان المعتم ذى اللون الفاقع، وعند وصلات هذه الاجزاء ببعضها توجد حليات من الذهب المموه بالمينا أو الأحجار الكريمة، (والمبسم هو أغلى أجزاء الأنبوبة) وينفذ من وسط المبسم أنبوب من الخشب يستبدل من آن لآخر لأنه يتأثر بدهن التبغ، وهو في حاجة إلى تنظيف دائم. انظر «المصريون المحدثون» إدوارد وليم لين، ص ١٣٧ وما بعدها.

(١٣١) أود باشه: أو أد باشه، أو أوطه باشي. من التركية «أوده» أي الغرفة، ويطلقها الانكشارية على المعسكر، و«باش» أى رئيس، والياء علامة الإضافة، أي رئيس الغرفة. يقلب الجبرتي هذا الياء «ألفا» أحيانا و«هاء» أحيانا أخرى، كما يقلب «الدال» إلى «ضاد» كما وردت في هذا المتن على عادة المصريين. واستعمالاتها الاصطلاحية كالآتي:

أ ـ في القصر العثماني: هو رئيس المشتغلين بخدمة السلطان في أموره الخاصة كالمبلس.

ب ـ في الجيش الانكشاري: كان يسمى أيضًا «أورطه باشى» وهو المسئول عن

الضبط والربط في الكتيبة. والمقصود هنا الضابط الانكشاري المسئول عن بابهم، أي باب الانكشارية التي كان يكتبها الجبرتي الينكجرية.

(١٣٢) فترة محمد باشا: هو النائب العثماني علي مصر رقم ٧٨. مدته ١٤ ربيع ثان ١١١١/غرة رجب ١١١٦هـ: ٩ أكتوبر ١٦٩٩/٣٠ أكتوبر ١٧٠٤م.

(١٣٣) الفضة المقصوصة: أى المغشوشة بالنحاس. انظر التفاصيل عند أحمد شلبي في «أوضح الإشارات» ص ٢٠٨/٢٠٩، وكذلك في ترجمة على أغا.

(١٣٤) السلطان أحمد بن محمد خان: هو السلطان أحمد الثالث، تولى السلطنة بين عامى ١١١٥/ ١١٤٣هـ = ١٧٠٣/ ١٧٣٠م.

(١٣٥) يعد هذا العمل من أهم أعمال البلدية التي قام بها محمد باشا من أجل نظافة القاهرة، مما أدى إلى تغيرات هامة في شكل القاهرة. انظر «التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية» لاندريه ريمون ترجمة: زهير الشايب.

(١٣٦) الأربعين: مكان لإقامة الفقراء والمتصوفة. ويذكر المقريزى في خططه، أن الأربعين كانت دورا لعبادة الصالحين من الصوفية وفقراء العجم فقط والخدام من الأحباش.

(١٣٧) جامع بخطبة أى تقام فيه شعائر صلاة الجمعة وخطبتها.

(١٣٨) الخلوتية: إحدى الطرق الصوفية التى انتشرت في مصر مع الغزو العثماني. وكانت السلطات العثمانية تبنى التكايا والأسبلة والكتاتيب والملاجئ ودور العبادة من أموال مصر للأورام فقط دون المصريين.

(١٣٩) قاعة الغورى: كانت هى وبستانها في المنطقة المواجهة للباب الرئيسى للقلعة.

(١٤٠) مسطبة: أى منصة احتفالات، تبنى خصيصًا لتحديد المكان الذى تقام به مراسم المحمل وتعيين أرباب المناصب.

(١٤١) مسطبة النشاب: وهى تشبه اليوم ميدان الرماية وكانت هنا واحدة قرب القصر العينى.

(١٤٢) المسبح: أي وسط الحمام.

(١٤٣) عيسى بن عبدالقادر الجيلانى: هو ليس ابن الزاهد الكبير عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكى دوست الحسينى الجيلانى أو الكيلانى مؤسس الطريقة القادرية المتوفى سنة ٥٦١ هـ = ١١٦٦م ولكنه احد اتباعه.

(١٤٤) صهريجا: حوض كبير يملئ بالماء، وأصل الكلمة فارسى. انظر لسان العرب.

(١٤٥) اضيفت لتحدد المعنى.

(١٤٦) عبدالرحمن بك حاكم جرجا: انظر ترجمته بآخر هذه الطبعة.

(١٤٧) رامى محمد باشا: مدته ٦ شعبان ١١١٦/٦ رجب ١١١٨ هـ = ٤ ديسمبر

١٧٠٤/ ١٤ أكتوبر ١٧٠٦م.

(١٤٨) فيطاس بك: انظر ترجمته بآخر هذه الطبعة.

(١٤٩) يوافق هذا التاريخ السنة الميلادية ١٧٠٤ م = ١٤٢٠ قبطية = ١١١٦ هـ . ويذكر محمد مختار باشا فى «التوفيقات الإلهامية» ان سنة تأخر النيل هذه هى سنة ١١١٧ هـ = ١٤٢١ قبطية = ١٧٠٥م. وغالبا هو الأصح لأن قصيدة حسن الحجازى التى أوردها الجبرتى هنا تؤرخ لهذا التوقف عن الزيادة فى النيل فى آخر شطرة بها وهى «وجب فى توت بحر». وهى بحساب الجُمل تعادل سنة ١١٧ هـ. وهو نفس حساب الشطرة الأخيرة فى القصيدة السابقة «لله جبر الخواطر». وفى حساب الجُمل انظر المعجم الوسيط مواد «أبجد» و«الجُمّل» و«حساب الجُمل». من الملاحظ أن الجبرتى من هذه السنة صار يضيف إلى ما ينقله من أحمد شلبى اشعارا لحسن بدرى الحجازى. انظر ص ٢١٠، ٢١١ من «أوضح الإشارات».

(١٥٠) جَبْرُ : زيادة النيل، وأصل الاحتفال بجبر النيل أن النائب العثمانى كان عند وفاء النيل يكسر السد الذى بين النيل والخليج المصرى، فيجرى الماء فيه، فسمى الكسر جبرا وهو من صفات الأضداد، وفيها بلاغة واستبشار. وكان يحتفل بوفاء النيل وجبر الخليج بالنهار، ولكن عندما ردم الخليج المصرى اكتفى بالمهرجان الليلى فى فم الخليج وذلك ابتداء من سنة ١٣١٤ هـ = ١٨٩٧م.

(١٥١) الشاش: يقصد به الأنواع الجيدة الغزل من القماش، أما «الفرحات خان» فهو نوع من الشاش اطلق عليه اسم احد تجاره المشهورين فى وقته «فرحات خان»، كذلك «الخنكارى» نوع من الشاش أجود من سابقه. ويطلق «الشاش» كذلك على نوع من طواقى الرأس.

(١٥٢) على باشا: هو على باشا الأزمرلى كما ورد اسمه فى «أوضح الإشارات» ص ٢١١. ومدته ٢٢ شعبان ٢٢/١١١٨ جماد آخر ١١١٩ هـ = ٢٩ نوفمبر ٢٠/١٧٠٦ سبتمبر ١٧٠٧م.

(١٥٣) الملاقات: وفد من رجال السلطة ورؤساء الطوايف والفرق العسكرية والامراء المماليك ورجال القضاء، وكانوا عادة يأخذون الباشا الجديد لزيارة الإمام الشافعى أولا حسب التقاليد القديمة، مع العلم بأن رجال الهيئة الحاكمة العثمانية كانوا على مذهب أبو حنيفة النعمان، إلا أنه كان من تقاليد تولى النيابة فى مصر أن يتشرف النائب الجديد بزيارة الإمام الشافعى.

(١٥٤) المتفرقة : انشىء هذا الوجاق فى مصر سنة ١٥٥٤ م. وكان أهله على تأخر زمانهم أعلى منزلة ورواتب. وعليهم كان اعتماد ولاة مصر فى السيطرة على باقى الوجاقات. ثم اضمحلوا فى القرن السابع عشر.

(١٥٥) خليفة ديوان المقابلة: كان هو المسئول عن «قيد دفاتر جمكية العساكر، وساليانات الأمراء والمشايخ والايتام.. وهو الذى يعطى التمكينات إلى أصحاب المرتبات». انظر محمد شفيق غربال «ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية» ص ٣١

(١٥٦) سردار: من الفارسية «سر» بمعنى الرأس و«دار» بمعنى صاحب. والسردار هو القائد. والمقصود هنا أنه صار القائد العسكرى لطائفة العزب بالإسكندرية.

(١٥٧) كتخداى القبودان: كتخدا معناها هنا «نائب»، والقبودان هو القائد العسكرى البحرى. فيكون المعنى المقصود هنا، وكيل أو نائب قائد البحر بالإسكندرية. وكان فى هذا الوقت يوجد قبودان للسويس وآخر لدمياط، يعينهم السلطان العثمانى ويخضعون له مباشرة دون أى تدخل من الباشا المتولى على مصر. انظر «اوضح الإشارات» ص ٢.

(١٥٨) حلو أسمه: اى شطبوه من قوائم الجند فى بلك العزب.

(١٥٩) باش جاويش: أي قائد الجاويشية العسكرى، وهو الشخصية الثالثة فى البلك أو الفرقة بعد الأغا والكتخدا وكان يقوم مقام الكتخدا إذا غاب. وقد انشاء وجاق الجاويشية فى مصر سنة ١٥٢٤م من عدد من المماليك الجاويشية فى بلك العزب. وكان من مهامه جمع الضرائب من الولايات. أنظر «تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى» ص ٥٩ وما بعدها.

(١٦٠) باش أوده باشي: هو قائد الأوضباشية، وتكتب أحيانا «اوطه باشي». انظر «تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى» ص ٣٢ انظر كذلك هامش (٣١).

(١٦١) كتخدا الجاويشية: رئيس وجاق الجاويشية. انظر «تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى» ص ٥٩، ١٩٥.

(١٦٢) طرة : فى المخطوط صورة وصحتها كما أوردتها.

(١٦٣) اسماعيل بك الدفتردار: انظر ترجمته فى آخر هذا الجزء.

(١٦٤) إبراهيم بك: انظر ترجمته فى آخر هذا الجزء.

(١٦٥) قصر يوسف صلاح الدين: أو كشك يوسف. هو سجن داخل القلعة، ذكره أحمد شلبى «أوضح الإشارات» ص ٢١٣.

(١٦٦) إبطال: أي عزل والى البحر.

(١٦٧) كانت مراكب الهند قد تأخرت عام ١١١٨ هـ = ١٧٠٦م. عن الوصول إلى الموانى المصرية بسبب تحركات الاسطول البرتغالى فى مياه بحر العرب وجنوب البحر الاحمر مما أدى إلي ندرة البضائع الهندية فى الأسواق المصرية، وعند وصولها عام ١١١٩ هـ إلى ميناء السويس عجز الميناء عن استقبال مراكب الحجاج فى نفس الوقت. فتركت مراكبهم خارج الميناء

حتى تم الانتهاء من مراكب تجارة الهند وخروجها من الميناء.

(١٦٨) فتنة «باب الينكجرية» : انظر في تفاصيل هذه الفتنة مؤلف الشيخ على الشاذلى «ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة القاهرة»، المجلة التاريخ المصرية، المجلد ١٤ سنة ١٩٦٨. تحقيق : د. عبدالقادر أحمد طليمات. وقد استفاد منه الجبرتى حيث ذكر في اخر ترجمته لافرنج احمد في طبعتنا هذه ما يلى: «ورأيت مؤلفا للشيخ على الشاذلى في خصوص هذه الواقعة وما حصل فيها مفصلا» انظر الملاحق. انظر كذلك كتاب «تاريخ وقائع مصر» للحاج مصطفى ابن الحاج إبراهيم تابع الأمير حسن أغا عزبان، الذى عاصر الفتنة. انظر كذلك «تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين» للشيخ عبدالله الشرقاوى، طبعة مكتبة محمد المليجى الكتبى بالأزهر (د.ت). انظر كذلك «اوضح الإشارات» ص ٢١٤. والجبرتى يعيد شرح أحداث هذه الواقعة في أحداث عام ١١٢٣ هـ. انظر كذلك هامش رقم (١٦).

(١٦٩) افرنج أحمد: انظر ترجمته وبها تفاصيل هذه الحوادث. وكذلك انظر المراجع المرصودة في الهامش السابق، و«التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية» لانديره ريمون، ترجمة زهير الشايب العدد ١٧ من سلسلة كتاب روز اليوسف يوليو ١٩٧٤ ـ القاهرة. ص ٢١٩ إلى ص ٢٥٦.

(١٧٠) حسين أغا: هو جلبى حسين. انظر نفس مصادر أفرنج أحمد.

(١٧١) حسين باشا: يذكره أحمد شلبى في «أوضح الإشارات» باسم حسن باشا السلحدار، وهو الاسم الصحيح والجبرتى يذكره قبل ذلك في مدته السابقة ١٠٩٩/١١٠٠ هـ باسم حسن، ومدته هذه هي الثانية ١١١٩/١١٢١ هـ = ١٧٠٧/١٧٠٩م.

(١٧٢) أى أن الشريف يحى عاد إلى شرافة مكة بمرسوم سلطانى.

(١٧٣) إضافة لإيضاح المعنى.

(١٧٤) التفكجية : هم حملة البنادق من الجند.

(١٧٥) صاحب طبلخانه: أي أن يصبح في موكبه فرقة موسيقية.

(١٧٦) الصنجق السلطانى: أي حملة الإعلام السلطانية ساروا في موكبه.

(١٧٧) الزلاطة والعثمانية : عملتان عثمانيتان: الزلاطة تساوى ثلاثين باره في تركيا. وأما في مصر فكانت تساوى سبعة وعشرين باره في سنة ١٧٢٢م، ثم أربعين باره في سنة ١٧٦٩م. وفى هذا التاريخ الأخير ضربت في القاهرة قروش فضية على نمط الزلاطة العثمانية التى سكت في عهد السلطان مصطفي الثالث ولكنها كانت أثقل قليلاً، فقد كان وزن الزلاطة يتراوح

بين ١٣,٧٣٧ جرام وبين ١٤,٧٧٤ جرام، على حين كان وزن القرش قريباً من خمسة عشر جراماً. اما العثمانية، ويسميها الجبرتي أحيانا «العتامنة»، ويرادفها «اقجه». فالعثماني اسم لواحد الأقجه، وصرف في الروم كل تلات أقجات بنصف فضة، وكانت الاقجه المصرى كل اثنين بنصف.

(١٧٨) أضيف اسم الخازندار خليل لاكتمال العبارة.

(١٧٩) إبراهيم بك الدفتردار: هو إبراهيم بك ابو شنب الدفتردار: انظر ترجمته في آخر هذا الجزء. اما خازنداره خليل فقد ذهب ليعمل فى خدمة السلطان العثمانى، ثم عاد لمصر بعد موت سيده إبراهيم بك، فأرسل ضمن حملة عسكرية على بلاد العجم حيث مات سنة ١١٣٨ هـ = ١٧٢٥م. انظر «اوضح الإشارات» ص ٢١٥ وما بعدها.

(١٨٠) أضفت كلمة «وزنها» لتستقيم الجملة. والمكحلة غالبا نوع من البنادق التى تستخدم البارود.

(١٨١) ريس المراكب: واضح أن الجبرتى هنا ذكر «ريس المراكب» كترجمة للكلمة التركية «قبودان».

(١٨٢) محمد بك جرجا: انظر ترجمته ص.

(١٨٣) ايواز بك: انظر ترجمته. وهو احد الامراء الكبار، حارب عربان الصعيد سنة ١١١٠ هـ، واشراف مكة في اوائل القرن ١٢.

(١٨٤) باب زويله : أحد أبواب القاهرة القديمة فى سورها القبلى. أنشأه أمير الجيوش بدر الدين الجمالى سنة ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م، وباب زويله الحالى أكبر أبواب القاهرة وأضخمها، يقوم على رأس شارع المعز لدين الله من الجهة القبلية ويعلوه منذنتى جامع الملك المؤيد شيخ، ويسميه عامة مصر «بوابة المتولى»، وأحيانا «باب المؤيد»، انظر «موسوعة مدينة القاهرة» للدكتور عبدالرحمن زكى ١٩٦٩م. القاهرة.

(١٨٥) أوده باشة البوابة : بالنسبة للرتب العسكرية داخل أوجاق الانكشارية أو المتفرقة. كانت رتبة كتخذا هى أعلى رتبة يمكن أن يصل إليها فرد فى العسكرية المصرية، وأصحاب الحق فى هذه الوظائف كانوا يلعبون دورا حاسما فى أوجاقاتهم، أما الكتيبة «أودا» فكان يقودها «أودا باشى» وتكتب عند الجبرتى أحيانا «اوطه باشى» أو «أود باشه»، وهو من ضباط الصف، وهؤلاء الضباط كان يقودهم «باش أودا باشى» أي رئيس قواد الكتائب. انظر «التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية» مرجع سابق ص ٢٥٩/٢٥٨ وهامش (١٣١).

(١٨٦) الاسباهية: هم فرسان الجراكسة المماليك من القاسمية والفقارية. والجبرتى يذكرهم أحيانا باسم الثلاث بلكات الاسباهية، وأحيانا باسم «الجراكسة»، والثلاث بلكات الاسباهية عند الجبرتى هى : ١/ «الكمليان» ويطلق عليهم أحيانا اسم

«الكوكليـــان». ٢/ التـــفكجـــيـــة. ٣/ الجـــراكـــســـة. ولكن التـعـريف الدقـيق للاسباهية يأتى ضمن تعريف الوجاقـات الســت فى الهامـش رقـم (١٨٨).

(١٨٧) القابجية: مفردها قابجي بمعنى البواب. والمصطلح يشير إلى البواب الذى يحرس باب الديوان الحكومي، ويستقبل القادمين إلى الديوان. والمقـصـود بهم هنا الرسل وحـراس أبواب البلكات انظر «تأصيل ما ورد فى تاريخ الجـبـرتى» ص ١٦٢ ومـا بعدها.

(١٨٨) الوجاقات الستة: كانت العساكر العثمانية التى تركها السلطان سليم فى مصر أربعة وجـاقـات، ثم زادها السلطان سليـمـان القـانونى سنة ١٥٢٤م وجـاقين فـصـارت سـتـة، ثم صـارت سنة ١٥٥٤م سـبـعـة وجاقات هى:

١/ وجـاق الانكشـارية. ٢/ وجـاق العـزب. كـان جند العـزب طائفتين، بحرية وبرية، وقد اضمحل دور العزب البحريون بعد أن عظم دور الغليـونجـيـة. أمـا فـرقـة العـزب البريون فقد أنشأت فى عهد أورخـان ابن عثمان أو بعده بقليل، وكانوا مشاة خفافا «خـفـيف بيـاده»، يحـاربون أمـام مـواقع المدافع العثمانية. وكان منهم من يقيم فى القـــلاع على الحـــدود أو فى الـولايات ويتـولون الرمـاية بالسـهـام والبنادق. ٣/ وجاق الكمليان أو الكملية أو الكوكليان. هم المتطوعون للعمل مع الانكشارية فى حراسة القلاع وهم من المماليك، ولكنهم لا يتـقـاضـون رواتب إلا فى حـالة الحـرب. ويرى بعض المؤرخين أن هؤلاء المطوعـة كـانوا من أسبـاب فـسـاد الانكشـارية. ٤/ وجـاق التـفـجـيـة. هم حـملة البنادق من الجند. ٥/ وجـاق الجـراكـسـة. ٦/ وجـاق الجاويشية. أنشئ للجاويشة وجاق فى مصر سنة ١٥٢٤م من عـــدد من المـمــاليك، وكـانت مـهـمـة هذا الوجـاق هى حـمل الأوامر والفرمانات من البـاشـا. ولم يكن عـددهم يزيد عن أربعين فـرداً يعـملون جميعاً فى ديوان القاهرة، وأمورهم مفوضة إلى الوالي، فـإن خـلا مكان فى جـمـاعـة الجاويشية شغله الوالى بواحد من الجملية أو التفكجية الفرسان. ولا يجوز التعيين فى جـمـاعـة الجـاويشـيـة من غـيـر هذين المعسكرين. ٧/ وجاق المتفرقة أنشئ هذا الوجاق فى مصر سنة ١٥٥٤م وكان أهله أعلي منزلة ورواتب، وعليهم كان اعتماده ولاة مصر فى السيطرة على باقى الوجاقات وفى اواخر القرن السادس عشر (١٥٩٥م) كـانوا أكثر الوجـاقات عدداً ثم اضـمـحلوا فى القـرن السـابع عـشـر. وكـان جنده فى الأساس من أبناء الأسرى والدوشيرمة، ثم قصر على البستانجية. وقد ألغيت وظيفتهم تمامًا فى كل السلطنة العثمانية بإعلان التنظيمات سنة ١٨٢٩م. انظر «تأصيل ما

ورد فى تاريخ الجبرتى» ص ١٩٦/١٩٥.

(١٨٩) التعريف بالبحرين: هم مرشدى السفن التجارية بساحل بولاق وساحل مصر القديمة.

(١٩٠) جامكية : المرتب.

(١٩١) عُشر : هى العشور أو الجمارك.

(١٩٢) الخردة : يقصد بها هنا مظالم «اقطاع الخردة». والقائم عليه هو المكلف بجمع العشور والضرائب التي يدفعها الأهالى وأصحاب الحرف البسيطة مثل أرباب الملاهى من لاعبى السيرك والألعاب البهلوانية والقرداتية والموامس والحواه. وإن كان الجبرتى بعد ذلك يستخدم كلمة «خردة» بمعنى بائعي الأدوات المعدنية القديمة.

(١٩٣) الشيخ النشرتى: انظر ترجمته.

(١٩٤) الشيخ عبدالله الشبراوى: انظر ترجمته الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٧٢.

(١٩٥) مشايخ السجاجيد: هم مشايخ الطرق الصوفية.

(١٩٦) كانت التقاليد فى ذلك الوقت لا تحدد أمير الحاج، من الأمراء المماليك، إلا فى يوم المولد النبوى.

(١٩٧) أغا أغات الجراكسة : أى رئيس أغات الجراكسة الثلاث، وهم كما سبق ذكرهم، الجمليان، الجراكسة والتفكجيان.

(١٩٨) أغات الجبجية : «جبة» بالتركية تعنى الدرع، التحقت بها أداة النسب إلى الصفة «جى» فأصبحت «جبجى». والمصطلح يشير إلى مسؤل الأسلحة. وقد وسع الانكشارية معنى «الجبة جى» فأطلقوها على صناع الأسلحة والذخائر والقائمين على حفظها واصلاحها. وكان فى جيشهم قسم يعرف بسلاح «الجبة جيه» (جبة جى أوجاغى) يصنع الأسلحة والذخائر ويحملها إلى الجيوش فى القلاع والطوابى، ويستردها بعد المعارك ويصلح ما يحتاج منها إلى الإصلاح. وقد ألغى سلاح «الجبة جيه» هذا مع إلغاء الانكشارية سنة ١٢٤١ هـ = ١٨٢٥م. وكان «الجبة جى باشى» يشرف على صناعة البارود الذى كان يستخرج إن ذاك من الكيمان المتخلفة عن المدن والقرى المتخربة والمندرسة، وخاصة من بلدى «منية كنانة» و«شلقان» بمحافظة القليوبية. وكان ما يقدمه «الجبه جى باشى» من البارود يخصم له ثمنه من مصروف الميرى، إلا ما يقدمه للألعاب النارية فى بعض الاحتفالات كسفر المحمل، وسفر الخزنة، ومقدم الباشا الجديد.

(١٩٩) العسس : اى الشرطة، وكانوا فى الغالب تابعين للوالى ومن فرقة الانكشارية (الينكجرية).

(٢٠٠) باب الخرق : هو من الأبواب المندرسة الآن، وكان فى المنطقة التى تسمى حاليًا «باب الخلق».

(٢٠١) ارباب الأشاير: أرباب الطرق الصوفية.

(٢٠٢) أمير أخور صغير: أمير أخور، هو الناظر فى

أمور الاصطبلات، كان يعاونه عدد أدنى من الأمراء الأخاور منهم المتوسط والصغير. وكان للبريد أمير أخور يُعنى بدواب نقل البريد. والمقصود هنا أن هذا الأمير كان رسولا يحمل رسائل للباشا من الباب العالى العثمانى.

(٢٠٣) أحمد جلبى بن يوسف أغا: هو صاحب الحمام الذى بباب سعادة والغرق. انظر «أوضح الإشارات» ص ٢٢٤.

(٢٠٤، ٢٠٥) أضيفت كلمة «فرق» للإيضاح. والمقصود هنا تحصيل ضريبة من تجار البن تساوى قيمة فرقين بن على كل عشرة فرق. وفرق البن عيار على شكل زمبيل سعته ٣,٥ قنطار.

(٢٠٦) الباب الجُملي : هو ذاته باب جمليان سبق ذكره.

(٢٠٧) ذكر الجبرتى هنا أن عدد الوجاقات سبع، تمشيا مع زيادة وجاق المتفرقة سنة ١٥٥٤ م = ٩٦٢ هـ.

(٢٠٨) تكشف هذه الواقعة عن مدى تغلغل التجار فى الوجاقات العسكرية، ومدى تغلغل العسكريين فى الطوائف الحرفية.

(٢٠٩) إضافة للإيضاح.

(٢١٠) إبراهيم باشا القبودان : يذكر أحمد شلبى فى «أوضح الإشارات» ص ٢٢٦ أنه وصل فى يوم الخميس ١٩ القعدة ١١٢١ هـ وظل حتى ١٥ رجب ١١٢ هـ = ٢٠ يناير ٩/١٧١٠ سبتمبر ١٧١٠م.

(٢١١) سويقة عصفور: يقع شارع سويقة عصفور بمنطقة الداودية جنوب باب زويلة. وهو شارع قصير لا يتجاوز طوله مائة وعشر امتار. انظر «الخطط التوفيقية» لعلى مبارك جـ ٣.

(٢١٢) إضافة للإيضاح.

(٢١٣) كاتب الحوالة: استخدم الجبرتى هذا المصطلح إلى جانب عدة مصطلحات مساوية له مثل «كاتب التقاسيط» و«شهر حواله» و«المكتوبجى» و«كاتب الروزنامة» وغيرهم. ويقصد به هنا الشخص المخول بجمع الأموال الأميرية من العمال المكلفين بتحصيلها. وفى «قانون نامه مصر» يذكر أن «كاتب الحوالة» هو الموظف المسؤل عن قيد أسماء الملتزمين، ويقدر الميرى عليهم، والأقساط المطلوبة منهم، وإرسال «الشهر حواله» ليحصلها.

(٢١٤) المحاسبجى: لعل المقصود هنا أحد موظفى «الشهر حواله».

(٢١٥) عيال المحلول عنهم: المقصود هنا أنه قطعت رواتب العيال الايتام من الترك.

(٢١٦) سلحدار: كان السلحدار سادس ستة هم أركان الخاص أوده، أى العاملون فى خدمة السلطان داخل السراى. وكان هؤلاء الستة مرتبين بحسب علو المناصب على النحو التالى:

الخاصى أوده باشى، فالسلحدار، فالجوخه دار، فالركبدار، فالتلبند غلامى، فالأنختار

اغاسى أو مفتاح غلامى أى غلام المفتاح. وقد انشىء هذا المنصب فى أيام بايزيد الصاعقة. وكان من أهم أعماله أن يحافظ فى داخل السراى على سيف السلطان وبندقيته وقوسه ودرعه. وكان القانون يقضى بترقية الجوخه دار، (وهو - طبقا للتسلسل الوظيفى يلى السلحدار مباشرة) إلى منصب السلحدارية إذا شغر هذا المنصب. وكان السلحدار يرقى أيضاً إلى أغاوية الانكشارية. وقد ألغى هذا المنصب. سنة ١٢٤٧هـ= ١٨٣٠م. انظر «تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى» ص ٢٨/٢٦.

(٢١٧) الجنزرلى: وأصلها كلمة «زَنْجرْلى» التركية، وهى مأخوذة من الكلمة «زَنْجر» ومعناها سلسلة. وهى تطلق عادة على القطع الذهبية الدنانير التى يوجد فيها ثقب تعلق منه فى سلسلة لتلبس فى الصدر.

(٢١٨) خليل باشا: مدته ١٧ شعبان ١٣/١١٢٢ رجب ١١٢٣هـ= ١١ اكتوبو ٢٦/١٧١٠ أغسطس ١٧١١م. انظر احمد شلبى فى «اوضح الإشارات» س٢٢٨. ويلاحظ ان هناك اختلاف فى شهر توليته باشوية مصر بين الجبرتى وأحمد شلبى.

(٢١٩): صيدا: من موانى جنوب لبنان. كانت قديما تسمى «صيدون» أو «زيدون». وبالمدينة قلعتان، أقدمهما من عهد الحروب الصليبية تقع على الجنوب الشرقى لتلالها، والثانية حديثة نسبياً يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر الميلادى، كانت فى العهد العثمانى ثُكنات للجند.

(٢٢٠): ظلت شهور السنة القبطية (المصرية) تستخدم طوال الحكم الإسلامى لمصر بأعتبارها أساساً للسنة المالية، وكانت غالبا تحسب من شهر «توت» حتى نفس الشهر من العام التالى، وذلك لأنها تعتبر أدق تقاويم الزراعة فى مصر التى يقوم عليها النشاط الاقتصادى الاساسى. ولكن فى عهد الخديو اسماعيل باشا تم استخدام السنة الميلادية كسنة ماليه إلى جانب السنة القبطية، وذلك من أول سبتمبر سنة ١٨٧٥م. مع ملاحظة ان السنة الميلادية كانت مستخدمة قبل ذلك إلى جانب السنة القبطية، ولكنى باسمائها السريانية وهى: كانون ثان = يناير، شباط = فبراير، آذار = مارس...الخ. وكان الجبرتى يسمى هذه الشهور بالشهور الرومية.

(٢٢١) مصطفى كتخدا القزدغلى انظر ترجمته فى آخر هذه الطبعة.

(٢٢٢) الضُّلمه: فى التركية «طولامه» لباس قديم مفتوح من الأمام يشبه «الجبة» كان يصنع من الجوخ، ويلبسه الرجال والنساء، تضم حاشيتا الفتحة فوق الصدر، والكمان واسعان متموجان، ونصف الضلمه الأعلى ضيق ونصفها الأسفل واسع. كانت ضلمه الانكشارية والخاصكية طويله يشد على

وسطها حزام مخطط. وكان الانكشارية يلبسون فوقها القبوط أو معطف المطر.

(٢٢٣): جربجى: هو ضابط انكشارى رئيس المشاة، وربما قيل له «سوباشى» أو «صوباشى». ولقد كان للجربجى. وهو رئيس المشاة - حصان وأمازية (ملبس) عبارة عن جُبه من الجوخ الاحمر لها كمان، وسروال أحمر وخف أصفر، وقلنسوة مذهبة الحاشية عليها ريشه. ويشرف الجربجى على كل أمور الكتيبة. وفى عهد السلطان محمود الثانى قبيل إلغاء الانكشارية، ألغى هذا اللقب واستعمل بدلاً منه لقب «أورتاباشى» أو «أورطاباشى»، أى رئيس الاوطه. وكان لقب جوربجى يطلق أحياناً على الأغنياء من تجار النصارى، وعلى أصحاب السفن التجارية.

(٢٢٤): البلكات الستة: حذف الجبرتى منهم البلك السابع، وهو بلك الاسباهية المعارض للأتفاق.

(٢٢٥): المقابلة: المحل الذى تحفظ فيه دفاتر جمكية العساكر وساليانات الأمراء والمشايخ والايتام. وكاتب، أو أفندى المقابلة هو الشخص المسؤل عن هذه الامور. انظر محمد شفيق غربال ص ٣٢.

(٢٢٦): حسن جاويش القازدغلى: وهو خشداش عثمان كتخدا القزدغلى وحول البيت القازدغلى انظر الملاحق بنهاية هذه الهوامش.

(٢٢٧): سردار قطار: أى قائد طابور عسكرى.

(٢٢٨) سردار الصرة: هو قائد الطبور العسكرى الذى يسير فى حماية الصرة الأميرية.

(٢٢٩): سردار جداوى: المقصود به هنا قائد جند مدينة «جدة»، ومنها أخذ اسم «جداوى»، والذى كان يصاحب المحمل المصرى إلى الاراضى المقدسة الحجازية.

(٢٣٠) الصندوق: الذى توجد به حسابات جمكية العساكر انظر هامش (٢٢٥).

(٢٣١) السواقى: هى سواقى مجرى العيون التى كانت تجلب الماء من النيل الى مجرى العيون الذى يوصلها الى القلعة حيث الباشا وجنوده.

(٢٣٢) عرب اليسار: فى منطقة جنوب القلعة. وهذه العمليات يذكرها بالتفصيل الشاذلى الفرا فى مؤلفه «ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة» بطريقة مختلفة قليلاً. انظر ص ٣٥١ وما بعدها بالمجلة التاريخية المصرية، تحقيق د.عبدالقادر طليمات، سنة ١٩٦٨م.

(٢٣٣) اضافة ليستقيم المعنى.

(٢٣٤) الوجاقات الخمس: لعل الجبرتى منا يذكر الوجاقات التى لم تشترك مع البلكين المتصارعين.

(٢٣٥) حسن كتخدا العزب: انظر ترجمته فى آخر طبعتنا هذه.

(٢٣٦) قناطر السباع: كانت مقامة أمام مسجد السيدة زينب على الخليج المصرى.

(٢٣٧) البساتين: جنوب شرق القاهرة امام المعادى شرقا.

(٢٣٨) العرب والمغاربة والهوارة: حفل تاريخ مصر فى ظل الاحتلال العثمانى بالغارات العديدة للبدو على الاراضى الزراعية فى الوادى والدلتا من أجل السلب والنهب. ولكن بعض هؤلاء البدو تمكنوا من الاستقرار فى بعض المناطق وفرضوا نفوذهم عليها مثل «الهوارة». وزاد من نفوذهم ضعف السلطة العثمانية واستعانتها بالبدو فى صراعاتها فيما بينها. بل كانت احياناً تستخدم هذه القبائل البدوية ضد بعضها البعض، بل وضد أجنحة القبيلة الواحدة.

(٢٣٩) جامع السلطان حسن: وهو مدرسة كذلك. بدأه السلطان حسن عام ٧٥٧م. تمت عمارته فى ثلاث سنوات فأتى على احسن مثال، وقبته لا مثيل لها فى المساجد العربية، وكذلك المنبر الرخامى والبوابة.

(٢٤٠) محمد بك الصغير: هو محمد بك قطامش تابع قيطاس بك. (وقيطاس بك مملوك ابراهيم بك بن ذو الفقار بك). تولى الإمارة والصنجقية فى حياة استاذه، وتقلد إمارة الحج سنة ١١٢٥هـ وتقلد أيضاً إمارة الحج سنة ١١٤٦هـ وسنة ١١٤٨هـ. قتل فى واقعة بيت الدفتردار، وقتل معه من أمرائه على بك وصالح بك حوالى عام ١١٤٩هـ. انظر تراجم الامراء فى اول الجزء الثانى من طبعتنا هذه.

(٢٤١) سوق السلاح: متفرع من شارع محمد على حتى نهاية شارع سويقة العزى.

(٢٤٢) طولون: جامع أحمد بن طولون، أسسه سنة ٢٦٣هـ = ٨٧٦م، واكتمل بناؤه بعد عامين. قيل انه بنى من كنز عثر عليه فى تلال المقطم فى مكان يسمى «تنور فرعون» عثر بداخله على مركب من الذهب علقها احمد بن طولون بالمئذنة ووضع بها الحبوب للطيور السائبة كعادة قدماء المصريين فى معابدهم. وهو أول جامع بنى من مواد جديدة تماماً، وليس من اسلاب المعابد الفرعونية أو الكنائس، كما أنه اول جامع استخدم الاروقة المدببة الشكل، وهى الاروقة التى لم تظهر فى انجلترا إلا بعد ذلك بقرنين على الاقل. وقد بنى بأعلى جبل يشكر، لأنه مكان مبارك معروف بإجابة الدعوات منذ القدم. وقد واجهت احمد بن طولون صعوبة فى الحصول على الأعمدة الثلثمائة التى دعت الحاجة اليها لحمل العقود، غير أن مهندساً قبطياً تمكن من عمل تصميم مجسم لبناء المسجد استغنى فيه عن الاعمدة، فكان ذلك بلاشك أول ما عرف عن نماذج بناء المساجد. ولقد قاوم هذا المسجد النيران التى التهمت مبانى القطائع العاصمة التى بناها أحمد بن طولون وظل قائماً حتى يومنا. انظر «سيرة القاهرة» ستانلى لينبول ص ٨٤/٩٠.

(٢٤٣) مدرسة قوصون: هى المدرسة التى اسسها الامير قوصون سنة ٧٣٠هـ = ١٣٣٠م بجوار حارة المصامدة خارج باب زويله.

(٢٤٤) جامع مِرداده: هذا الجامع أقامه الأمير سودون مرداده الظاهرى برقوق بسويقة العزى. وقد ظلت شعائره مقامة من أوقافه حتى نهاية القرن التاسع عشر.

(٢٤٥) سويقة العزى: خط هذه المنطقة الأمير عز الدين أيبك العزى نقيب الجيش أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون. وهذه السويقة كانت من جملة المقابر بين الباب الجديد والحارات وبركة الفيل وبين جبل المقطم.

(٢٤٦) جامع قجماس: أقامه الأمير قجماس سنة ٦٨٦هـ = ١٢٨٧م. ويعرف بجامع أبى حريبه قرب باب زويله.

(٢٤٧) التبانه: خط التبانه قرب باب زويله.

(٢٤٨) صالح جربجى الرزاز: مازال له قصر متهدم قرب باب زويله.

(٢٤٩) محمد جاويش كدك: انظر ترجمته فى آخر طبعتنا هذه.

(٢٥٠) جامع المردانى: بجوار خط التبانه، خارج باب زويله، أقامه الأمير الكبير طنبغا الماردانى سنة ٧٤٠ هـ = ١٣٤٠م. وهو جامع مرتفع البناء وذا أتساع عظيم مما أغرى الجند بأتخاذه حصناً. كانت عليه اوقاف وهو الآن معطل الشعائر.

(٢٥١) جامع أصْلَم: هو جامع أصلم البهائى بالدرب الاحمر.

(٢٥٢) جامع المؤيد: بجوار باب زويله. أقامه السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى فى الفترة ما بين ٤ جماد آخر ٨١٨ و١٧ ربيع أول ٨١٩هـ = ١٢ أغسطس ١٤١٥/١٥ مايو ١٤١٦م. ووقف عليه مواضع بمصر والشام.

(٢٥٣) الصليبة: خط الصليبة هى المنطقة الممتدة من جامع السلطان حسن حتى جامع أحمد بن طولون، والواقعة حالياً ضمن دائرة قسم الخليفة. القاهرة.

(٢٥٤) خط قوصون: قرب قلعة القاهرة. وجامع قوصون قرب باب زويله. كان هذا الحى يقترب ويشرف على بركة الفيل، ويعد فى وقته أكثر أحياء البركة جاذبية للارستقراطية. فقد كان لكل من إبراهيم كتخدا القازدغلى ورضوان كتخدا الجلفى بيت فى هذا الحى.

(٢٥٥) السليمانية: من احياء قوصون.

(٢٥٦) جامع الماس: يوجد بشارع الحلمية. أقامه الأمير سيف الدين الماس الحاجب، أحد مماليك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بسنة ٧٣٠ هـ = ١٣٣٠م. وكانت شعائره مقامة من ريع اوقافه.

(٢٥٧) حبيب الدجوى: يقال انه فلاح من قرية «دجوه» مركز طوخ، كان يقوم بقطع الطريق فى البحر وله نفوذ كبير وسطوه وصلات بالصناجق، لأن كل شىء

كـان يأخـذه كـان يرسل لهم منه. انظر «اوضح الإشارات» ص١٨٠.

(٢٥٨) جامع بشتك: أقامه الأمير بشتاك الناصرى من أمراء الناصر محمد بن قلاوون وأتمه سنة ٧٣٧هـ. خُرب بعد ذلك، واعادت اعماره والدة مصطفى باشا أخى الخديو اسماعيل باشا سنة ١٢٧٨هـ = ١٨٦١م. وهو يقع بشارع درب الجماميز (شارع بورسعيد). وكان بجواره سبيل بنفس الاسم.

(٢٥٩) سردن كجدى: أو سردن جشتى، أى لواء فرقة الفدائيين، وهى فرقة تتغلغل فى صفوف العدو وتقتحم القلاع المحاصرة. وهذا الاسم أصله جملة فعليه معناها «تجاوز عن رأسه» وقد صارت هذه الجملة التى اسند فعلها للمفرد الغائب علماً على فرقة الفدائيين، فخرجت بذلك من الفعلية الى الاسمية. وقد ذكرها الجبرتى بعد ذلك «سردن جشتى» فأحسن حين رسم الدال فى «كجدى» «تاءً» لأن الدل بعد «الجيم» المشربة تنطق «تاءً» فى اللغة التركية.

(٢٦٠) بيرقدار: بيرق أصلها فى التركية العلم و«دار» معناها «الممسك» وهكذا يكون البيرقدار هو حامل العلم. والمقصود هنا أن هذه الفرقة تميزت حتى صار لها بيرقاً خاصاً.

(٢٦١) أغات السردن كجدى: «أغات» من المصدر «أغمق» ومعناها الكبير، وجرى الجبرتى على إضافة «تاء» اليها اذا وقعت مضافاً. والمقصود به هنا قائد فرقة الفدائيين.

(٢٦٢) لما كثر خراب القاهرة ونهب دورها وأسواقها بسبب كثرة الأقتتال بين الفرق العسكرية – وقد تكرر ذلك مرات عديدة خلال الاحتلال العثمانى لمصر – اشتكى التجار والسكان من ذلك وهددوا بغلق تجارتهم ووكالاتهم، فأجبر الباشا العثمانى الفرق العسكرية على ممارسة نزاعاتهم العسكرية خارج القاهرة وخاصة قرب النيل فى المنطقة المعروفة بالقصر العينى والتى كانت تمتد من مصاطب النشاب الحاليه بجاردن سيتى وحتى المعادى جنوبا.

(٢٦٣) نهبهم: هكذا فى المخطوط كما هى لغة الجبرتى.

(٢٦٤) المساطب: هى مساطب النشاب ومازال بأسمها حتى الآن شارع بحى جاردن سيتى.

(٢٦٥) الجراة: لعلها منطقة مجرى العيون.

(٢٦٦) ذهبوا بها: هكذا فى المخطوط بالرغم من كلمة «رأس» مذكر وليست مؤنثة.

(٢٦٧) قليدهم: اى من كان قائدهم ومُقلد عليهم.

(٢٦٨) كانت عادة سلخ رأس العدو سائدة بين القبائل الرعوية، ولم يتنازلوا عنها حتى بعد أن اقاموا ممالكهم العسكرية كما كان الحال فى الخلافة العباسية والعثمانية.

(٢٦٩) يوسف الجـــزار : هو يوسف بك الجـــزار، ويسمى أحيانا عند الجبرتي يوسف جربجي الجزار عزبان. انظر ترجمته ص من طبعتنا هذه.

(٢٧٠) اسماعيل ابن ايواظ بك: انظر ترجمته ص من طبعتنا هذه.

(٢٧١) احمد كاشف: صار من اتباع اسماعيل بك ابن ايواظ فأرسله على رأس حملة عسكرية للجهاد فى بلاد الروم سنة ١١٢٨هـ = ١٧١٥م. انظر فى آخر طبعتنا هذه.

(٢٧٢) قانصوه بك القاسمي: انظر ترجمته ص من طبعتنا هذه.

(٢٧٣) حلوان البلاد: الحلوان هو ما يفرض على بلاد الملتـــزمين الأمـــوات من الأراضى الاميرية، بمعنى أن حصص الألتزام التى يموت ملتزمها يستطيع ورثة هذا الملتزم نقلها الى انفسهم بشرط دفع الحلوان، وهو فى هذا الحال بمثابة «رسم تسجيل» مقداره ثلاثة امثال فائض الملتزم. وقد نزل السلطان للباشا النائب عن هذه الموارد. وإن تنازل ورثة الملتزم عن التزامه أو لم يكن هناك ورثة، عـرضت فى المزاد، أو تعطى برسم خاص معجل أو مؤجل لمن يستغلها. ومن الملاحظ ان مال الحلوان كان يفرض كذلك على من يرث أو يشغل الوظائف الهامة بعد وفاة القائم بها كالإمامة والرزنامه والخطابة.. الخ لما كانت تدره هذه الوظائف من مكاسب على صاحبها. وكان جزء كبير منها يوزع على العسكر وكتخدا الباشا.

(٢٧٤) الثـــلاثة أيام: هكذا فى المخطوط، وهى صحيحة.

(٢٧٥) جلب خليل كتخدا: قتل سنة ١١٢٣هـ = ١٧١١م فى اعقاب فتنة افرنج أحمد. انظر التراجم آخر طبعتنا هذه.

(٢٧٦) لكونها نوبته أى أنهم البسوا حسن جاويش رتبة كتخدا بعد موت قريبه خليل جلب لأن ذلك كان دوره فى الترقية الى كتخدا.

(٢٧٧) البُذْرم: أصلها يونانية بمعنى غرفة تحت الأرض تستعمل مخزناً أو سجناً. و«البدروم» فى مصر طابق تحت الارض أو مساوى لها، وربما قيلت فى المصرية «بدرون». والجبرتى هنا أستبدل الدال بالذال، ولعل هذا راجع الى أن اللغة المصرية فى هذا الوقت لم تكن قد استقرت بعد ودخلها العديد من الألفاظ التركية والفارسية واليونانية،الخ.. وفى تفاصيل الحادث انظر «أوضح الإشارات» ص٢٤٣. والمقصود بالبذروم هنا اسم المكان الواقع بين المعسكرين المتنازعين. وكانت هذه الواقعة تمهيد لهجوم خادع، وهو ما تحقق بمعونة الكلاب الضالة فى حى الرميلة كما يذكر الدمرداش فى كتابه «الدرة المصانة فى اخبار الكنانه» وكذلك الحاج مصطفى القينالى فى مؤلفه «مجموع لطيف يشتمل على وقايع مصر

القـاهرة من سنة ١١١٠ الى آخـر تاريخ المجموع».

(٢٧٨) الفلوس الجدد: هي العملات الصغيرة القيمة والمصنوعة من النحاس.

(٢٧٩) محمد أغا سركدك: «سركدك» هو تحوير آخر من تحويرات الجبرتي للمصطلح الذى ذكره من قبل «سردن كجدى» و«سردن جشتى» والمقصود هنا محمد أغا قائد فرقة الفدائيين.

(٢٨٠) التكية: هي غالباً التكية السليمانية في بولاق.

(٢٨١) اضيفت «العينى» ليتضح المعنى.

(٢٨٢) محل الحرب: يقصد به هنا مصاطب النشاب. انظر هامش ٢٦٢، ٢٦٤.

(٢٨٣) الرجاله: هكذا في المخطوط ويقصد بها الجند المشاة. كما في لغة الجبرتي.

(٢٨٤) قلعة الكبش: كانت منطقة قلعة الكبش مكان دور الامارة في زمن نواب مصر من طرف الخلفاء الأمويين والعباسيين. وفي زمن الفاطميين جعلوا فوقها قصوراً سميت مناظر الكبش. ذكر المقريزى أن آثارها كانت موجودة في وقته على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى مشرفة على البركة التى كانت تعرف ببركة قارون التى أقامها الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل. والقلعة في موقعها ذلك كانت تشرف على باب زويلة والقاهرة وباب مصر وقلعة الروضه وجزيرتها. ثم ان الناصر محمد بن قلاوون هدم هذه المناظر سنة ٧٢٣هـ = ١٣٢٣م وبناها بناء آخر، ثم هدمها الأشرف شعبان بن حسن وخربها.

(٢٨٥) ناظر الكسوة: «ناظر» مصطلح مملوكى قديم استبدل في ظل الاحتلال العثمانى بمصطلح «دفتردار» وذلك في نهاية القرن العاشر الهجرى، وشغل الاتراك هذه الوظيفة حتى حصل الأمراء المماليك على حق تعيين الدفتردار منهم. فكانوا يبوئون هذا المنصب احد الامراء دون نظر في خبرته المالية أو ولائه للسلطان العثمانى. فلما ضعف النفوذ العثمانى في مصر حاول مقصود باشا سنة ١٠١٧هـ = ١٦٠٨م تنظيم الإدارة المالية في مصر. فجرد الدفتردار الذى يمثل البكوات المماليك من سلطته، وطور ديوان الرزنامه بحيث صار الديوان الرئيسي المسيطر على سائر الدواوين المالية الأخرى، وصار لرئيسه مثل ما كان للدفتردار من سلطان. وقد بقى الامر على ذلك زهاء القرنين ثم عاد للضعف. والمقصود بالكسوة هنا، كسوة الكعبة. وكان مقر ناظر الكسوة بالقلعة، وهو المسؤل عن أعدادها وتسليمها لأمير الحاج. ونلاحظ هنا أن الجبرتى ظل يستخدم مصطلح «ناظر» المملوكى رغم الغائه مما يدل على تشبعه بالروح المملوكية.

(٢٨٦) احمد جربجى قونلي: واضح من لقبه

«قونلى» انه من «قونيه» مدينة باليونان حالياً.

(٢٨٧) قلعة المستحفظان: هى قلعة الانكشارية.

(٢٨٨) أضيفت «جامع» لتحديد المكان.

(٢٨٩) جامع المظفر: هو جامع مظفر الدين ابن الفلك. يذكر المقريزى فى خططه ان هذا الجامع بسويقة الجميزه من الحسينية خارج القاهرة.

(٢٩٠) ذو الفقار بك: انظر ترجمته فى آخر طبعتنا هذه.

(٢٩١) أضيفت لتستقيم العبارة.

(٢٩٢) حسن كتخدا الجلفى: هو حسن كتخدا عزبان الجلفى. انظر ترجمته فى تراجم الامراء فى آخر طبعتنا هذه.

(٢٩٣) برَمقَّس: ومحله الآن ميدان «باب الحديد». وقد ورد فى خطط المقريزى ان صلاح الدين الأيوبى عمر سور القاهرة سنة ٥٦٦هـ = ١١٧٠م عندما كان وزير الخليفة العاضد فى مصر، وزاد فى هذا السور القطعة التى من «باب الشعرية» الى «باب البحر» وبنى قلعة المقس على شكل برج كبير فى نهاية السور الغربى على شاطىء النيل بحرى جامع المقس وقت أن كان النيل يمر من هذا الموضع، وهذا البرج هدمه الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى عندما جدد جامع المقس سنة ٧٧٠هـ = ١٣٦٨م. وهذا الجامع هو المعروف الآن بجامع أولاد عنان. ومازالت توجد لافته باسم «حارة المقس» بين مبنى سكك حديد مصر وسوق الفاكهة الموجود بميدان الحديد.

(٢٩٤) البيرشان: فى الفارسية «بيرشان» بالباء المشربة، دخلت التركية بلفظها ومعناها وهو «المشتت المتناثر». ويطلق على نوع من غطاء الرأس اسمه الكامل «بيرشان دستارلى قاووق» أى القاووق ذو العمامة المنتشرة. ويكتب مفردها «البيلشان» و«البيرشانه».

(٢٩٥) الأثر: لعلة يقصد هنا «أثر النبى» بمصر القديمة على الشاطىء الشرقى للنيل ملاصقة لدير الطين «دار السلام حالياً». كانت تابعة لمحافظة الجيزة ثم ضمت الى محافظة القاهرة. بها حجر فى هيئة أثر قدم كان يزعم أنه أثر قدم النبى، ولكنه أثر قدم باق من تمثال فرعونى قديم موجود داخل جامع بناه الملك الظاهر مدة حكمه، وبنى به قبة على هيئة هذا الأثر. وكان يطلق على هذا المكان أحياناً «القدم» وأحياناً أخرى «الآثار» أو «الأثر» كما ورد هنا.

(٢٩٦) ترحيله: أى أجر منقطع وليس راتب متصل.

(٢٩٧) مقبِّلاً: أى متجها الى الوجه القبلى.

(٢٩٨) شيخ الترابين: أى شيخ القرافة «الترب».

(٢٩٩) التبين: على النيل جنوب حلوان.

(٣٠٠) أضيفت ليستقيم المعنى.

(٣٠١) أخميم مدينة بالصعيد شرق النيل بمحافظة سوهاج.

(٣٠٢) السردار: المقصود منا سردار الانكشارية الذى جمع سرادرة الانكشارية [الينكجرية] كما يذكرهم الجبرتى احيانا]، اى قواد الفرق داخل وجاق الانكشارية. ويذكره الجبرتى بأسم «قبى قول» وهو المسمى عند المصريين «كتخدا الينكجرية».

(٣٠٣) البرج: المقصود هنا قلعة دمياط.

(٣٠٤) الخزنه: هكذا فى الاصل يقصد بها الخزانه أو الخزينة وكانت تعنى فى هذه الفترة المقدار المتبقى من ايرادات مصر الذى يرسل إلى السلطان العثمانى بعد انفاق ما يقرره على الإرادات المختلفة. ولهذا لم يكن مقدارها ثابتاً. كما كان يصدر أحيانا «خط شريف» بشأن القيام ببعض الأعمال العامة على أن تخصم تكاليفها من الخزانة. وسوف نقابل عند الجبرتى امثلة كثيرة على ذلك. وكان يصحب هذه الخزانة عند سفرها إلى استانبول صنجق يسمى «صنجق الخزينة». وفى أواخر ايام الاحتلال العثمانى قبيل الاحتلال الفرنسى، تدهور ايراد الخزانة بسبب حجب الأمراء المماليك لأجزاء كبيرة منها تحت دواعى حاجة أمير الحاج وصيانة أعمال الرى وضعف إيراد الملتزمين وتأخر الفيضان. وقد أنتهى الامر فى عهد الاميرين مراد بك وإبراهيم بك إلى حد التوقف عن إرسالها مما دفع السلطان العثمانى إلى إرسال حسن باشا القبطان فى ٢٥ شعبان سنة ١٢٠٠هـ= ٢٣ يونيو ١٧٨٥م لتأديبهم وتحصيل الخزائن المتأخرة. ويفهم من المتن ان محمد بك الدالى كان صنجقا على الخزانة هذا العام.

(٣٠٥) فى تفاصيل هذه الفتنة «فتنة إفرنج أحمد» انظر «التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية» لاندريه ريمون ترجمة زهير الشايب، كتاب روز اليوسف العدد ١٧ القاهرة يوليو ١٩٧٤ ص ٢١٩ وما بعدها. كذلك «أوضح الإشارات» ص ٢٣٠ وما بعدها. وكذلك «ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة» مرجع سابق. والجبرتى يذكر فى ترجمة إفرنج أحمد بآخر هذا الجزء انه طالع هذا المخطوط واستعان به. انظر كذلك هامش (١٦٨) والملاحق.

(٣٠٦) والى باشا: كانت مدته ٢٧ رجب ١٢/١١٢٣ شوال ١١٢٦ هـ ت ١٠ سبتمبر ٢١/١٧١١ أكتوبر ١٧١٤م.

(٣٠٧) سنة أربع وعشرين: هكذا فى المخطوط بحسب قواعد لغة الجبرتى المصرية فى حينه.

(٣٠٨) أحمد بك الأعسر: انظر ترجمته فى آخر طبعتنا هذه.

(٣٠٩) أضيفت لتستقيم العبارة.

(٣١٠) مال البهار: أى الأموال التى كانت تُجبى على واردات البهار والتوابل من ضمن جمرك السويس.

(٣١١) هواره بحرى: أى هوارة شمال الصعيد، وقد كانوا على خلاف مع هوارة قبلى الذين ناصروا محمد بك الصعيدى.

(٣١٢) أسنا: مركز بمحافظة قنا.

(٣١٣) قنا: من مدن الصعيد الكبرى.

(٣١٤) قوص : مركز بمحافظة قنا.

(٣١٥) جرجا : من مدن الصعيد الكبرى محافظة سوهاج. وكانت عاصمة لولاية «جرجا» فى ظل الاحتلال العثمانى.

(٣١٦) واعظ رومى: المقصود هنا واعظ دينى عثمانى. نظراً لأن السلطنة العثمانية فى هذا الوقت كانت تعانى الانحلال بفعل فسادها السياسى والإدارى والاقتصادى، فإن كثير من الوعاظ فى هذه الفترة عللوا ذلك بالخروج عن الدين واتباع البدع والخرافات غافلين عن الفساد السياسى والاقتصادى الذى تمارسه السلطنة العثمانية.

(٣١٧) الشعرانى: هو أبو المواهب عبدالوهاب الشعرانى [٩٧٣/٨٩٨ هـ = ١٥٦٥/١٤٩٢ م. عاش فى ظل الحكم المملوكى حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره، ثم قضى فى صحبة الحكم العثمانى خمسين عاما. ذاعت شهرته كصوفى كبير أثناء دروسه فى مدرسة «خوند» بخط كافور الأخشيدى، واتصل به جلال الدين السيوطى وزكريا الانصارى وناصر الدين اللقانى والسمنودى وغيرهم من المتصوفة. وقد قيل أنه ترك ثلاثمائة كتاب تناولت الطب والنحو والتفسير والفقه والتصوف وغيره. يوجد منها بدار الكتب المصرية نحو خمسين سفراً اكثرها لا يزال مخطوط. وقد تتلمذ الشعرانى على يد الصوفى على الخواص الأمى الذى أمره بأن يبيع كتبه ويتصدق بثمنها على الفقراء، وأن يعتزل الناس ففعل. انظر التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ ٢ . لتوفيق الطويل. الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٨ ط . ثانية.

(٣١٨) الأُكر: يوجد حول مدفن الولى فى أركانه أربع أكر من النحاس.

(٣١٩) قاضى عسكر: وهو قاضى تركى يعلو قضاة المذاهب الأربعة المصريين. وقد يكون كذلك قاضى للحنفية.

(٣٢٠) طلب [وا] : إضافة سقطت من الناسخ.

(٣٢١) النايب: نائب قاضى العسكر.

(٣٢٢) الشهود: كان فى معظم محاكم القاهرة شهود عدول معروفين وشبه ثابتين يستدعون للشهادة.

(٣٢٣) خرجوا من حقهم: أى يطردوا من البلك (الفرقة).

(٣٢٤) السفط : هو المقطف عند المصريين، والمقصود هنا إما صُنّاع المقاطف وإما البسطاء من الناس.

(٣٢٥) رجل شريف : أى من الأشراف. وهذه القصة توضح مدى احترام العثمانيين للأشراف.

(٣٢٦) يضربونه: طاف الاشراف يضربون العامة المصريين دون أن يكون لهم دخل فى مشكلتهم.

(٣٢٧) سرسنة وعشما: من قرى المنوفية مركز شبين الكوم.

(٣٢٨) الشلنجات : وضع الريش هنا للتمايز، والمصريين يتندرون بذلك فى عبارة «هوه على راسه ريشه».

(٣٢٩) فرتينهة : ريح عاصفة محملة بالأتربة.

(٣٣٠) الموسقو: تم هذا الصلح فى اوائل عام ١١٢٤ هـ = ١٧١٢م.

(٣٣١) قابجى باشا: أو «قابجى»: وهى من الكلمة التركية (قابى) أى البواب، الحقت بها أداة النسب إلى الصفة «جى» فأصبحت «قابجى»، وترسم فى التركية «قبوجى»، والمصطلح يشير إلى البواب الذى يحرس باب الديوان الحكومى ويستقبل الآتين إلى الديوان، وكان شاغلوا هذه الوظيفة فى القصر السلطانى باسلامبول فئتين : «أورتا قابى» وهو بوابو الباب الأوسط، ويقال لهم «بوابان دركاه عالى». وبوابو الباب الخارجى، وكان يقال لهم «بوابان باب همايون». وكان القابجية من كتاب موظفى الدولة العثمانية، ويسمى كبيرهم «قابجى باشا». انظر «تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى» : أحمد السعيد سليمان، ص ١٦٢/١٦٤.

(٣٣٢) بحر القلزم : هو البحر الأحمر.

(٣٣٣) العين : هى عين «زمزم».

(٣٣٤) كبكبة: موكبا من الفرسان.

(٣٣٥) الحنفى: جامع الحنفى، أقامه شمس الدين أبو محمود محمد الحنفى بجوار داره سنة ٨١٧ هـ، كما ذكر المقريزى فى خططه، وجعل له ثلاثة أبواب أشهرها المفتوح على الشارع، وعن يسرة الداخل مدفن الشيخ عمر شاه، الذى عَمرّ الركن وسبيل ومكتب لتعليم الأطفال. وفى سنة ١٢٣٧ هـ جدده الأمير سليمان أفندى تابع العزيز محمد على باشا. وفيه بئران قديمتان أحداهما بالإيوان الصغير البحرى، وكانت تسمى بئر الكرامة، وقد سدَّ فتحتها بالحجر بعض النظار. والأخرى تجاه باب المقصورة بجوار العمود يستشفون بمائها ويزعمون أنها من ماء «زمزم». وهى لا تفتح إلا أيام المولد. وبالجانب الأيمن ضريح السلطان الحنفى يعلوه قبة مرتفعة وعليه مقصورة من الخشب المرصع بالصدف والعاج. ويعمل له مقرأة كل اسبوع ومولد كل عام. انظر على مبارك الخطط جـ ٣ ص ٩٢.

(٣٣٦) مصطفى بك قزلار : وهو المعروف بالخطاط. انظر ترجمته آخر هذا الجزء.

(٣٣٧) محمد بك جركس : انظر ترجمته آخر هذا الجزء.

(٣٣٨) حسين بك شلاق: هو الأمير حسين بك أرنؤد المعروف بأبى يدك. انظر ترجمته ص. وفى تراجم الإعلام الواردة اسمائهم فى هذه الفقرة انظر فصل تراجم الأمراء.


Bibliotheca Alexandrina
1240091